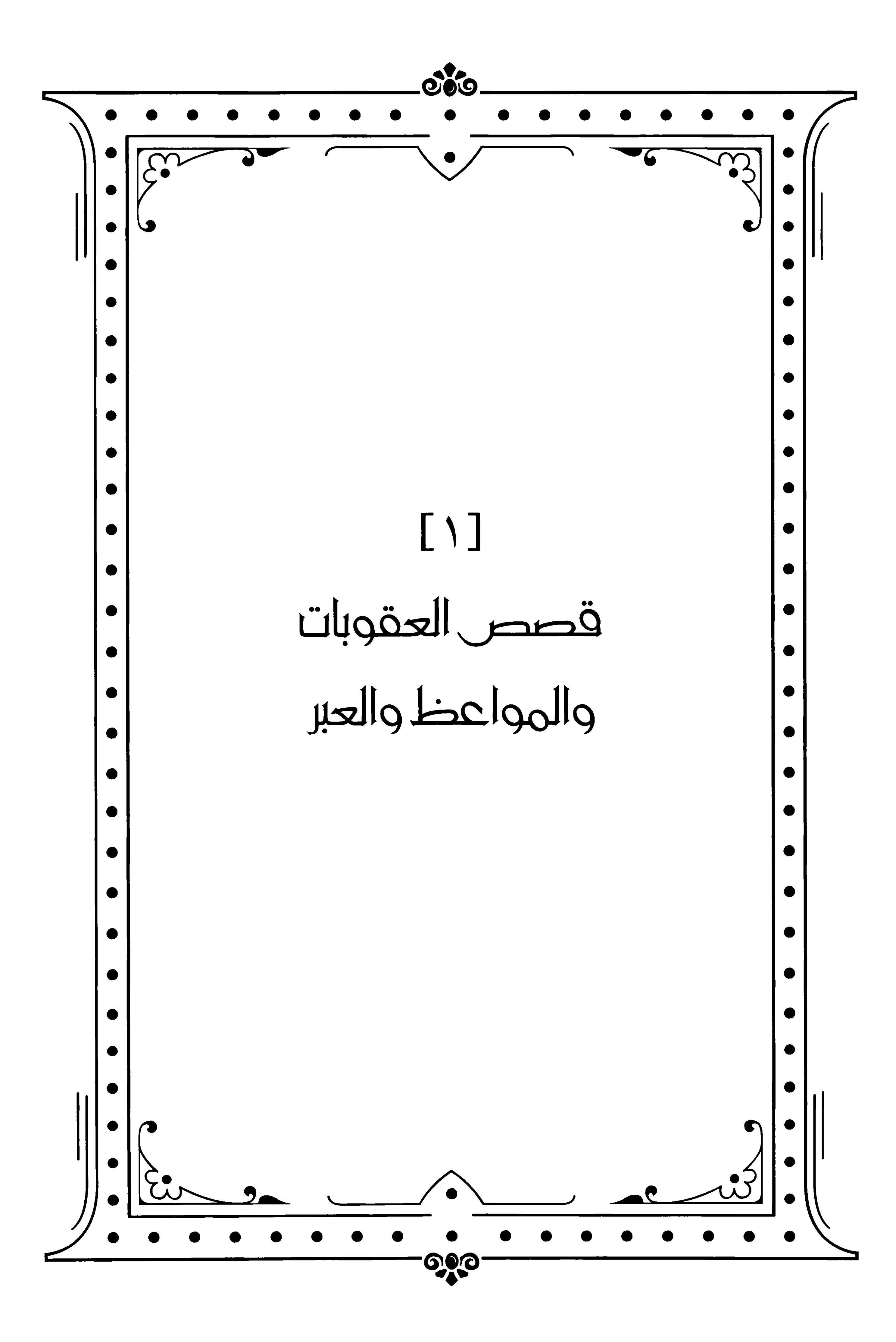


[١]

قصص العقوبات والمواعظ والعبر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الحَمدَ للهِ نَحْمدُهُ وَنستَعينُهُ، ونستَغْفِرهُ وَنتوبُ إليْهِ، ونَعُوذُ باللهِ منْ شرورِ أنْفُسنَا وَمنْ سيِّئاتِ أعمالِنَا، مَنْ يَهدِهِ اللهُ فَلا مُضُلَّ لهُ، وَمنْ يُضلِل فَلا هَادِيَ لهُ، وأشْهدُ أنْ لَا إلَهَ إلا اللهُ وحْدَه لَا شَرِيكَ لهُ، وأشْهدُ أنَّ مُحمدًا عَبْدُه ورسُولُه المَبْعُوثُ رَحمَةً للعَالَمينَ، صَلىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابهِ ومَنْ تَبِعهم بِإحْسانٍ إلَىٰ يوم الدِّين، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللهَ تعالَىٰ قَد قَصَّ عَلَينا فِي كِتابِهِ أنْباءَ المُكَذِّبينَ للرُّسُلِ، وأَخْبرَ أنَّه أَهْلَكَهُم بِذُنُوبِهم وَمَعْصِيَتِهم لِرُسُلِهم، وأَخْبَر تعَالَىٰ أَنَّ فِي قَصَصِهم عِبرَةً لِأولِي الألْبَابِ وَمَوْعِظَةً لِلمُتَّقِين.

وقَد تنَوَّعَت عُقُوبَاتُهم علَىٰ قَدْر جَرائِمِهم، كَمَا أخْبَر اللهُ بِذَلكَ فِي قَوْلِه: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

فَأمَّا قَوْمُ نُوحٍ: فَإِنَّ اللهَ تَعالىٰ أَغْرَقَهُم بِالطُّوفَان الذِي عَمَّ الأَرْض كُلَّها، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُ إِلَّا نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَمَنْ كَانَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ.

وَأَمَّا عَادٌ: فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.

وَأَمَّا ثَمُودُ: فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَة، وَهِيَ الصَّيْحَةُ العَظِيمَة التِي أَخْمَدَتْهم فَأَصْبَحُوا في دِيارِهم جاثِمِين.

وَأَمَّا قَوْمُ لُوطٍ: فَإِنَّ اللهَ تعَالَىٰ قَلَبَ مَدينَتَهُم فَجعَل عَالِيَهَا سَافلَهَا وأمْطَرَ علَيهِم حِجَارَةً مِن سِجِّيلٍ مَنْضُود.

وَأَمَّا قومُ شُعيْب: فَإِنَّه أَخَذَهُم عَذَابُ يومِ الظُّلَّة، وَأُهلِكُوا بِالصَّيحةِ فَأَصْبَحوا فِي دِيَارهِم جَاثِمين.

وأمَّا فِرعونُ وَقَوْمُهُ: فَإِنَّ اللهَ تعَالَىٰ أغْرَقهُم فِي اليمِّ وَلمْ ينْجُ مِنهُم أَحدٌ.

وَأمَّا قَارونُ: فَإِنَّ اللهَ تعَالىٰ خسَفَ بِهِ وبِدارِه الأَرْض.

وأمَّا الذينَ اعْتَدَوا فِي السَّبت: فَإِنَّ اللهَ تعالَىٰ مَسَخَهُم قِرَدَة، وَمَسَخ آخَرِينَ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ خنَازِير.

وأمَّا أهَلُ سَبأ: فَإِنَّ اللهَ تَعالَىٰ أَرْسلَ علَيهِم سَيلَ العَرِم وَمَزَّقَهم كُلَّ مُمَزَّق.

وأمَّا الذين أفْسدوا فِي الأَرْضِ مِن بَني إِسْرائِيل وَعَلَوْا عُلُوًّا كَبِيرًا: فَإِنَّ اللهَ تعَالىٰ سَلَّطَ عَلَيْهِم سِنْحَارِيبَ(١)، ثُمَّ بُخْتُنَصَّر(٢) فَجَاسُوا خِلَال الدِّيَار

(١) سنحاريب أو سنحريب، كان ابن سرجون الثاني، وملك الإمبراطورية الآشورية الحديثة في الفترة (٧٠٥ - ٦٨١ ق.م)، وهو والد آسرحدون الذي تولىٰ مملكه آشور بعد أبيه.

(٢) بختنصر أو نبوخذنصر، أحد الملوك الكلدان الذين حكموا بابل، وأكبر أبناء نبوبولاسر، يعتبر أحد أقوىٰ الملوك الذين حكموا بابل وبلاد ما بين النهرين، حيث جعل

وتبَّرُوا مَا عَلَوا تَتْبِيرًا.

وأمَّا أصْحَابُ الفِيلِ: فَإنَّ اللهَ تعَالَىٰ أرْسَلَ: ﴿عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ ۝٤ فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ ۝٥﴾ [الفيل: ٣ - ٥].

وَإذَا عُلِمَ هَذا فَلْيُعْلَم أيْضًا أنَّ اللهَ تعَالَىٰ قَد رَفَع عَذَابَ الاسْتِئْصَالِ عَنْ أمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ تَكْرِيمًا لِنَبِيِّهِ ﷺ واسْتِجَابَةً لِدُعَائِهِ، كَمَا جَاءَ ذلِكَ فِي حدِيثِ ثَوبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمَ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُم، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِم عَدُوًّا مِنْ سِوَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُم، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِم مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّىٰ يَكُونَ بَعْضُهُم يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُم بَعْضًا**». [رَوَاهُ الإمَامُ أحْمَد وَمُسْلِمُ وَأَبُو دَاودَ والتِّرْمِذِي وابْنُ مَاجه، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، وصَحَّحَه أيْضًا ابن حِبَّانَ والحَاكِمُ والبرْقَانِيُّ والذَّهَبِيُّ][(١)].

=

من الإمبراطورية الكلدانية البابلية أقوىٰ الإمبراطوريات في عهده بعد أن خاض عدة حروب ضد الآشوريين والمصريين، كما أنه قام بإسقاط مدينة أورشليم (القدس) مرتين، الأولىٰ في سنة (٥٩٧ ق. م) والثانية في سنة (٥٨٧ ق. م).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٧٨) (٢٢٤٤٨)، ومسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٥/ ١٠٩)

=

[وَرَوَىٰ الإمَامُ أحْمد أيْضًا مِن حَديثِ شَدَّاد بن أوْسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحْوَهُ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ مُسْلِمٍ](١).

ورَوَىٰ الإمَامُ أحمَدُ أيْضًا، والطَّبَرَانِيُّ عَن أَبِي بُصْرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّوَجَلَّ أَرْبَعًا؛ فَأَعْطَانِي ثَلاثًا وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ اللهَ أَنْ لا يَجْمَعَ أُمَّتِي عَلَىٰ ضَلالَةٍ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ لا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ أَنْ لا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ كَمَا أَهْلَكَ الأُمَمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ لا يَلْبِسَهُمْ شِيَعًا وَأَنْ لا يُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ فَمَنَعَنِيهَا**»(٢).

وَعنْ أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ نَحْوَهُ. وَقَالَ فِيهِ: «**وَسَأَلْتُهُ أَنْ لا يُعَذِّبَهُمْ بِمَا عَذَّبَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَهُمْ فَأَعْطَانِيهَا**». [رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ: رِجَالُهُ ثِقَاتٌ](٣).

= (٦٧١٤)، والحاكم في «مستدركه» (٤/ ٤٩٦) (٨٣٩٠)، وغيرهم من حديث ثوبان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وانظر: «التلخيص» للذهبي.

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٢٣) (١٧١٥٦)، وغيره من حديث شداد بن أوس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٦) (٢٧٢٦٧)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢/ ٢٨٠) (٢١٧١)، وغيرهما من حديث أبي بصرة الغفاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢/ ٢٤١) (١٨٦٢)، وغيره من حديث أبي

وَعَنْ خَبَّابِ بِنْ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَه، وَقَالَ فِيهِ: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَنَا فَأَعْطَانِيهَا**». [رَواهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ والتِّرْمِذي والنَّسَائي وابْنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحِهِ**». وَقَالَ التِّرْمِذي: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ صَحِيحٌ، وَفِي البَابِ عَنْ سَعْدٍ وابْن عُمَر][(١)].

قُلْتُ: أَمَّا حدِيثُ سَعْدٍ -وَهُو ابن أَبِي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- فَقَد رَواه الإِمَامُ أحمَدُ وَمُسلِمٌ وابْنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحِهِ**»، وَفِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا**...» الحديث[(٢)].

وأَمَّا حَديثُ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَدْ رَواه الإِمَامُ أَحْمَدُ، وفِيهِ: أَنَّ عبدَ اللهِ بن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَأَلَ جابرَ بن عَتِيكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الثَّلاثِ التِي دَعَا بِهِنَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «**دَعَا بِأَنْ لا يُظْهِرَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِم، وَلا يُهْلِكَهُمْ بِالسِّنِينَ فَأُعْطِيَهُمَا**...» الحديث. وَفِيهِ أَنَّ ابن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لِجَابِرِ بن عَتِيكٍ: صَدَقْتَ.

=

هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢٢).

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٠٨) (٢١٠٩١)، والترمذي (٢١٧٥)، والنسائي (١٦٣٨)، وابن حبان (١٦/ ٢١٨) (٧٢٣٦)، وغيرهم من حديث خباب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٦٠٣) (٥٧٥٤).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٨١) (١٥٧٤)، ومسلم (٢٨٩٠)، وابن حبان (١٦/ ٢١٩) (٧٢٣٧)، وغيرهم من حديث سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

[قَالَ ابنُ كَثيرٍ فِي تفسيرِ سُورَةِ الأنْعَامِ: إسْنَادُهُ جيِّدٌ قَوِيٌّ. وَقَالَ الهَيْثَمِيُّ: رِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وَقَدْ رَوَاهُ الحَاكِم فِي «مُستَدْرَكِهِ»، ولَيْس فِي رِوَايَتِهِ أنَّ ابن عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ لجَابِر بن عَتِيكٍ: صَدَقْتَ، وَقَالَ الحَاكِمُ: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَينِ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ فِي «تَلْخِيصه»][1].

* * *

فصل

وإِذَا عُلِم أنَّ اللهَ تعَالَىٰ قَد رَفعَ عذَابَ الاسْتِئصَال عَنْ أمَّةِ مَحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَليُعْلَم أيْضًا أنَّ عُقُوباتِ الأفْرادِ مِنْهُم وَمِمَّن كَانَ قَبلَهُم مِن الأمُمِ كثيرةٌ ومُتَنَوِّعة، وَهِي علَىٰ قِسْمين:

أحدُهُمَا: العُقوبَاتُ فِي الدُّنيا.

والثَّانِي: العُقُوباتُ بِعدَ المَوتِ.

فأمَّا العُقُوباتُ فِي الدُّنْيَا فهي عَلىٰ قِسْمَين:

أحدُهُما: مَا أدَّىٰ إلَىٰ المَوتِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٤٥) (٢٣٨٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٢) (٨٥٧٩)، وغيرهما من حديث جابر بن عتيك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٧١)، و«مجمع الزوائد» (٧/ ٢٢١). وقد صححه الأرنؤوط في تحقيقه علىٰ «المسند».

والثَّاني: مَا كانَ نكالًا بِمَا دُون المَوتِ.

وقدْ جَاءَ في كُلٍّ مِن القِسمينِ قَصصٌ كَثيرةٌ.

فَمنْ قَصَص القِسمِ الأوَّلِ مِمَّا وَقع في الأمَمِ قَبلَنا: قِصَّة الرَّجُلِ الذِي تَبخْتَر وأعْجَبَتْه نَفسُهُ فَخَسَف اللهُ بهِ الأرْضَ، وقَد جَاء ذَلكَ فِي عِدَّة أحَاديثَ صَحِيحة.

منها: مَا رواهُ الإمَامُ أحْمدُ والبُخارِيُّ والنَّسائِيُّ، عَن ابن عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَجُرُّ إِزَارَهُ مِنَ الخُيَلاءِ خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأرْضِ إلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١).

ومنها: مَا رَوَاه الإمَامُ أحْمَدُ والبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ والدَّارِمِيُّ وابْنُ حِبَّانَ فِي «**صَحِيحِهِ**» عَنْ أبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَتبَخْتَرُ فِي حُلَّةٍ مُعْجَبٌ بِجُمَّتِهِ قَدْ أَسْبَلَ إِزَارَهُ؛ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ، أَوْ قَالَ: يَهْوِي فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». [هذَا لَفْظُ إِحْدَىٰ الرِّوَايَاتِ عِنْد أحْمد].

وفِي رِوَاية لَهُ: أنَّ رَسُولَ اللهَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّ رَجُلًا مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يَتبَخْتَرُ فِي حُلَّةٍ لَهُ قَدْ أَعْجَبَتْهُ جُمَّتُهُ وَبُرْدَاهُ؛ إِذْ خُسِفَ بِهِ الأَرْض فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا حَتَّىٰ تَقُومَ السَّاعَةُ**».

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٦٦) (٥٣٤٠)، والبخاري (٣٤٨٥)، والنسائي (٥٣٢٦)، وغيرهم من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وفِي رِوَايةٍ لَه: أنَّ رَسول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ لَهُ مُعْجَبٌ بِنَفْسِه؛ إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»(١).

ومنها: ما رَواهُ الإِمَامُ أحمَدُ والتِّرْمِذِيُّ عَنْ عَبدِ اللهِ بن عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**خَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فِي حُلَّةٍ لَهُ يَخْتَالُ فِيهَا، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا -أَوْ قَالَ: يَتَلَجْلَجُ فِيهَا- إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». [هَذَا لَفْظُ التِّرمِذِي، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ](٢).

ومنها: مَا رَواه الإمَامُ أحْمَدُ والبَزَّارُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بَيْنَ بُرْدَيْنِ مُخْتَالًا، خَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَومِ القِيَامَةِ**». [هَذا لَفْظُ أَحْمَد].

وفِي رِوَايةٍ لَهُ: أنَّ رَسُول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**بَيْنَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ خَرَجَ فِي بُرْدَيْنِ أَخْضَرَيْنِ يَخْتَالُ فِيهِمَا؛ أَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَأَخَذَتْهُ، وَإِنَّهُ لَيَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ**». [قَالَ الهَيْثَمِيُّ: أَحَدُ أَسَانِيدِ البَزَّارِ، رِجَالُه

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٥٦) (٩٨٨٧)، والبخاري (٣٤٨٥)، ومسلم (٢٠٨٨)، والدارمي (١/ ٤٠٤) (٤٥١)، وابن حبان (١٢/ ٤٩٦) (٥٦٨٤)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٢٢٢) (٧٠٧٤)، والترمذي (٢٤٩١)، وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٦١٣) (٣٢٢٢).

رِجَالُ الصَّحِيحِ][١].

وَفِي البَابِ أَيْضًا عَنْ جَابِرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. [رَواهُ البَزَّارُ، قَالَ الهَيْثَمِيُّ: وَرِجَالُه رِجَالُ الصَّحِيح][٢].

وَفِيه أيْضًا عَنْ أَنَس بن مَالِك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. [رَواهُ أَبُو يَعْلَىٰ بِإسْنادٍ فِيهِ ضَعفٌ، ويَشْهَدُ لهُ ما تَقَدَّم مِن الأحَادِيثِ الصَّحِيحَة][٣].

ومِنَ القَصَص فِي هذَا القِسمِ: مَا وَقَع لِكَثيرٍ مِن المُتَهَاوِنين بِحُرمَةِ الكَعْبَةِ والحَرَمِ، فَمِنْ ذلِكَ قِصَّةُ إسَاف ونَائِلَة.

قَال ابن إسْحَاق: كَانَ إسَاف ونَائِلة رَجُلًا وامْرَأَةً مِن جُرْهُم، وَهُو إسَافُ بن بَغَا، وَنَائِلَة بِنْتُ ديك، فَوَقَع إسَافٌ عَلىٰ نَائِلَة فِي الكَعْبَة، فَمَسخَهما اللهُ حَجَرَين.

ثمَّ قَالَ ابن إسْحَاق: حَدَّثَنِي عَبدُ اللهِ بن أَبِي بَكْر بن مُحَمَّد بن عَمْرو بن حَزْم،

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠) (١١٣٧١، ١١٣٧٤)، والبزار في «المسند» (٣/ ٣٦٤) (٢٩٥٠)-كشف، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٦)

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (٣/ ٣٦٤-٣٦٥) (٢٩٥٥)- كشف. من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٦)

(٣) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٧/ ٢٧٩) (٤٣٠٢)، من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وإسناده ضعيف، فيه زياد بن عبد الله النميري، ضعيف، كما في «التقريب»، والحديث له شواهد.

عَنْ عَمْرةَ بنْت عَبْد الرَّحمَن بِن سَعْد بن زُرارَة قَالَت: سَمِعْت عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقُول: «**مَا زِلْنَا نَسْمَعُ أَنَّ إِسَافًا وَنَائِلَةَ كَانَا رَجُلًا وامْرَأَةً مِنْ جُرْهُمٍ أَحْدَثَا فِي الكَعْبَةِ، فَمَسَخَهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ حَجَرَينِ**». [وَهَذا إسْنادٌ صَحِيحٌ][(١)].

ورَوَىٰ الأَزْرَقِيُّ فِي «**أَخْبَار مَكَّة**» بِإسْنَاده عَن مُحمد بن إسْحَاق أنَّه قال: إنَّ جُرْهُم لَمَّا طَغتْ فِي الحَرَمِ دخلَ رَجُلٌ مِنهُم بِامْرَأةٍ مَنهُم الكَعْبَة فَفَجَر بِهَا. ويُقَال: إنَّمَا قَبَّلها فِيهَا، فَمُسِخا حَجَرين -واسْمُ الرَّجُل إسَاف بن بَغَا، واسْمُ المَرأةِ نَائِلَة بِنْت ذِئب- فَأُخْرِجا مِن الكَعْبَة فنُصِبَ أَحَدُهما عَلىٰ الصَّفَا والآخَرُ عَلىٰ المَرْوَة. وإنَّمَا نُصِبا هُنالِك لِيَعْتَبر بِهِمَا النَّاسُ ويَزْدَجروا عَن مِثلِ مَا ارْتَكبا لمَا يَرونَ مِن الحَال التِي صَارَا إليهَا.

فلمْ يَزَل الأَمْرُ يُدْرَس ويَتَقَادم حَتَّىٰ صَارَا يُمْسَحَان، يَتَمَسَّح بِهِما مَنْ وقَفَ عَلىٰ الصَّفَا والمَرْوَة، ثُمَّ صَارا وَثنَين يُعْبَدانِ، فَكَانا كَذَلِكَ حتَّىٰ كَانَ قُصَيُّ بن كِلابٍ فَحَوَّلَهُما من الصَّفَا والمَروةِ، فَجَعل أَحَدُهُما بِلِصقِ الكَعْبَة، وجَعَل الآخَرَ فِي موضِع زَمْزَم، وَكَان يَنْحرُ عِنْدَهُمَا.

وَكانَ أَهْلُ الجَاهليَّة يَمُرُّون بِإسَافٍ ونَائِلَة وَيَتَمَسَّحُون بِهِما، وكَانَ الطَّائِفُ إذَا طَاف بِالبَيتِ يَبدَأ بإسَاف فَيستَلِمَه، فَإِذا فَرَغ مِن طَوَافِه خَتَم بِنَائِلة فَاستَلَمَها.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٢٤) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فَكانَا كَذلكَ حتَّىٰ كَان يَومُ الفَتحِ فَكَسَرَهُما رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مَعَ مَا كَسَرَ من الأَصْنَام(١).

وَرَوَىٰ الأَزْرَقِيُّ أَيْضًا عَن عَمْرَةَ أَنَّها قالتْ: كَانَ إِسَاف ونائِلَة رَجُلًا وامْرَأة فَمُسِخا حَجَرينِ، فَأُخْرِجَا مِن جَوف الكعْبَة وَعلَيْهِمَا ثِيَابُهُما، فَجُعِلَ أَحَدُهُما بِلِصقِ الكَعبةِ والآخَر عِندَ زَمزَم، وكانَ يُطرَحُ بينهُمَا مَا يُهْدىٰ للكَعْبة. ويُقال: إنَّ ذَلكَ المَوضِعَ كَان يُسَمَّىٰ «**الحَطيم**»، وإنَّمَا نُصِبَا هُنَالِك لَيَعتَبِر بِهِمَا الناسُ، فَلم يزَلْ أمْرُهُما يدرسُ حَتَّىٰ جُعِلَا وَثَنَينِ يُعْبَدانِ، وكَانتْ ثِيابُهُما كُلَّما بَلِيتْ أَخلَفُوا لَهُمَا ثِيابًا، ثمَّ أُخذِ الذِي بِلِصقِ الكَعبةِ فَجُعِلَ مَع الذِي عِندَ زَمزَمَ، وكَانُوا يَذبَحُون عِنْدَهما(٢).

ورَوَىٰ الأَزْرَقِيُّ أَيْضًا، عَنِ الوَاقِدي، عَن أَشْيَاخِه قَالوا: كَان إِسَاف ونَائِلة رَجُلًا وامْرَأة. الرَّجُلُ إِسَاف بن عَمْرو، والمَرْأة نَائِلة بِنْت سُهَيل مِن جُرْهُم، فَزنَيَا فِي جَوفِ الكَعبَةِ فَمُسِخا حَجرَينِ، فَاتَّخَذُوهُما يَعبُدُونَهُمَا، وَكَانوا يذْبحُون عنْدَهُما ويَحلِقُون رُءوسَهم عِندَهُما إِذَا نَسَكوا. فَلَمَّا كُسِرت الأَصْنَام كُسِرَا، فَخَرَجتْ مِنْ أَحَدِهمَا امَرَأةٌ سَودَاء شَمْطَاء تَخْمِش وَجْهَها عُريَانَة نَاشِرَة الشَّعَر تَدعُو بِالوَيلِ، فَقيلَ لِرَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي ذَلكَ فَقَال: «**تِلْكَ نَائِلَة قَدْ**

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١١٩-١٢٠) عن محمد ابن إسحاق.

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٠) عن عمرة بنت عبد الرحمن.

أَيِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبِلَادِكُمْ أَبَدًا»[(١)].

وَرَوَىٰ الأَزْرَقِي أَيْضًا عن ابن جُرَيجٍ أَنَّهُ قال: الحَطِيمُ مَا بَينَ الرُّكْنِ والمَقَامِ وَزَمْزَم والحَجَر، وكَانَ إِسَاف ونَائِلَة رَجُلًا وامْرَأة دَخلا الكَعْبَة فقَبَّلَها فِيها فَمُسِخا حَجَرينِ، فَأُخرِجَا منَ الكَعْبَة، فَنُصِبَ أَحَدُهُما فِي مَكَانِ زَمْزَم والآخر فِي وَجْهِ الكَعْبَةِ لِيعْتَبِرَ بِهمَا النَّاسُ ويَزدَجِروا عَن مِثلِ مَا ارْتَكَبا. قالَ: فَسُمِّي هَذا المَوضعُ الحَطِيم؛ لِأَنَّ النَّاس كَانُوا يَحْطِمون هُنَالك بَالأَيْمَانِ، ويُسْتَجَاب فِيه الدُّعَاء عَلىٰ الظَّالم للمَظلُومِ.

فَقلَّ مَنْ دَعَا هُنالِكَ عَلىٰ ظَالِمٍ إلا أُهْلِك، وقَلَّ مَن حَلَف هُنَالك إثمًا إلا عُجِّلَت لَهُ العُقُوبَةُ، فَكَان ذَلكَ يَحجِزُ بِينَ النَّاس عَن الظُّلْم وَيَتَهَيَّب النَّاس الأَيْمانَ، فَلم يزَلْ ذَلكَ كَذلَكَ حَتَّىٰ جَاء اللهُ بِالإِسلامِ، فأَخَّر اللهُ ذَلكَ لِمَا أَرَاد إِلَىٰ يَومِ القِيَامَة[(٢)].

ومِن قَصَصِ المُتهاوِنينَ بِحرمَةِ الكَعبَةِ أَيْضًا: مَا روَاه ابن أَبِي شَيبةَ عن ابن سابِطٍ قَال: كَان النَّاسُ إِذَا كَان المَوسِمُ بِالجَاهلِيَّةِ خَرجُوا فَلمْ يبقَ أَحدٌ بِمكَّة، وإِنَّه تَخَلَّف رَجُلٌ سارِقٌ فَعمَدَ إِلَىٰ قِطعَةٍ مِن ذَهبٍ فَوضَعَها، ثمَّ دَخل لِيأَخذَ

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٢٢) وإسناده فيه الواقدي وهو محمد بن عمر بن واقد الواقدي الأسلمي، أبو عبد الله المدني القاضي، متروك مع سعة علمه، قاله في «التقريب». وفيه أيضًا مَن لم يسم.

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٣) عن ابن جريج.

أيْضًا، فَلمَّا أَدْخَل رَأسَهُ صَرَّهُ البيتُ، فَوَجدُوا رَأسَه في البَيتِ وَإسْتِه خَارِجَه، فَألقَوهُ للكِلابِ وأصْلَحوا البيتَ(١).

وَمنَ القَصصِ فِي هذا البَابِ أيضًا: مَا ذكَره الأزْرَقِيُّ في «**أخْبَار مَكَّة**»، عَن ابن إسْحَاق أنَّه قَال: كانَ للبَيتِ خِزَانَة بِئر فِي بَطْنِه يُلقىٰ فيهَا الحُلِي والمَتَاعُ الذِي يُهْدىٰ لَهُ، وَهُو يَومئِذ لأَسْقُف لَهُ، فتَوَاعَد لَهُ خَمسةُ نَفَرْ مِن جُرْهُم أنْ يَسْرِقُوا مَا فِيه، فَقَام علىٰ كُلِّ زَاويَةٍ مِن البيتِ رَجُلٌ مِنهُم واقْتَحَم الخَامِسُ، فَجَعل اللهُ أعْلَاه أسْفَلَه وسَقطَ مُنكَّسًا فهَلَك، وَفَرَّ الأرْبَعَة الآخَرُون(٢).

ومِن القَصَصِ فِيه أيضًا: مَا رَوَاه الأزْرَقِيُّ، عَن ابن أبِي نُجَيْحٍ عَن أبِيه: أنَّ نَاسًا كَانوا فِي الجَاهلِيَّة حَلَفوا عِند البَيتِ علىٰ قَسَامَة، وَكَانوا حَلَفوا علىٰ بَاطِلٍ، ثُمَّ خَرجوا حَتَّىٰ إذَا كَانوا بِبَعضِ الطَّرِيقِ نَزلُوا تَحتَ صَخرَةٍ، فَبينا هُم قَائلُون إذْ أقْبلَت الصَّخْرةُ عَليهِم، فَخَرجوا مِن تَحتِهَا يَشتَدُّون فَانفَلَقتْ بِخمسِينَ فلْقَة، فَأدرَكَت كُلَّ رَجُلٍ مِنْهَا فلقَةٌ فَقَتَلَتهُ، وكَانوا مِن بَني عَامِر بن لُؤَي(٣).

وَمِنَ القَصَصِ فِيه أيضًا: مَا رواهُ الأزْرَقيُّ عنِ الوَاقِدي عَن أشْيَاخِه قَالُوا: أقَامَت قُرَيشٌ بَعد قُصَي علَىٰ مَا كَانَ عَليهِ قُصَي بن كِلاب مِن تَعظِيم البَيتِ

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٢٦٨) (١٤٠٩٥) عن ابن سابط.

(٢) انظر: «أخبار مكة» (١/ ٨٧) للأزرقي.

(٣) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٤) عن أبي نجيح يسار المكي.

والحَرمِ، وكانَ الناسُ يَكرَهون الأيْمَان عِندَ البيتِ مَخَافةَ العُقُوبَة فِي أنْفسِهم وأمْوَالِهم.

قالَ الوَاقِديُّ: فَحَدَّثنِي عَبدُ المَجيدِ بن أبِي أنَسٍ عَن أبِيه، عَن أَبِي القَاسم، مَولَىٰ رَبيعَة بن الحَارثِ، عَن عَبد المُطَّلِب بن رَبيعَة بن الحَارثِ قَال: عَدا رَجُلٌ مِن بنِي كِنَانة مِن هُذيلٍ فِي الجَاهِلِيَّة عَلىٰ ابن عمٍ لهُ فَظلَمَه واضَّطَهدَه، فناشَدهُ اللهَ تعَالَىٰ والرَّحمَ وَعَظَّم عَلَيهِ فأبَىٰ إلَّا ظُلْمَه، فقال: واللهِ لألْحَقَنَّ بِحَرمِ اللهِ تعَالَىٰ فِي الشَّهر الحَرام فَلأدْعُوَنَّ اللهَ عَليكَ، فَقالَ لهُ ابن عمِّه مُستَهزِئًا بِه: هَذهِ نَاقَتِي فُلانَة فَأنَا أُقْعِدك عَلىٰ ظَهْرِها فَاذهَب فاجْتَهِد.

قالَ: فأعْطَاه نَاقَتَه وَخَرج حَتَّىٰ جَاء الحَرَم في الشَّهرِ الحَرَام فَقَال: اللَّهُمَ إنِّي أدْعُوكَ دُعاءَ جَاهدٍ مُضْطرٍ عَلىٰ فُلان ابن عَمِّي لِترمِيه بِدَاءٍ لا دَواءَ لَه. قال: ثمَّ انْصرفَ فَوجدَ ابنَ عَمِّه قَد رُمِي فِي بطنِهِ، فَصَار مِثل الزِّقّ فَمَا زالَ يَنْتَفخ حَتَّىٰ انْشَق. قَال عبدُ المُطَّلِب: فَحَدَّثتُ بِهذا الحِديث ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال: أنَا رَأيتُ رَجُلًا دَعا عَلىٰ ابن عَمٍّ لَهُ بِالعَمَىٰ فَرَأيتُه يُقادُ أعْمَىٰ[(١)].

وَمِنَ القَصَص فِيها أيضًا: مَا رَواهُ الأزْرَقيُّ مِن طَرِيقِ الوَاقِدي، عَن ابن أبِي سَبْرَة، عَن عبْدِ المَجِيد بن سُهَيل، عَن عكْرِمَة، عن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥) وفي إسناده الواقدي، وقد تقدم بيان حاله. وفيه أيضًا عبد المجيد لم أقف له علىٰ ترجمة، وكذا أبيه وشيخه.

قالَ: سَمِعتُ عُمَر بن الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأَلُ رَجُلًا منْ بَنِي سُلَيْم عَن ذَهَابِ بَصَرِه، فَقَال: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِين، كُنَّا بني ضَبْعاء عَشْرة، وكَانَ لَنَا ابن عَمٍّ فَكُنَّا نَظلِمُهُ ونضْطَهِدُه، وكَانَ يُذكِّرنا اللهَ والرَّحِمَ أنْ لَا نَظْلِمَه، وكُنَّا أَهْلَ جَاهليَّة نَرتَكِبُ كُلَّ الأمُورِ، فلمَّا رأىٰ ابنُ عَمنا أنَّا لا نَكفُّ عَنه ولا نَردُّ إليهِ ظلَامته أمْهَل حَتَّىٰ إذَا دخَلت الأشْهُرُ الحُرُم انْتهَىٰ إلَىٰ الحَرَم فَجَعل يَرفَع يَدَيهِ إلَىٰ اللهِ تعَالىٰ ويَقول:

اللَّهُــمَّ أدْعُــوك دُعَــاءً جَاهِــدًا　　　اقْتُــلْ بَنِــي الضَّــبْعَا إلَّا وَاحِــدَا

ثُــمَّ اضْـرِبِ الرَّجُـلَ فَـذَرْهُ قَاعِـدًا　　　أَعْمَــىٰ إذَا مَـا قِيْـد عَنِــي القَائِـدَا

فماتَ إخوَةٌ لِي تسْعَةٌ في تسْعَة أشْهُرٍ فَي كُلِّ شَهرٍ وَاحدٌ، وبَقيتُ أنَا فَعَميتُ وَرَمىٰ اللهُ فِي رِجلِي وكَمِهْتُ فَليسَ يلايِمني قَائد. قَال: فَسَمعْتُ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُول: سُبحَانَ اللهِ! إنَّ هَذا لَهو العَجَبُ.

ثمَّ رَوىٰ الواقِديُّ بِإسنَادِه إلَىٰ ابنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: سَمعْتُ عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسْأَلُ ابنَ عَمِّهِمُ الذِي دَعا علَيْهم، قَال: دَعوتُ عَليهِم لَيالِي رَجَب الشَّهْرَ كُلَّه بِهذا الدُّعَاء، فَأُهلِكُوا في تِسعَةِ أشْهُر وأَصَابَ البَاقي مَا أَصَابَه(١).

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وفيه الواقدي- تقدم. وشيخه هو أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن أبي سبرة القرشي. رموه بالوضع. انظر: «التقريب».

ومِنَ القَصصِ فيهِ أيضًا: مَا رواهُ الأزْرَقي، عنِ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: «دَعا رَجُلٌ علَىٰ ابن عَمٍّ لَه اسْتَاق ذَودًا لَهُ، فَخَرج يطْلُبه حتَّىٰ أصَابَه فِي الحَرَم، فَقَال: ذَوْدِي، فَقَال اللِّصُّ: كَذَبْتَ، ليْسَ الذَّودُ لَك، قَال: فَاحْلَف، قَال: إذًا أحْلِف؛ فَحَلَف عِند المَقَام باللهِ الخَالقِ رَبِّ هذا البيتِ مَا الذَّود لَكَ، فِقيلَ لهُ: لا سَبيلَ لكَ عَليهِ.

فَقَامَ رَبُّ الذَّودِ -صَاحِبُ الذَّوْدِ- بَينَ الرُّكنِ والمقامِ بِاسطًا يَديْهِ يدعُو علَىٰ صَاحِبهِ، فما بَرِحَ مَقامَه يَدعُو عَليهِ حَتَّىٰ وَلِهَ فَذَهب عَقْلُه، وجَعَل يَصيحُ بِمَكَّة: مَا لِي ولِلذَّودِ، مَا لِي ولِفلانٍ رَبِّ الذَّودِ؛ فَبَلغ ذَلكَ عَبد المُطَّلبِ فَجَمع ذَودَه فَدَفعها إلَىٰ المَظلُومِ فَخرجَ بِهَا، وبَقِي الآخرُ مُتَولِّهًا حَتَّىٰ وَقَع مِن جَبل فَتردَّىٰ مِنه فأكَلَتْه السِّبَاع»(١).

ومنَ القَصص فيهِ أيْضًا: قِصَّة أبْرهَة الحَبَشِي الذِي أرَاد هَدمَ الكَعبَة. فَإنَّ اللهَ تعَالىٰ لمَّا أرسَل الطَّيرَ الأبَابيلَ علىٰ قَومِهِ فَرَمَتهُم بالحِجَارةِ هَربَ فِيمنْ هَرب مِن قَومِهِ ولَم تُصِبْهُ الحِجَارةُ، ولَكنَّه أصِيبَ فِي جَسدِه بِما هُو أنْكىٰ وأشَدُّ مِن الحِجارة التِي أصِيبَ بهَا قوْمُه.

قال ابن إسْحَاق: «أُصيبَ أبْرهَة في جَسده، وخَرجوا بِه مَعهم تَسقُط أنامِلُه

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٦) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا. وفيه الواقدي، وشيخه ابن أبي سبرة، وقد تقدم بيان حالهما.

أَنْمُلةٌ أَنْمُلةٌ، كُلمَا سَقَطت أُنمُلةٌ أَتبَعَتْها مِدَّة تَمَتُّ قَيْحًا ودَمًا حتَّىٰ قدِمُوا بِه صَنعاءَ وهُوَ مِثلُ فَرخِ الطَّيرِ، فمَا ماتَ حتَّىٰ انْصَدع صَدرُه عنْ قلبِه فيما يَزعُمُون»[1].

ومنَ القَصصِ فيهِ أيضًا: قِصَّة النَّجِسِ الخَبيثِ أبِي طَاهِر القُرْمُطِي - لَعَنَهُ اللهُ-، فَإنَّه دَخَل مكَّة يَومَ التَّروِيَة فِي سَنة سَبْعَ عَشْرَة وثَلَاثِمائَة، وَقتَل خلقًا كَثيرًا مِنَ الحَاجِّ فِي رحَاب مَكَّةَ وشِعابِهَا وفِي المَسجِدِ الحرَامِ وفِي جَوفِ الكعْبَة، ونَهب أمْوَالَهم وأخَذَ الحَجَر الأسْوَد وبَابَ الكَعْبَة ثُمَّ عادَ إِلَىٰ بِلَاده.

قَال أَبُو الفِدَاء: «لَمَّا عَادَ القُرْمُطِيُّ إِلَىٰ بِلادِه رَمَاهُ اللهُ تعالَىٰ فِي جسَدِهِ حتَّىٰ طالَ عذَابُهُ وتَقطَّعَتْ أوصَالُه وأطْرَافه وَهو يَنْظُر إلَيهَا، وتَناثَرَ الدُّودُ من لَحمِه»[2].

ومنَ القَصصِ فِيهِ أيضًا: مَا ذكَرَهُ ابن الأثِيرِ فِي «الكَامِلِ»، وابْنُ كَثيرٍ فِي «البِدَايَة والنِّهَايَة»: «أنَّ القُرمُطِيَّ أبَا طَاهِر -لَعَنَهُ اللهُ- أَمر رَجُلًا أنْ يَصعدَ إلَىٰ مِيزابِ الكَعبَةِ فَيَقتَلِعَه فَسقَط عَلىٰ أُمِّ رَأسِهِ فَمات، فَعِندَ ذَلكَ انْكَفَّ الخَبيثُ عَن المِيزابِ»[3].

وقَد جَاء فِي عُقُوباتِ المُتهاوِنينَ بِحُرمَةِ الكَعبَة قَصصٌ كَثيرةٌ سِوىٰ مَا

---

(١) انظر: «أخبار مكة» (١/ ١٤٧) للأزرقي.

(٢) انظر: «النجوم الزاهرة» (٣/ ٢٢٤) لابن تغري بردي.

(٣) انظر: «الكامل» (٦/ ٧٤٢)، و البداية والنهاية» (١١/ ١٦١).

تَقدَّم ذِكرُه، ولَكِنَّها عُقُوباتٌ لَم تَبْلُغ بِأصْحَابِها إلَىٰ المَوتِ، فلِهَذا لَمْ أذْكرْهَا هَاهُنا، وسَيأتِي ذِكرُها فِي القِسم الثَّاني إنْ شَاء اللهُ تعَالىٰ.

ومِنَ القصصِ في هَذا القِسمِ أيضًا: مَا أُصيبَ بِه المُستهزِئُونَ بِرَسُول اللهِ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ العُقوبَات المُتَنوِّعَة. وقَد رُوِيَت هَذه القِصَّةُ مِن عِدَّة طُرُقٍ. مِنْها: مَا رَواهُ البَيْهَقِيُّ فِي «دَلائِل النُّبُوَّة»(١) عَن سَعِيد بن جُبير، عَن ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فِي قَولِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحِجر: ٩٥].

قَالَ: «**المُستَهْزِئُونَ**: الوَليدُ بن المُغيرَةَ، والأسْوَدُ بن عَبدِ يَغُوث الزُّهْرِي، والأسْوَد بن المُطَّلِب أبُو زَمْعَة مِن بَنِي أَسد بن عَبْد العُزَّىٰ، والحَارِثُ بنُ غَيطَلَة السَّهْمِي، والعَاصُّ بن وَائِلٍ، فأتَاهُ جِبرِيلُ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ فَشَكاهُم إلَيهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَأرَاه الوَلِيد بن المُغِيرة فَأوْمَأ جِبرِيلُ إلَىٰ أَبْجَلِه(٢)، فَقَال: مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: كُفِيتَهُ.

ثَمَّ أَرَاه الأسْوَد بن المُطَّلِب فأومَأ جِبريلُ إلَىٰ عينَيهِ، فقَالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قَال: كُفِيتَهُ. ثُمَّ أَرَاهُ الأسْوَد بن عَبدِ يَغُوث الزُّهْرِي فَأوْمَأ إلَىٰ رَأسِه، فَقال: مَا صَنَعْتَ؟ قَال: كُفِيتَه. ثُمَّ أرَاهُ الحَارثَ بن غَيطَلَة السَّهمِيَّ فَأومَأ إلَىٰ رَأسِهِ، أو قَالَ: إلَىٰ بَطنِه، فَقَال: مَا صَنَعتَ؟ قَال: كُفِيتَهُ. ومَرَّ بِهِ العَاصُ بن وَائِل فَأوْمَأ إلَىٰ

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلِائل النبوة» (٢/ ٣١٦-٣١٨) عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

(٢) قال في «لسان العرب» (١١/ ٤٤): «الأبجل عرق غليظ في الرجل. وقال الجوهري: الأبجل عرق وهو من الفرس والبعير بمنزلة الأكحل من الإنسان».

أَخْمُصِهِ، فَقَالَ: مَا صَنَعتَ؟ قالَ: كُفيتَه.

فَأمَّا الَوليدُ بن المُغيرَةَ فَمرَّ بِرَجلٍ مِن خُزاعَةَ وَهُوَ يَرِيشُ نَبلًا لَهُ فَأصَاب أَبْجَله فَقَطَعَها.

وأمَّا الأسْوَد بن المُطَّلب فَعَمِي. فَمِنهُم مَن يَقُول: عَمِي هَكَذا. ومِنهُم من يقول: نَزَل تَحتَ سَمُرَة فَجَعَل يَقُول: يَا بَنِيَّ ألا تَدْفَعُون عَنِّي قَدْ قُتِلْتُ، فجَعَلُوا يَقُولون: مَا نَرىٰ شِيْئًا، وَجَعَل يَقُول: يَا بَنيَّ، ألا تَمْنَعُون عَنِّي قَد هَلَكْتُ، هَا هُو ذَا أُطْعَنُ بِالشَّوكِ فِي عَيْنِي، فَجَعَلُوا يَقُولُون: مَا نرىٰ شَيئًا، فَلَم يَزَل كَذلِكَ حتَّىٰ عَمِيت عَيْنَاه.

وأمَّا الأسْوَد بنُ عَبدِ يَغُوث الزُّهْرِي فَخَرَج فِي رأْسِه قُروحٌ فَمَاتَ مِنها.

وأمَّا الحَارثُ بن غَيطَلَة فَأَخذَه المَاء الأصْفَر فِي بَطنِه حَتَّىٰ خَرَج خِرْؤُه مِن فِيهِ فَمَاتَ مِنْها.

وأمَّا العَاصُ بن وَائِل فَبينَمَا هُوَ كَذلِكَ يَومًا إذْ دَخَل فِي رَأْسه شِبْرقة[1] حتَّىٰ امْتَلأتْ منْهَا فمَات مِنْها. وقَال غَيرُه فِي هَذا الحَديثِ: فَرَكِبَ إلَىٰ الطَّائف عَلىٰ حِمارٍ فَرَبَض عَلىٰ شبْرُقةٍ فدَخلَتْ فِي أخْمُص قَدَمِهِ شَوكَةٌ فَقَتَلَتْه».

(١) قال في «لسان العرب» (١٠/ ١٧٢): الشبرق نبات غض وثمرتها شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم، منبتها السباخ والقيعان، واحدتها شِبرقة. وقالوا: إذا يبس الضريع فهو الشبرق، وهو نبت كأظفار الهر. وقال ابن جرير: الشبرقة المعروف بالحسك.

وَقَالَ ابن إِسْحَاق: «كَانَ عظَمَاء المُستَهزِئِينَ -كَمَا حَدَّثَني يَزيدُ بن رُومان، عَن عُرْوَةَ بن الزُّبَير- خَمسَةَ نَفَرٍ، وَكَانوا ذَوِي أَسْنَان وشَرَفٍ فِي قَومِهِم: الأَسْوَدُ بن المُطَّلِب أَبُو زَمْعَة، دَعا عَلَيهِ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَال: «**اللَّهُمَّ أَعْمِ بَصَرَهُ وَأَثْكِلْهُ وَلَدَهُ**».

والأَسْوَد بن عبْدِ يغُوثَ، والوَلِيدُ بن المُغيرَة، والعَاصِ بن وَائل، والحَارثِ بن الطَّلَاطِلَة. وذُكَر أَنَّ اللهَ تعَالَىٰ أَنْزَل فِيهِم: ﴿ **فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝٩٤ إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ ۝٩٥ ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٩٦** ﴾ [الحجر: ٩٤ - ٩٦].

وذكر أَنَّ جِبريلَ أَتَىٰ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُمْ يَطُوفُونَ بِالبَيتِ، فَقَام وَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلىٰ جَنْبِه، فَمَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بن المُطَّلِب فَرمىٰ فِي وَجهِهِ بِوَرَقة خَضرَاء فَعَمِيَ. ومَرَّ بِهِ الأَسْوَدُ بنُ عَبدِ يَغُوثَ فَأَشارَ إِلَىٰ بَطْنِه فاسْتَسْقَىٰ بَطنه فَمَات حبنًا(١). ومَرَّ بِهِ الوَلِيدُ بن المُغيرَةَ فأَشَار إِلَىٰ أَثَرِ جُرحٍ بِأسفَل كَعبِه كَان أَصَابه قَبلَ ذلِكَ بِسنينَ مِن مُرورِه بِرَجُلٍ يَريشُ نَبلًا لَه مِن خُزَاعَة، فَتعلَّق سَهمٌ بِإزارِه فَخَدشه خدشًا يسيرًا فانْتَقَض بَعد ذَلكَ فَمات.

ومَرَّ بِه العاصُ بن وائلٍ فأَشَار إِلَىٰ أَخْمُصِ رِجلِه فخرَجَ علىٰ حِمارٍ لهُ يُريدُ

---

(١) قال ابن جرير: الحَبَن الماء الأصفر. وقال ابن منظور في «لسان العرب» (١٣/ ١٠٤): الحَبَن داء يأخذ في البطن فيعظم منه ويَرِم. وقال أيضًا: الأحبن المستسقي من الحَبَن -بالتحريك- وهو عِظم البطن.

الطَّائف فَرَبض بِه عَلىٰ شبْرقَةٍ فَدَخلت في أخْمُص رِجلِه شَوكَةٌ فَقَتلته. ومَرَّ بِهِ الحارِثُ بنُ الطَّلاطِلَة فَأشارَ إلَىٰ رأسِه فامْتَخَض قَيحًا فقَتَله». [وقد رَوَاه ابن جَرير فِي «تفسيره»، وأبُو نُعَيْمٍ فِي «دَلَائِل النُّبُوَّة» من طريق ابن إسحاق][(١)].

وقالَ البَغَوِيُّ[(٢)] فِي الكَلَام عَلىٰ قَولِ اللهِ تَعَالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ۝٩٥﴾ [الحجر: ٩٥]: «وهُم خَمسَةُ نَفَرٍ مِن رُؤسَاء قُريش: الوَليدُ بن المُغيرَة المَخْزُومِي وكَان رَأسَهم، والعَاصُ بن وَائِل السَّهْمي، والأسْوَد بن المُطَّلِب بن الحَارِث بن أسَد بن عِبد العُزَّىٰ أَبُو زَمْعة، والأسْوَد بن عَبدِ يَغُوث بن وَهب بن عَبدِ مَنَاف بن زُهرَة، والحَارِث بن قَيس بن الطَّلَاطِلَة.

فَأَتَىٰ جِبريلُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُستَهزِئونَ يَطُوفُون بِالبيتِ، فَقَام جِبريلُ وقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلىٰ جنبه فمرَّ به الوليدُ بن المُغيرة فَقَال جِبريلُ: يَا مُحَمَّد، كَيفَ تَجِدُ هَذا؟ فَقَال: «**بِئْسَ عَبْدُ اللهِ**»، فَقَال: قَدْ كُفِيتَه، وأوْمَأ إلَىٰ سَاقِ الوَليد، فَمَرَّ بِرَجلٍ مِن خُزَاعَة نَبَّال يريش نِبَالَه وَعَليه بُردٌ يَمَان وَهُو يَجُرُّ إِزَارَه، فَتَعَلَّقَت شَظْيَة مَن نَبْلِه بِإزَارِه فَمَنَعَه الكِبْرُ أنْ يُطَأطِئ رأسَه فَيَنْزِعَها، وجَعَلَتْ تَضرِبُ سَاقَه فَخَدشَتْهُ فَمَرِضَ مِنهَا فَمات.

ومَرَّ به العاصُ بنُ وَائل فَقالَ جِبريل: كَيفَ تَجدُ هَذا يَا مُحَمَّد؟ قَال: «**بِئْسَ**

(١) أخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (ص٩٥) ومن طريقه الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٤٦)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٦٨).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٩٥).

عَبْدُ اللهِ»، فأشَارَ جِبريلُ إلَىٰ أخْمُصِ رِجلِه وَقَال: قَدْ كُفِيتَه، فَخَرجَ عَلىٰ رَاحِلتِه وَمَعه ابنان لَهَ يَتنزَّهُ، فَنَزل شِعبًا مِن تَلكَ الشِّعابِ فَوَطِئ عَلىٰ شبْرقة فدخلت منها شَوكَةٌ في أخْمُص رِجلِه، فقال: لُدِغْتُ لدغتُ، فطَلَبوا فلَمْ يَجِدوا شَيئًا، وانْتَفَخَت رِجْلُه حتَّىٰ صَارتْ مِثل عُنُق البَعِير فَمَاتَ مَكَانَه.

وَمَرَّ بِهِ الأسْوَد بن المُطَّلِب فَقَال جِبريلُ: كَيفَ تَجِدُ هَذا يَا مُحَمَّد؟ قَالَ: «**عَبْدُ سُوءٍ**»، فأشَار بِيدِه إلَىٰ عَينَيهِ وَقَالَ: قَدْ كُفِيتَه، فَعَمِي».

قَالَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: «رَمَاه جِبريلُ بِوَرَقةٍ خَضْرَاء فَعَمِي فَذَهبَ ضَوءُ بَصرِه وَوَجعَتْ عَيْنَاهُ فَجعَل يَضرِبُ بِرأسِهِ الجِدَارَ حتَّىٰ هَلَكَ».

وفِي رِوايَة الكَلْبِي: «أتَاه جِبريلُ وَهُو قَاعِدٌ فِي أَصْلِ شَجَرةٍ وَمَعَه غُلامٌ لَه، فَجَعَل يَنْطَحُ رَأسَهُ بِالشَّجَرَةِ ويَضْرِبُ وَجْهَه بِالشَّوْكِ، فاسْتَغَاث بِغُلامِه، فَقَال غلامه: لا أرَىٰ أحَدًا يَصْنَعُ بِكَ شَيئًا غَيرَ نَفْسِك حَتَّىٰ مَات وَهُوَ يقولُ: قَتَلَنِي رَبُّ مُحَمَّد.

ومَرَّ بِهِ الأسْوَد بن عَبدِ يَغوث فَقَال جِبريل: كَيفَ تَجِد هَذا يَا مُحَمَّد؟ قَال: «**بِئْسَ عَبْدُ اللهِ، عَلىٰ أَنَّه ابن خَالِي**». فقال: قَد كُفِيتَه، وأَشَار إلَىٰ بَطْنِه فاسْتَسْقَىٰ بَطنَه فمَات حَبنًا».

وفِي رِوَاية الكَلْبي: «أَنَّه خَرَج مِن أهْلِه فَأصَابَه السَّمُوم فاسْوَدَّ حتَّىٰ عَاد حَبَشِيًّا، فَأَتَىٰ أهْلَه فَلَم يَعْرِفُوه وأغْلَقوا دُونَه حَتَّىٰ مَاتَ وَهُو يَقُول: قَتَلَني رَبُّ مُحَمَّد.

ومَرَّ بِهِ الحَارِثُ بنُ قَيس فَقَال جِبريلُ: كَيف تَجِد هَذا يَا مُحَمَّد؟ قَال: «عَبْدُ سُوءٍ»، فَأَومَأ إِلَىٰ رأسِهِ وقَال: قَدْ كُفِيتَه، فَامْتَخَطَ قَيحًا فقَتَله».

وقالَ ابنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «إنَّه أَكلَ حُوتًا مَالحًا فَأَصابَه العَطشُ، فلمْ يزَلْ يَشرَب عَليهِ من المَاء حَتَّىٰ انْقَدَّ بَطْنُه فَمات».

[فَذَلكَ قَولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾﴾. وقَدْ رَواهُ أَبُو نُعيمٍ فِي «دَلَائِل النُّبُوَّة» مِن طريقِ الكَلبِيِّ، عَن أَبِي صَالِح، عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فذَكَره بِنَحْوِه[١]. وَروَىٰ ابن جَرِيرٍ فِي «تفسيرِهِ»، عَن قَتَادة وَمِقسم مَوْلىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا نَحْوَه، وَفيهِ بَعضُ المُغايَرَة لِمَا جَاء فِي «تَفسِير البَغَوي»][٢].

وَمِن اسْتِهْزاء المُستَهزِئين بِرسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحَابِه: مَا ذَكَره البِلاذِرِي فِي «أَنْسَاب الأَشْرَاف»، وابنُ الأَثِير فِي «الكَامِل»: «أَنَّ الأَسوَدَ بن عَبدِ يَغُوث بن وَهْب بن عَبدِ مَناف بن زُهرَةَ كَان إِذَا رَأَىٰ فُقَراءَ المُسلِمين قَال لِأَصْحَابِه: هَؤلاءِ مُلُوكُ الأَرْضِ الذِين يَرِثُون مُلكَ كِسْرَىٰ وقَيْصر، وكانَ يَقُول لِلنَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَا كُلِّمتَ اليَومَ مِن السَّمَاء يَا مُحَمَّد؟ ومَا أَشْبَه هَذا القَوْل».

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٧٠) وإسناده ضعيف جدًّا فيه محمد بن مروان السديّ الصغير-متهم بالكذب، وكذا شيخه محمد بن السائب الكلبي. وأبو صالح هو مولىٰ أم هانئ ضعيف يرسل.

(٢) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٤/ ١٥٠) عن قتادة ومقسم.

وذَكر البِلَاذِرِيُّ وَابْنُ الأثِير أيْضًا: «أنَّ الأسْوَد بن المُطَّلِب بن أسَد بن عبْدِ العُزَّىٰ كَان هُو وأصْحَابُه يَتَغَامَزون بِالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصَحابِهِ ويَقُولون: قَد جَاءَكم مُلُوك الأرْضِ وَمن يَغْلِبُ عَلىٰ كُنوزِ كِسرَىٰ وَقَيصَر، وَيُصَفِّقون ويُصَفِّرون»[١].

«تَنْبِيهٌ»:

إذَا عُلِم مَا أُصيبَ بِه المُستهزِئون بِرسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن العُقُوبة والنَّكَال، فَليُعْلَمَ أيْضًا أنَه يُخْشَىٰ عَلَىٰ المُستَهزِئينَ بِالأحَاديثِ الثَّابِتة عَن النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنْ يُصابوا بِمثلِ مَا أصِيب بِه مَن كَان قبلَهم مِن المُستهزِئينَ بِالنَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَما العُقوبَاتُ مِنَ الظَّالِمينَ بِبعَيدٍ.

وليُعْلَمَ أيْضًا أنَّ الاستِهزاءَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يشْمَل الاسَتهزاءَ بِهِ فِي كُلِّ شَيء مِن أخْلاقِهِ وأقوالِه وأفْعَالِه.

ومِن ذَلكَ: الاستِهزَاءُ بالأحَاديثِ الثَّابتةِ عَنهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَما يفْعَلُه بَعضُ المُتحَذلِقِين[٢] الذِين غَلَب عَليهِم التِّيهُ والعُجْبُ بِأنْفُسهم وبِكتَاباتِهم الخَاطِئة.

فهذا الضَّرْبُ الرَّديء قَد جَعلوا عقُولَهم القَاصرة وآرَاءهُم الفَاسِدة مِيزانًا

---

(١) انظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٣١- ١٣٢)، و«الكامل» (١/ ٥٩٢).

(٢) قال في «لسان العرب» (١٠/ ٤١): المتحذلق هو المتكيِّس الذي يريد أن يزداد علىٰ قدره، ورجل حِذْلق كثير الكلام صَلِف، وليس وراء ذلك شيء. ويقال: حَذْلَق الرجل وتحذلق إذا أظهر الحذق وادعىٰ أكثر مما عنده.

للأَحَاديثَ؛ فَما وَافقَ عُقولَهُم وآرَاءَهم قَبِلوُه ونَصَرُوه ولو كانَ ضَعيفًا أَوْ مَوضُوعًا، ومَا خَالَفَ عُقولَهُم وآرَاءَهم ضَرَبُوا بِهِ عَرَض الحَائطِ وَلم يُبَالوا بِرَدِّه ورفضْهِ واطِّرَاحِه ولو كانَ في «الصَّحِيحين» أو فِي أحَدِهما.

وهذا المَسلَكُ البَاطِلُ قَريبٌ مِمَّا ذَكره البِلَاذِرِيُّ وابْنُ الأَثِير عَن بَعضِ المُستهْزِئينَ مِن كُفارِ قُرَيش، أنَّهم كَانوا يُكَذِّبُون بِما لا تَحْتَمِلُه عُقُولُهم مِن أَخْبَار الوَحي، ومَا كَان رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخبِرُهم بهِ مِن غَلَبة المُسلِمين عَلىٰ مُلكِ كِسرَىٰ وقَيصَر والاسْتِيلاءِ عَلىٰ كُنُوزِهما.

وَقَد ثَبتَ عَنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَال: «**مَنْ تَشَبَّه بِقَومٍ فَهُوَ مِنهُم**».

[رَواهُ الإمَامُ أحْمَد وأبُو داود، منْ حَديثِ ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا](١).

فَلا يَأمن المُتهاوِنُون بِالأحَاديثِ الثَّابِتَةِ عَن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُعارِضُون لَها بِعُقولِهم وآرائِهم أنْ يُصابُوا بِقَارِعَةٍ تَكون نَكَالًا لَهم وَعِبرَة لِغَيرِهم، وَليعْلَموا أنَّ رَدَّ الأحَاديثِ الثَّابتَة عنِ النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومُعَارَضَتَها بِالآرَاء والعُقولِ لَيْسَ بالأَمْرِ الهَيِّن، فَكيفَ بالاسْتهزاءِ بِها والتَّصْريحِ بِرفضِها واطِّرَاحِها؟! فهذا أمرٌ عظِيمٌ وَخطيرٌ جِدًّا، وَيُخشَىٰ عَلىٰ مَنْ فَعلَ ذَلكَ أنْ يَكُون مُرتَدًّا عنِ الإسْلام.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠) (٥١١٤)، وأبو داود (٤٠٣١)، وغيرهما من حديث ابنِ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الإرواء» (٥/ ١٠٩) (١٢٦٩).

وأدهىٰ مِن ذَلكَ: مَا ثبتَ عَن بَعضِ الخُبَثاء فِي زَمانِنا، وكانَ يُناقِشُ أَحَد الطُّلاب فِي حَديثٍ رَواهُ مُسلِمٌ فِي «صَحيحِه»، وَهُو مِن الأحَاديثِ التِي تُخالِفُ مَا يَراهُ ذلكَ الخَبيثُ بِعقْلِه، فَقَالَ لِلطَّالِب: «ضَعْ هَذا الحَديثَ تَحتَ رِجْلِك»، وَهذِه رِدَّة صَريحَةٌ، وَلو كَانَ عِندَ ذَلكَ الخَبيثِ إسلامٌ لَمنَعَهُ إسْلَامُه مِن مُقابَلةِ الحَديثِ الثَّابتِ عَن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بِهَذهِ المُقَابَلة الفَظِيعة.

فَإلىٰ اللهِ المُشْتكىٰ مِنْ شَرِّ هذا الخَبيثِ وأضْرابِه مِنَ الزَّنادِقة الذِين قَد أضَلُّوا كَثيرًا وَضَلُّوا عَن سَواءَ السَّبيل: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢**﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

وقد قَال الإمَامُ أحْمَدُ رَحِمه اللهُ تَعالىٰ: «**مَنْ رَدَّ حَدِيثَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فَهُوَ عَلَىٰ شَفَا هَلَكَةٍ**». [رَواهُ القَاضِي أَبُو الحُسَيْنِ فِي «**طبقات الحنابلة**»](١).

وقالَ الحَسنُ بن عَلِي بن خَلَف البَرْبَهاري في كِتَابِه «**شَرْح السُّنَّة**»(٢): «إذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلىٰ الآثَارِ وَلا يَقْبَلُهَا، أَوْ يُنْكِرُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، فَاتَّهِمْهُ عَلَىٰ الإسْلامِ فَإِنَّهُ رَجُلٌ رَدِيءُ المَذْهَبِ والقَوْلِ، وَإِنَّمَا

---

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (٢/ ١٥).

(٢) انظر: «شرح السنة» (ص٧٩).

يَطعَنُ علىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعَلَىٰ أصْحَابه».

وقَالَ البَرْبَهَارِيُّ أيْضًا(١): «وَلا يَخْرُجُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ القِبْلَةِ مِنَ الإِسْلَام حَتَّىٰ يَرُدَّ آيَةً مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ يَرُدَّ شَيئًا مِنْ آثَارِ رَسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، أوْ يُصَلِّيَ لِغَيْرِ اللهِ، أوْ يَذْبَحَ لِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ وَجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تُخْرِجَهُ مِنَ الإِسْلَامِ».

وقَال البَرْبهَارِيُّ أيْضًا(٢): «مَنْ رَدَّ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ فَقَدْ رَدَّ الكِتَابَ كُلَّهُ، وِمَنْ رَدَّ حَدِيثًا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَدْ رَدَّ الأَثَرَ كُلَّهُ، وَهُوَ كَافِرٌ بِاللهِ العَظِيم».

وقَالَ البَرْبَهَارِيُّ أَيْضًا(٣): «وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ العَبْدِ وَبَيْنَ أَنْ يَكُونَ كَافِرًا إِلَّا أَنْ يَجْحَدَ شَيئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ، أَوْ يَزِيدَ فِي كَلامِ اللهِ أَوْ يُنْقِصَ، أَوْ يُنْكِرَ شَيئًا مِمَّا قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، أَوْ شيئًا مِمَّا تَكَلَّمَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ».

وَقَالَ البَرَبهَارِيُّ أيْضًا(٤): «وإِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَطْعَنُ عَلَىٰ الآثَارِ، أوْ يَرُدُّ الآثَارَ، أَوْ يُرِيدُ غيرَ الآثَارِ، فَاتَّهِمْهُ علىٰ الإسْلَام، وَلا شَكَّ أَنَّهُ صَاحِبُ هَوًىٰ مُبْتَدِعٌ».

---

(١) انظر: المصدر السابق (ص٦٤).

(٢) المصدر السابق (ص٩٧).

(٣) المصدر السابق (ص١٠٢).

(٤) المصدر السابق (ص١١٢).

وقَالَ البَربَهَارِيُّ أيْضًا(١): «وإذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ تَأْتِيهِ بِالأَثَرِ فَلا يُرِيدُه وَيُرِيدُ القُرآنَ، فَلا شَكَّ أَنَّهُ رَجُلٌ قَد احْتَوىٰ علَىٰ الزَّنْدَقَةِ».

وقَالَ البَرْبَهَارِيُّ أَيْضًا(٢): «مَنْ جَحَدَ أَوْ شَكَّ فِي حَرْفٍ مِنَ القُرآنِ، أَوْ فِي شَيءٍ جَاءَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَقِيَ اللهَ مُكَذِّبًا». [انْتهَىٰ المَقْصُودُ مِنْ كلامِ البَربَهَارِي].

ويَدُلُّ لِمَا صَرَّحَ بِهِ مِن القَولِ بِتكفيرِ مَن رَدَّ شَيئًا من أَحَاديثِ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَولُ اللهِ تَعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فأقْسَمَ تَبارَكَ وَتَعَالَى بِنَفسِهِ الكَرِيمَةِ المُقَدَّسَةِ علىٰ نفْيِ الإيمَانِ عَمَّن لَمْ يُحَكِّم الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيرضَ بِحكمِهِ ويُقابِلُه بالقَبُول والتَّسلِيم.

وقَال تَعالىٰ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]. قال الإمَامُ أحمَد فِي الكَلامِ علىٰ هذِه الآيَة: «أَتَدْرِي مَا الفِتْنَةُ؟ الفِتْنَةُ الشِّرْكُ، لعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضَ قَولِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِه

(١) المصدر السابق (ص١١٩).

(٢) المصدر السابق (ص١٣٢).

شَيءٌ مِنَ الزَّيْغِ فَيَهْلِكَ»(١).

والآيَاتُ فِي الأمْرِ بِطاعَة الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والنَّهْيِ عَن مُخَالَفتِه كَثيرةٌ جِدًّا.

وَقد ثَبَت عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّه قَال: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهَ، وَيُؤْمِنُوا بِي وبِمَا جِئْتُ بِهِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلىٰ اللهِ**».

[رَوَاهُ مُسلِمٌ مِن حَدِيثِ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وفِيهِ دَلِيلٌ لِمَن ذَهَب إِلَىٰ تكفِير مَن رَدَّ شَيئًا مِن الأحَاديثِ الثَّابتَة عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّه قَد تَرَك شَرْطًا مِن الشُّرُوطِ فِي عِصمَة الدَّمِ والمَال، وَهُو الإيمَان بِمَا جاء بِهِ الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ].

وَأَيْضًا فَإِنَّه لابُدَّ فِي صِحَّة الإسْلَام مِن تَحقيقِ الشَّهَادَة بِأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَمِن تحْقِيقِها تَصدِيقُ الأحَادِيثِ الثَّابتَة عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومُقَابِلَتها بِالقَبولِ والتَّسْليمِ، والبُعدُ عنْ مُعَارَضَتها بِالعُقول والآرَاء، وَمَن رَدَّ شيئًا منَ الأحَاديثِ الثَّابتَةِ عنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصَرَّح برفْضِها فَلا شَكَّ أَنَّهُ لَم يُحقِّق الشَّهَادة بِأَنَّ مُحمدًا رَسُولُ اللهِ، وَمَنْ لَم يُحَقِّقْها فَلَيس بِمَعصُومِ الدَّمِ والمَال.

---

(١) أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ٢٦٠) (٩٧) بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم (٢١)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلنَرجِع إلَىٰ ذِكرِ قَصَص المُؤذينَ لِرسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُنَاوِئين لَهُ، وَمَا أُصيبوا بِهِ مِنَ النَّكال فِي الدُّنْيا مَعَ مَا هُو مُعَدٌّ لَهُمْ مِن العَذابِ الأَلِيم المُقيمِ فِي الدَّار الآخِرَة.

فَمِن ذَلِك: قِصَّةُ إلْقَاء السَّلَا عَلىٰ ظَهْرِهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو سَاجِدٌ. قَال عبدُ اللهِ بن مَسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَينَمَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي عِنْدَ البيتِ وَأَبُو جَهلٍ وَأَصْحابٌ لَه جُلُوسٌ وَقَدْ نُحِرَتْ جَزُورٌ بِالأَمْسِ، فَقَالَ أَبُو جَهْل: أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَىٰ سَلَا جَزُورِ بَنِي فُلانٍ فَيَأْخُذهُ فَيَضَعهُ فِي كَتِفَي مُحَمَّد إذَا سَجَد؟ فَانْبَعَثَ أَشْقىٰ القَوْمِ فَأَخَذَه، فَلَمَّا سَجَدَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وضَعهُ بَيْنَ كَتِفَيه.

قَال: فَاسْتُضْحِكُوا وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَمِيلُ عَلَىٰ بَعْضٍ وَأَنَا قَائِمٌ أَنْظُرُ، لَوْ كَانَتْ لِي مَنَعَةٌ طَرَحْتُه عَن ظَهرِ رَسُولِ الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والنَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَاجِدٌ مَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّىٰ انطَلَقَ إِنْسَانٌ فَأَخْبَرَ فَاطِمَةَ فَجَاءَتْ، وَهِيَ جُوَيْرِيَة، فَطَرَحَتْهُ عَنْهُ ثُمَّ أَقْبَلت عَلَيهِمْ تَشْتِمُهُم.

فَلَمَّا قَضَىٰ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاتَهُ رَفَعَ صَوْتَه ثُمَّ دَعَا عَلَيهِم، وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَال: «**اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِقُرَيش**» ثَلَاث مَرَّات. فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَهُ ذَهَبَ عَنْهُمُ الضَّحِكُ وَخَافُوا دَعْوَتَه.

ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيكَ بِأَبِي جَهْل بن هِشَام، وَعُتْبَة بن رَبِيعَة، وشَيْبَةَ بن**

رَبيعَة، والوَلِيدِ بن عُقْبَة(١)، وَأُمَيَّة بن خَلَف، وَعُقْبَة بن أَبِي مُعَيْطٍ، -وَذَكَرَ السَّابعَ وَلَمْ أَحفَظْهُ-».

فَوالذي بَعَث مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالحَقِّ، لَقَدْ رَأَيتُ الذِينَ سَمَّىٰ صَرعَىٰ يومَ بَدرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَىٰ القَلِيبِ، قَلِيبِ بَدر». [رَواهُ الإمَامُ أحْمَدُ والبخَارِي وَمُسْلِم. وهَذا لَفْظُ إِحْدَىٰ رِوَاياتِ مُسلِم].

وَفِي رِوَايَةٍ لأحمَد: قَال عَبد الله -وَهُو ابن مَسعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: «مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعَا عَلَىٰ قُريش غَيْرَ يَوْمٍ وَاحِد، فَإِنَّه كَان يُصَلِّي وَرَهْطٌ مِن قُرَيْش جُلُوسٌ وَسَلا جَزُورٍ قَرِيبٌ مِنه، فقَالُوا: مَنْ يَأْخُذُ هَذا السَّلا فَيُلقِيه عَلىٰ ظَهرِه؟ قَال: فَقَال عُقْبَة بن أَبِي مُعَيطٍ: أنَا، فَأَخذَه فَأَلقَاه عَلىٰ ظَهرِه». وذَكر بَقِيَّة الحَديثِ بِنحْو مَا تقدم. وقَال فِي آخِرِه: قَالِ عبدُ الله: «فَلَقَد رَأَيْتُهُم قُتِلُوا يومَ بَدرٍ جَميعًا، ثُمَّ سُحِبوا إلَىٰ القَلِيبِ، غَيرَ أُبَيٍّ -أَوْ أُمَيَّةَ- فَإِنَّه كَانَ رَجُلًا ضَخْمًا فتَقَطَّع».

وفِي روَايَةٍ للبُخَاريِّ: أنَّ رسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: **«وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ القَلِيبِ لَعْنَةً»**.

وقَدْ رَواه أبُو نُعَيم فِي **«دَلائِل النُّبُوَّة»** بِنَحوِ مَا تقَدَّم، وَزَاد بِعْدَ ذِكرِ دُعاءِ

---

(١) كذا جاء في «صحيح مسلم»، وصوابه: «الوليد بن عتبة»، وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٢/ ١٥٢).

النَّبيِّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ علىٰ قُريش وَتَسْمِيَتِه مَنْ سَمَّىٰ مِنهم. قَالَ: «ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مِنَ المَسجِدِ وَلَقِيهُ أَبُو البُخْتُرِيُّ وَمَع أَبِي البُخْتُرِيُّ سَوْطٌ يَتَخَصَّرُ(١) بِهِ، فَلَمَّا لَقِيَهُ النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْكَرَ وَجْهَهُ فَأَخَذَهُ فَقال: تَعال مَا لَكَ؟ قَالَ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**خَلِّ عَنِّي**»، قَالَ: عَليَّ للهِ أَنْ لا أُخَلِّيَ عَنْكَ أَوْ تُخْبِرَنِي مَا شَأْنُكَ، فَلَقَدْ أَصَابَكَ شَيءٌ؟ فَلَمَّا عَلِمَ النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنَّهُ غَيْرُ مُخَلٍّ عَنْهُ أَخْبَره فقَالَ: «**إِنَّ أَبَا جَهْلٍ أَمَرَ أَنْ يُطْرَحَ عَلَيَّ فَرْثٌ**».

فَقَالَ أَبُو البُخْتُرِيُّ: هَلُمَّ إِلَىٰ المَسْجِدِ، فَأَبَىٰ، فَأَخَذَهُ أَبُو البُخْتُرِيُّ فَأَدْخَلَهُ إِلَىٰ المَسْجِدَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَىٰ أَبِي جَهْلٍ فقَالَ: يَا أَبَا الحَكَم، أَنْتَ الذِي أَمَرْتَ بِمُحَمَّد فَطُرِحَ عَلَيهِ الفَرْثُ؟ قَالَ: نَعَم، فَرَفَعَ السَّوْطُ فَضَرَبَ رَأْسَهُ فَثَارَتِ الرِّجَالُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، فَصَاحَ أَبُو جَهْل فَقَالَ: وَيْحَكُمْ! مَنْ لَهُ؟! إِنَّمَا أَرَادَ مُحَمَّدٌ أَنْ يُلْقِي بَيْنَنَا العَدَاوَةَ وَيَنْجُو هُو وَأَصْحَابِه»(٢).

وَفِي «الصَّحيحَينِ» أَيضًا: عَن عَبد اللهِ بنِ مَسعُود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «اسْتَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الكَعْبَة فَدَعَا عَلَىٰ نَفَرٍ مِنْ قُرَيش، عَلَىٰ شَيْبَة بن رَبِيعَة، وَعُتْبَة بن رَبِيعَة، وَالوَلِيدِ بن عُتبَة، وأَبِي جَهْل بن هِشَام، فَأَشْهَدُ بِاللهِ لَقَد رَأَيْتُهُم

---

(١) أي: يمسكه بيده.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٣، ٤١٧) (٣٧٢٢، ٣٩٦٢)، والبخاري (٢٤٠، ٥٢٠) ومسلم (١٧٩٤)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٢٦٦)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

صَرْعَىٰ قَدْ غَيَّرَتْهُم الشَّمْسُ وَكَانَ يومًا حَارًّا». [هَذَا لَفْظُ البُخاري].

وَلَفظُ مُسلِم قَال: «اسْتَقبلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ البيتَ فَدعَا عَلَىٰ سِتَّةِ نَفَرٍ فِيهم: أَبُو جَهل، وَأُمَيَّة بن خَلَف، وَعُتْبَة بن رَبِيعَة، وَشَيبَة بن رَبِيعَة، وَعُقْبَة بن أَبِي مُعَيط، فَأُقْسِمُ بِاللهِ لقَدْ رأيْتُهُم صَرْعىٰ عَلَىٰ بَدْر قَد غَيَّرَتْهم الشَّمسُ وَكَان يومًا حَارًّا». [وَقَد رَوَاه الإمَامُ أَحْمَد، والبَيْهَقِي فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**» بِنَحْو رِوَايَةِ مُسلِمٍ، وَعَنْدَهُما فِي أَوَّلِه: «فَدَعَا عَلَىٰ نَفَرٍ مِن قُرَيش سَبْعَة»][1].

وقَد رَوَىٰ ابن سَعدٍ فِي «**الطَّبَقَات**»[2]، عَن الوَاقِدَي قَال: حَدَّثَني ابن مَوْهِب، عَن يَعْقُوب بن عُتْبَة قَال: «كَانَ أَهْل العَداوةِ والمُبَادَاةِ لِرسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأصْحابِهِ، الذِين يَطْلُبُون الخُصُومَة والجَدَلَ؛ أَبُو جَهل بن هِشَام، وأبُو لَهَب بن عبدِ المُطَّلِب -وَذكَرَ عِشْرِينَ رَجُلًا مِن أَئِمَّة الكُفْرِ وَصَنَادِيد قُرَيش ثُمَّ قَال-: وَالذِينَ كَانَتْ تَنْتَهي عَدَاوةُ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَيْهِم؛ أَبُو جَهْل، وَأَبُو لَهَب، وعُقْبَة بن أَبِي مُعَيط».

قُلتُ: وَقد انْتَقَم اللهُ مِن هَؤلاءِ الثَّلاثَة وَأَقَرَّ عيْنَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِهلاكِهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤١٧) (٣٩٦٢)، والبخاري (٣٩٦٠)، ومسلم (١٧٩٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٥)، وغيرهم من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطَّبقات» (١/ ٢٠٠)، وفي إسناده الواقدي تقدم بيان حاله.

فَأمَّا أبُو جَهْل فَإِنَّه قُتلَ فِي المَعركَةِ يَومَ بَدرٍ، ضَربَه ابنا عَفْرَاء حتَّىٰ بَرَدَ، ثُمَّ أَجْهَزَ عَلَيهِ عَبْدُ اللهِ بنِ مَسعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ واحتَزَّ رَأسَهُ وَجَاءَ بِه إِلَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَألقَاهُ بينَ يَديْهِ فَحمِدَ اللهَ وَقَالَ: «**هَذَا فِرْعَونُ هَذِهِ الأُمَّةِ**».

وقَد رَوَىٰ البَيْهَقي فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**»، عَن الوَاقِدي قَال: «وَقَف رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ مَصرَعِ ابني عَفْرَاء فقَال: «**يَرْحَمُ اللهُ ابني عفْرَاءَ، فَهُمَا شُرَكَاءُ فِي قَتْلِ فِرْعَوْنِ هَذِهِ الأُمَّةِ وَرَأْسِ أَئِمَّةِ الكُفْرِ**»، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ! وَمَنْ قَتلَهُ مَعَهُمَا؟ قَال: «**المَلَائِكَةُ، وَابْنُ مَسْعُودٍ قَدْ شَرِكَ فِي قَتْلِهِ**»(١).

قَالَ ابن كَثِيرٍ فِي «**البِدَايَة وَالنِّهَايَة**»(٢): «كَانَ قَتلُ أَبي جَهلٍ عَلَىٰ يَدَي شَابٍّ مِن الأنْصَار، ثُمَّ بَعدَ ذَلكَ وَقَف عَلَيهِ عَبدُ اللهِ بن مَسعُودٍ وَمَسَكَ بِلحْيَتِهِ وَصَعِد عَلَىٰ صَدرِه حَتَّىٰ قَالَ لَه: لَقَد رَقِيتَ مُرتَقًىٰ صَعْبًا يَا رُوَيْعِيَّ الغَنَم! ثُمَّ بَعْدَ هَذَا حَزَّ رَأسَهُ واحْتَمَلَهُ حَتَّىٰ وَضَعه بَينَ يَدَي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَشَفَىٰ اللهُ بِهِ قلوبَ المُؤمنينَ، وكَان هَذا أبْلَغ مِنْ أَنْ تَأتِيهِ صاعِقةٌ أَوْ أَنْ يَسقطَ عَليهِ سَقفُ مَنزلِهِ أو يَمُوتَ حَتْفَ أَنْفِه»؛ انتهىٰ.

وَقَد رَوَىٰ البَيهقِيُّ في «**دَلائِل النُّبُوَّة**» عَن أَبِي إِسْحَاق قَال: «لَمَّا جَاء رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البَشيرُ يَومُ بدْرٍ بِقَتْلِ أَبِي جهْل اسْتَحْلَفَهُ ثَلاثَةَ أيمَان: اللهِ الذِي لا إِلَهَ

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٨)، وفي إسناده الواقدي تقدم.

(٢) (٣/ ٢٩٦).

إلا هُو لَقَدْ رَأَيتُهُ قَتِيلًا، فَحلَفَ لَهُ، فَخرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ سَاجدًا»(١).

وَروىٰ البَيهَقِيُّ -أيْضًا- عَن عَبدِ اللهِ بن أبي أوْفَىٰ، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ صلَّىٰ الضُّحَىٰ رَكْعَتَين حِينَ بُشِّرَ بِالفَتْحِ وَحِينَ جِيءَ بِرَأْسِ أَبِي جَهْلٍ(٢).

وَأَمَّا أَبُو لَهَب وَعُقْبَة بن أَبِي مُعَيط فَإِنَّهُمَا كانَا جارَين لِرَسُولِ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَكَانَا يُؤذِيَانهِ أَشَدَّ الأذَىٰ.

قَالتْ عَائشَةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **«كُنْتُ بَيْنَ شَرِّ جَارَينِ بَينَ أَبِي لَهَبٍ وَعُقْبَةَ بن أَبِي مُعَيْطٍ، إنْ كَانَا يَأتِيَان بَالفُرُوثِ فَيطْرَحَانِهَا عَلَىٰ بَابِي، حَتَّىٰ إِنَّهُم لَيَأْتُونَ بِبَعْضِ مَا يَطْرَحُونَ مِنَ الأَذَىٰ فَيَطْرَحُونَهُ عَلىٰ بَابِي»**، فَيَخْرُجُ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَيَقُولُ: **«يَا بَنِي عَبْدِ مَنَاف، أَيُّ جِوَارٍ هَذا؟!»**، ثُمَّ يُلقِيهِ بِالطَّرِيق». [رَوَاهُ ابن سَعدٍ فِي **«الطَّبَقَات»** وَذَكَرَه البِلَاذِرِيُّ فِي **«أَنْسَاب الأَشْرَاف»** بِنَحْوِه](٣).

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٩) وإسناده ضعيف مرسلًا. فيه عنبسة بن الأزهر أبو يحيىٰ الكوفي صدوق ربما أخطأ، وشيخه هو أبو إسحاق السبيعي عمرو بن عبد الله الهمداني ثقة مكثر عابد من الثالثة.

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٩) وإسناده ضعيف. فيه سلمة بن رجاء صدوق يغرب، والشعثاء امرأة من بني أسد، وهي شعثاء بنت عبد الله الأسدية، الكوفية لا تعرف.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٠١) وفي إسناده الواقدي تقدم. وانظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٣١).

وَذَكَر البِلَاذِرِيُّ أيْضًا: «أنَّ أَبَا لَهبٍ كانَ يَطرَح القَذرَ والنَّتنَ عَلىٰ بَاب رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَآهُ حَمزَةُ بن عَبدِ المُطَّلِب وَقَد طَرحَ مِن ذَلكَ شَيئًا، فَأَخَذَهُ وَطَرَحَه عَلىٰ رَأسِه، فَجَعلَ أَبُو لَهبٍ يَنْفِضُ رَأسَه وَيَقولُ: صَابِئٌ أَحْمَق، فَأَقْصَر عَمَّا كانَ يَفعَلُ لَكِنَّه كانَ يَدسُّ مَن يَفْعلُهُ». [وقَد ذَكَره ابن الأثِير فِي «الكامل» بِنَحوِه][1].

وَقَد قَصَم اللهُ أبَا لَهبٍ بَعد وَقعَةِ بَدر بِقَليلٍ وَألحَقهُ بِإخوانهِ مِن أئِمَّة الكُفرِ وصَنادِيد قُريش بَعدمَا أذَاقهُ حَرَّ المُصيبَةِ بِقَتلِهِم.

قَالَ ابن إسْحاق: «حَدثَنِي حُسينُ بن عَبدِ اللهِ بن عُبيد اللهِ بن عَبَّاس، عَن عَكرِمَة[2] مَولىٰ ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَال: قَالَ أَبُو رَافعٍ مَولىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كُنتُ غُلامًا للعَبَّاس بن عبد المُطَّلب، وكانَ الإسلامُ قدْ دَخلَنا أهْلَ البَيتِ، فَأسْلَم العَبَّاسُ وأسْلَمتْ أُمُّ الفَضلِ وَأسْلَمْتُ، وكَانَ العَبَّاسُ يَهابُ

---

(١) انظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٣١)، و«الكامل» (١/ ٥٩٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٧٣)، وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة مولىٰ ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولىٰ رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد اختلف فيه علىٰ ابن إسحاق، فأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ٣٠٨) (٩١٢)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٦٣) (٥٤٠٣)، وغيرهما من طريق محمد بن إسحاق -أيضًا- قال: حدثنا حسين بن عبد الله، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي رافع، فزاد في إسناده ذكر ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وكيفما كان فالحسين هذا ضعيف كما في «التقريب».

قَومَه ويَكْرَه خِلَافَهُم، وكَان يَكتُم إسْلَامَه، وكَان ذَا مَالٍ كَثيرٍ مُتَفرِّق فِي قَومِه.

وكَانَ أبُو لهَبٍ قَد تَخَلَّفَ عَن بَدرٍ فَبعثَ مَكَانَه العَاصِي بن هِشَام بن المُغِيرَة، وَكَذلكَ كَانُوا صَنعوا، لَم يَتَخَلَّف رَجُلٌ إلا بَعَث مَكانَه رَجُلًا، فَلَمَّا جَاءه الخَبَر عَن مُصابِ أصْحابِ بَدرٍ مِن قُريش كَبَته اللهُ وأَخزَاه، وَوَجدْنا فِي أَنْفُسِنا قُوَّةً وَعِزًّا.

قال: وَكُنتُ رَجُلًا ضَعيفًا، وكُنتُ أعمَلُ الأَقدَاحَ أَنْحَتُها فِي حَجرَة زَمْزَم، فَوَاللهِ إِنِّي لَجالِسٌ فِيها أَنْحِت أَقدَاحي وعِنْدي أُمُّ الفَضْل جَالِسة، وقَد سَرَّنا مَا جاءنَا مِن الخَبَر؛ إذْ أقْبَل أبُو لَهَبٍ يَجُرُّ رِجلَيهِ بِشَرٍّ حتَّىٰ جَلَس عَلَىٰ طنَب الحَجَرَة فكَان ظَهْرُه إلَىٰ ظَهْري، فَبينَما هُو جَالسٌ إذْ قَال النَّاس: هَذا أَبُو سُفيانَ بن الحَارثِ بن عبْد المُطَّلِب قَد قَدِم.

قَالَ: فقَال له أبُو لَهبٍ: هَلُمَّ إِليَّ، فَعَندَك لَعَمْرِي الخَبَرُ، قالَ: فَجلس إِلَيهِ والنَّاسُ قِيامٌ عَليه، فقَال: يَا ابنَ أخِي، أخْبِرنِي كَيفَ كَان أمرُ النَّاس؟ قَال: واللهِ مَا هُوَ إلا أَنْ لَقِينَا القَومَ فَمَنحْنَاهُم أَكْتَافَنَا يَقْتُلونَنَا كيفَ شاءُوا وَيَأسِرُونَنا كيفَ شَاءوا، وايْمُ اللهِ، مَعَ ذلكَ مَا لُمْتُ النَّاس، لَقِينَا رِجالًا بِيضًا عَلَىٰ خَيلٍ بلقٍ بَينَ السَّمَاء والأَرْضِ، واللهِ مَا تلِيقُ (١) شَيئًا وَلا يَقُوم لَها شَيءٌ.

قَال أَبُو رَافع: فَرفَعتُ طَنَب الحَجرة بيَدي ثُمَّ قُلتُ: تِلكَ واللهِ المَلائِكةُ،

---

(١) أي: ما تُبقي شيئًا.

قَال: فَرفعَ أبُو لَهبٍ يَدهُ فَضربَ بِها وَجهِي ضَربةً شَدِيدة، قَال: وَثَاوَرْتُه فَاحْتَمَلني فَضَرب بِيَ الأرْضُ ثُمَّ بَركَ عَليَّ يَضرِبني، وَكُنتُ رَجُلًا ضَعيفًا، فَقامَت أُمُّ الفَضلِ إِلَىٰ عَمودٍ مِن عُمُد الحُجْرَة فَأَخذَتْهُ فَضَربتَهُ بِه ضَربةً فَبلغَت فِي رَأسِه شَجَّة مُنْكَرة، وقَالتْ: اسْتضعَفْتَه أَنْ غَاب عَنهُ سيِّدُه، فَقام مُوَلِّيًا ذليلًا، فَواللهِ مَا عَاش إلا سَبْعَ لَيالٍ حتَّىٰ رَماه اللهُ بِالعَدَسَة فقَتَلته».

زَادَ يُونُس عَن ابن إسْحَاق: «فَلَقَد تَركَهُ ابناه بَعدَ مَوتِه ثَلاثًا مَا دَفَنَاه حَتَّىٰ أَنْتَن. وكَانَتْ قُريش تَتَّقي هَذِه العَدَسَة كَما تَتَّقي الطَّاعُونَ، حتَّىٰ قَال لَهُم رَجُلٌ من قُريش: وَيْحكُما! ألا تَستَحِيان؟! إنَّ أَبَاكُمَا قَد أَنْتَنَ فِي بَيتِه لا تَدفِنَانِه. فَقَالا: إنَّا نَخشَىٰ عَدْوَةَ هذِه القُرحَةِ، فقَالَ: انْطَلِقا فَأَنَا أُعِينكُما عَليه، فَوَاللهِ مَا غَسَّلُوه إلا قَذْفًا بِالمَاءِ عَليهِ مِن بَعيدٍ مَا يَدنُونَ مِنهُ، ثُمَّ احتَملوه إِلَىٰ أعْلَىٰ مَكَّة فَأَسْنَدُوه إِلَىٰ جِدَارٍ ثُمَّ رَضَمُوا عليه بِالحِجَارة».

وأَمَّا عُقبَة بن أَبِي مُعَيطٍ فَقَد تَقَدَّم فِي حَديثِ عَائِشة رَضِيَٱللَّهُعَنهَا أنَّه كَان جَارًا لِلنَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ هُو وأبُو لَهَب، وكَانَا شَرَّ جَارَينِ، وكَانَا يَأتِيانِ بِالفُرُوثِ فَيطْرَحانِهَا عَلىٰ بَابِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ، وَيأتِيَانِ بِبعْضِ مَا يَطْرَحُون مِنَ الأَذَىٰ فَيطْرَحَانهِ عَلىٰ بَابهِ.

قَالَ ابنُ الأثِيرِ فِي «**الكَامِل**»[١]: «كَانَ -يِعنِي عُقْبَة بن أَبِي مُعَيط- مِن أَشدِّ

(١) (١/ ٦٧١).

النَّاسِ أذًى لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعَداوةً له ولِلمُسلِمينَ، عَمَدَ إلَىٰ مِكْتَل فَجَعل فِيهِ عَذْرَة وَجَعَلهُ عَلىٰ بابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبصُرَ بِهِ طُلَيبُ بن عُمَير بن وَهْب بن عَبد مَناف بن قُصَي، وَأُمهُ أَروَىٰ بنتُ عَبد المُطَّلب، فَأَخَذ المِكْتَلَ مِنْهُ وضَرَب بِه رَأْسه وَأَخذ بِأُذُنيه، فشَكاه عُقْبَةُ إلَىٰ أُمِّه فَقَال: قدْ صارَ ابنك ينْصُر مُحَمَّدًا، فَقَالت: وَمَن أوْلَىٰ بِه مِنَّا؟! أمْوالُنا وَأنْفُسنا دُونَ مُحَمَّد. وأُسِر عُقْبَة بِبدرٍ فَقُتِل صَبْرًا، قَتَله عَاصمُ بن ثَابِت الأنْصاري، فَلَمَّا أَراد قَتلَهُ قَالَ: يَا مُحَمَّد، مَنْ للصِّبْيَة؟ قَال: «**النَّارُ**».

وَروَىٰ البَيهَقِيُّ فِي «**دَلائِل النبوة**»[١] عن الواقدي قال: «كانَ عُقبَة بن أَبِي مُعَيط بِمَكَّة، والنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُهاجرٌ بِالمَدينَة، فكَان يَقُول بِمَكَّة فِيهِ بِبيتَينِ مِن شِعر[٢]، فَقَال النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَلَغه قَولُه: «**اللَّهُمَّ كُبَّهُ لِمِنْخَرِهِ وَاصْرَعْهُ**»، فَجَمَحَ بِهِ فَرَسُه يَومَ بَدرٍ فَأَخذَهُ عَبدُ اللهِ بن سَلَمَة العِجْلَانِي، فأمَرَ بِه النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاصِمَ بن ثابِت بن أَبِي الأَفْلَح فَضَربَ عُنُقَه صَبْرًا».

وَقال حَمَّاد بن سَلَمَة، عَن عَطَاء بن السَّائِب، عَن الشَّعْبِي قَال: «لَما أَمر

---

(١) أخرجه البيهقي في «دَلائِل النبوة» (٣/ ٩٤) وفي إسناده الواقدي تقدم.

(٢) قد ذُكِر البيتان في حاشية «دلائل النبوة» وهما:

يـا راكـب الناقـة القصـواء هاجرنـا ... عمـا قليـل تـراني راكـب الفـرس

أُعِـلَّ رمحـي فـيكم ثـم أنهلـه ... والسيف يأخذ منكم كل ملتمس

رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقتلِ عُقبَة، قَالَ: أَتَقْتُلُنِي يا مُحَمَّدُ بَينَ قُرَيش؟ قالَ: «نعَمْ، أَتَدْرُونَ مَا صَنعَ هَذَا بِي؟ جَاءَ وَأَنَا سَاجِدٌ خَلفَ المَقَامِ فَوَضَعَ رِجْلَهُ عَلَىٰ عُنُقِي وَغَمَزَهَا فَمَا رَفَعَهَا حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّ عَيْنَيَّ سَتَنْدَرَان، وَجاءَ مَرَّةً أُخْرَىٰ بِسَلا شَاةٍ فَأَلْقَاه عَلَىٰ رَأسِي وَأَنَا سَاجِدٌ، فَجَاءَتْ فَاطِمَةُ فَغَسَلَتْهُ عَنْ رَأسِي». [ذَكَرَهُ ابن كَثيرٍ فِي «البداية والنهاية»][1].

وَمِن قَصَصِ المُؤذِينَ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قِصَّةُ أُمِّ جَميلٍ امرأةِ أَبِي لَهَب.

قَال البلَاذِرِيُّ: «كانَتْ أُمُّ جَمِيلٍ ابنة حَرب تُؤذِي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَثِيرًا، وَهِي حَمَّالَةُ الحطَب، وَإِنَّما سمَّاهَا اللهُ تَعالىٰ بذَلِك لِأَنَّها كانَتْ تَحمِلُ الشَّوْكَ فَتَطرَحهُ بِاللَّيلِ عَلىٰ طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيثُ يَمرُّ هُو وأَصْحَابُه لتَعْقِرهم بِذَلك، فَبِينَا هِي ذَاتَ يَومٍ تَحمِلُ حِزمَة أَعيَت فَقَعَدتْ عَلىٰ حَجَرٍ تَستَرِيحُ، أَتَاهَا مَلَكٌ فَجذَبَها مِن خَلفِهَا بِالحبْل الذِي فِي عُنُقِها فَخَنَقَهَا بِه»[2].

ومِن قَصصِ المُؤذِين لِرسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قِصَّة عُتَيبَة بن أَبِي لَهَب.

---

(١) هذه القصة أوردها ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/ ٣٠٦). قال الألباني: «مرسل»، انظر: «الإرواء» (٥/ ٤٠).

(٢) انظر: «سبل الهدىٰ والرشاد» (٢/ ٤٦٣) للصالحي.

وَقَد رَوىٰ البَيهَقي قِصَّتَه فِي «**دلائل النبوة**»، مِن طَرِيق عَبَّاس بن الفَضْل الأزْرَق قَال: حَدَّثَنا الأسْوَد بن شَيْبَان، قَالَ: حدَّثَنا أبُو نَوْفَل بن أبِي عَقْرب، عَن أَبِيه، قَال: «كانَ لَهَبُ بن أبِي لَهَب يَسُبُّ النَّبي صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدْعُو عَليهِ، فَقالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيهِ كَلْبَكَ**»، قَالَ: وكَان أبُو لَهَب يَحْمِل البَزَّ إلَىٰ الشَّام ويَبْعَث بِوَلدِه مَع غِلمانِهِ وَوُكلائِهِ ويَقُول: إنَّ ابني أخَافُ عليهِ دَعوَةَ مُحَمَّد فَتَعاهَدُوه، قَال: وَكانُوا إذَا نَزَل المَنزِلَ ألزَقُوه إلَىٰ الحَائطِ وغَطُّوا عَليهِ الثِّيابَ والمَتاع، قَال: فَفَعلوا ذَلكَ بهِ زَمَانًا، فَجاءَ سَبعٌ فَنَشَلَهُ فقتَلَهُ، فَبَلغ ذَلكَ أبَا لَهبٍ: فقَالَ: أَلَمْ أَقُل لَكم إِنِّي أَخافُ علَيهِ دَعوَة مُحَمَّد؟!». [قَالَ البَيهَقِيُّ: كَذا قَال عَبَّاسُ بن الفَضل ولَيسَ بالقَوِي: لَهب بن أَبِي لَهَب، وأهْلُ المَغَازي يَقُولُون: عُتْبَة بن أَبِي لَهَب، وقَال بُعضُهم: عُتَيبَة].

قلتُ: قَد رَواه الحَاكِم فِي «**المستدرك**»، منْ طريقِ العَبَّاس بن الفَضل الأنْصَارِي، عَن الأسْوَد بن شَيبَان، عَن أَبِي نَوفل بن أبِي عَقْرب، عَن أَبِيه قَال: «كانَ لَهبُ بن أبِي لَهَب يَسُبُّ النَّبِيَّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَال النَّبِيُّ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبَكَ**»، فَخَرجَ فِي قَافلة يُرِيدُ الشَّامَ، فَنَزلَ مَنْزِلًا فَقَال: إِنِّي أخَافُ دَعوَة مُحَمَّد، قَالوا لَه: كَلَّا، فَحَطُّوا متاعَهُم حَولَهُ وَقَعدُوا يَحرُسُونَه، فَجَاء الأسَدُ فَانتَزَعَهُ فَذهبَ بِه». [قَالَ الحَاكِم: صَحِيحُ الإسْنَادِ، وَوَافَقهُ الذَّهَبي فِي «**تلْخِيصِه**»][1].

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٨)، والحاكم فِي «المستدرك» (٢/ ٥٨٨) =

قَالَ البَيهَقِيُّ: وَفِيمَا أَخْبَرَنا أَبُو عَبدِ اللهِ قِراءَة عَلَيه قَالَ: «كانَتْ أُمُّ كُلثُوم - يَعنِي ابنةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ - فِي الجَاهِلِيَّةِ تَحتَ عُتَيبة بن أَبِي لَهبٍ، وَكَانَتْ رُقَيَّة تَحتَ أَخِيهِ عُتبَة بن أَبِي لهَب، فَلَمَّا أَنـزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ [المَسَد: ١]، قال أَبُو لَهَب لابْنَيهِ عُتيبة وَعُتبَة: رَأسِي ورُءوسُكُمَا حَرامٌ إِن لَم تُطَلِّقا ابنتَي مُحمَّد، وَسَأل النَّبيُّ ﷺ عُتبَة طَلاق رُقَيَّة وَسَألتْهُ رُقيَّة ذَلك. وقالَتْ لَهُ أُمُّ كُلثُوم[1] بِنت حَربِ بن أُمَيَّة -وَهِي حَمَّالَة الحَطَب-: طلِّقْها يا بُنَي، فَإِنَّها قَد صَبَت، فَطَلَّقَها، وَطَلَّق عُتَيبةُ أُمَّ كُلثُوم.

وجَاء إِلَىٰ النَّبِي ﷺ حِين فَارقَ أُمَّ كُلثُوم فَقالَ: كَفَرتُ بِدِينك وفَارَقْتُ ابنتَك، لا تُحِبَّنِي وَلا أُحِبَّك، ثُمَّ تسلَّط عَلىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَشَقَّ قَمِيصَه، فَقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَا إِنِّي أَسأَلُ اللهَ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَيهِ كَلْبَهُ**»، فَخَرج نَفرٌ مِن قُرَيش حتَّىٰ نَـزلوا فِي مَكانٍ مِن الشَّام يَقُول لهُ: الزَّرْقَاء، لَيلًا فَأطَافَ بِهم الأَسَدُ تِلْكَ اللَّيْلَة فَجَعل عُتَيبَة يَقُول: يَا وَيلَ أُمِّي! هُو واللهِ آكِلِي كَما دَعَا مُحَمَّدٌ عَليَّ، قَتَلَنِي ابن أَبِي كَبْشَة وَهُو بِمَكَّة وَأنا بِالشَّام، فَعدَا عَلَيهِ الأَسَدُ مِن بَينِ القَومِ وأَخذَ بِرأسِهِ فَضَغَمَه ضَغْمَة فَذَبَحه».

=

(٣٩٨٤)، وغيرهما. وإسناده ضعيف جدًّا، فيه العباس بن الفضل الأنصاري متروك الحديث، انظر: «ميزان الاعتدال» (٢/ ٣٨٥).

(١) كذا في «دلائل النبوة»، والصواب: أم جميل.

قَالَ أَبُو عبْدِ اللهِ: فحَدَّثنَا بِجميعِ ذلِكَ مُحمَّدُ بنُ إسْمَاعيل الحَافِظ قَال: حدَّثنا الثَّقفِي قَال: حدَّثنا أحْمَد بن المِقدَامِ قَال: حدَّثنا زُهَيرُ بن العَلاءِ العَبْدي، عَن ابن أَبِي عَرُوبَة، عَن قَتَادة، قَال زُهَير: وَحَدَّثنا هِشامُ بن عُروَة، عَن أَبِيه: أَنَّ الأَسَدَ لَمَّا طَافَ بِهم تِلكَ اللَّيْلَة انْصَرفَ عَنهُم فناموا وَجُعِلَ عُتيبَة فِي وَسَطهم، فأقْبَلَ الأَسَدُ يَتَخطَّاهم حَتَّىٰ أَخذَ بِرأسِ عُتَيبةَ فَفَدَغَه». [وَقدْ رَوَىٰ أَبُو نُعيم فِي «**دلائِل النُّبُوَّة**» قِصَّة ابن أَبِي لَهَب مِن عِدَّة طُرُق][(١)].

وَمِن قَصَص المُؤذِين لِرسُولِ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ والمُنَاوِئينَ لَهُ: قِصَّة أُبَيِّ بن خَلَف، وَقَد رُوِيتْ قصَّتُه مِن طُرق.

منها: مَا رَواه ابن سَعدٍ فِي «**الطَّبَقَات**» عن سعيد بن المُسَيِّب: «أَنَّ أُبَيَّ بن خَلَف الجُمَحِي أُسِرَ يَومَ بَدرٍ، فَلمَّا افتُدِي مِن رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَال لِرَسولِ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: إنَّ عِندِي فَرَسًا أعْلِفُها كُلَّ يَومٍ فَرَقَ ذُرَة لَعَلِّي أَقْتُلُك علَيْها، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ عَلَيهَا إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فَلمَّا كَان يَومَ أُحُدٍ أَقبَل أُبَيُّ بنُ خَلَف يَركُضُ فَرَسُه تِلكَ حتَّىٰ دَنَا مِن رَسُول اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَاعْتَرَضَ رِجالٌ مِن المُسلِمِينَ لَه لِيقْتُلُوه، فَقَال لَهُم رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**اسْتَأخِرُوا اسْتَأخِرُوا**»، فَقَام رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِحَرْبَةٍ فِي

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٣٩)، وانظر: «دلائل النبوة» -أيضًا- لأبي نعيم (ص٣٨٠).

يَده فَرمىٰ بِهَا أُبيَّ بنَ خَلَف فكَسَرت الحَرْبَةُ ضِلعًا مِن أضْلاعِهِ، فَرجَع إلَىٰ أصْحَابهِ ثَقِيلًا فَاحتَمَلُوه حتَّىٰ وَلَّوا بِه، وطَفِقُوا يَقُولون لَه: لا بَأسَ عَليكَ، فَقَال لَهم أُبيٌّ: أَلَمْ يَقُل لِي: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فانْطَلَق بِه أصحَابُه فَمَات بِبعْضِ الطَّرِيق فَدَفَنُوه.

قالَ سَعيدُ بن المُسَيِّبِ: وَفِيه أَنـزَل اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧]».

وقَد رَوَاه الحَاكِم فِي «**المُستَدْرك**» مِن طَرِيقِ مُوسَىٰ بن عُقْبَة، عَن ابن شِهَاب، عَن سَعيد بن المُسَيِّب، عَن أَبيه قَال: «أقْبَل أُبيُّ بن خَلَف يَوم أُحُد إلىٰ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُرِيدُه، فاعْتَرَض رِجالٌ مِن المُؤمِنِينَ، فَأَمرَهم رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَخلَّوا سَبِيلَه، فاسْتَقْبَلَه مُصعَبُ بن عُمَير أَخُو بَنِي عَبدِ الدَّارِ، وَرَأىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ تُرْقُوَةَ أُبي مِنْ فُرجَةٍ بينَ سَابِغَة الدِّرْعِ والبَيضَة، فطَعَنَه بِحَربَتِهِ فَسَقطَ أُبَي عَن فَرَسه وَلَم يَخرُج مِن طَعنَتِه دَمٌ، فكَسَر ضِلعًا مِن أضْلَاعِهِ، فَأَتَاه أصْحَابُه وهُو يَخُور خِوَارَ الثَّور فَقالوا لَه: مَا أعْجَزَك! إنَّمَا هُو خَدْش، فَذَكر لَهم قَولَ رَسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُ أُبيًّا**»، ثُمَّ قال: وَالذِي نَفسِي بِيدِهِ، لَو كَان هَذا الذِي بِي بِأَهلِ ذِي المَجَاز لمَاتُوا أَجمَعِين. فمَات أُبي إلَىٰ النَّار، فَسُحْقًا لأصْحَاب السَّعِير قَبلَ أَن يَقْدمَ مَكَّة، فأَنـزَل اللهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ الآية».

[قَالَ الحَاكِم: صَحِيحٌ علَىٰ شَرطِ الشَّيخَين، وَوَافَقه الذَّهَبي فِي «تَلخِيصِه». وَقَد رَواهُ البَيهَقِيُّ في «دلائل النبوة» بِنَحوِه][(١)].

وَقَولُ سَعيدِ بن المُسَيِّب رَحِمَه اللهُ تعَالَىٰ: إنَّ الآيَة مِن سُورَة الأَنفَالِ نَزلتْ فِي رَمْي النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُبَي بن خَلَف يَومُ أُحد غَريبٌ جِدًّا. والصَّحِيحُ أنَّ الآيَةَ نَزلتْ فِي رَمِي النَّبِي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَ الكَافرينَ يَومَ بَدرٍ بِالقَبضَةِ مِن التَّرابِ، فلَمْ يَبْقَ مُشركٌ إلا دَخل فِي عَينَيهِ ومِنْخَريهِ وَفَمهِ تُرابٌ مِن تِلكَ القَبْضَة فَوَلَّوا مُدبِرين.

وقَد رَوَىٰ ابنُ جَرير[(٢)] عَن الزُّهرِي مِثل قَولِ سَعيد بن المُسَيِّب فِي تَفسيرِ الآيَةِ مِن سُورَة الأنْفَال. [قَال ابن كَثير[(٣)]: وَهذَا القَولُ عَن هَذَينِ الإمَامَين غَريبٌ جِدًّا، ولَعَلَّهمَا أَرادَا أنَّ الآيَةَ تَتَناوَلُهُ بِعُمومِها لا أَنَّها نَزلتْ فيهِ خاصَّة. انتهىٰ].

وقالَ ابنُ إسْحاق: «لَمَّا أُسْنِد رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الشِّعْب أدْرَكَه أُبي بن خَلَف وَهُو يَقُول: أَينَ مُحَمَّد؟ لا نَجَوْتُ إنْ نَجوتَ، فَقَال القَوْم: يَا

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٥٧) (٣٢٦٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٨)، وغيرهم من طرق عن سعيد بن المسيب به مرسلًا.

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١١/ ٨٧)، وغيره عن الزهري مرسلًا.

(٣) انظر: «تفسيره» (٤/ ٣٢).

رَسُول اللهِ، أيَعْطِف عَلَيه رَجُلٌ مِنَّا؟ فَقال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**دَعُوهُ**»، فَلمَّا دَنا مِنه تَناول رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ الحَرْبَة مِن الحَارِث بن الصِّمَّة -يَقول بَعضُ القَوم، فِيما ذكر لِي-، فَلمَّا أخَذَها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِنْه انْتَفَض بِها انْتِفَاضة تَطَايَرنَا عَنْه تَطَايرَ الشُّعَرَاء(١) عَن ظَهرِ البَعِير إذَا انْتَفَض بِها، ثُمَّ اسْتقبلَهُ فَطَعنَهُ فِي عُنُقِه طَعْنة تَدَأدَأ(٢) مِنهَا عَن فَرَسِهِ مِرارًا».

قالَ ابنُ إسْحَاق: «وكانَ أُبَي بن خَلَف -كَمَا حَدَّثني صَالح بن إبْرَاهيم بن عَبدِ الرَّحمن بن عَوْف- يَلقَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّة فَيَقُول: يَا مُحَمَّد، إنَّ عِنْدي العَوْدَ فَرَسًا أعْلِفُه كُلَّ يَومٍ فَرَقًا مِن ذُرةٍ، أقْتُلُكَ عَلَيهِ، فَيَقول رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ اللهُ**»، فَلَمَّا رَجع إلَىٰ قُرَيش وقَدْ خَدَشَه فِي عُنُقِه خَدشًا غَيرَ كَبيرٍ فَاحتَقَن الدَّم، قَال: قَتَلني مُحَمَّد، قَالوا لَه: ذَهبَ واللهِ فُؤادُكَ! واللهِ إن بِكَ بَأسٌ. قَال: إنَّه قَد كَان قَالَ لِي بِمكَّة: «**أَنَا أَقْتُلُكَ**»، فَوَاللهِ لَو بَصَق عَلَيَّ لَقَتَلَني، فَمَات عَدُوُّ اللهِ بِسَرِف وَهُم قَافِلون بِهِ إلَىٰ مَكَّة». [وَقَد رَوَاه ابن جَرِير فِي «**تاريخه**» عَن ابن إسْحَاق](٣).

---

(١) قال ابن الأثير وابن منظور: الشعراء ذبَّان حمر -وقيل: زرق- تقع علىٰ الإبل وتؤذيها أذىً شديدًا. انظر: «النهاية» (٢/ ٤٨٠) لابن الأثير.

(٢) قال ابن هشام: تدأدأ، يقول: تقلَّب عن فرسه فجعل يتدحرج. وفي «القاموس» (ص٣٩): تدأدأ: تدحرَج.

(٣) انظر: «السيرة» (ص١١٧) لابن إسحاق، و«تاريخ الأمم والملوك» (٢/ ٦٧) للطبري.

ومِنْ قَصَص المُنَاوِئين لِرسُولِ اللهِ ﷺ المُحَرِّضِين علىٰ المُسلِمِين يومَ بَدرٍ: قِصَّة نَوفَل بن خُوَيلِد.

وَقد ذَكَرَهَا البَيهَقِيُّ في «**دلائل النبوة**»[١]، عَنِ الوَاقِدي قال: حدَّثَني ابن راشِد، عَن الزُّهْرِي قال: «قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ يَومَ بَدرٍ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِي نوفَلَ بن خُوَيلد**»، ثُمَّ ذَكر الحَديثَ فِي قَتلِهِ. قالَ: فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ لَهُ عِلْمٌ بِنَوْفَلِ بن خُوَيلِدٍ؟**» فَقَال عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَا قَتَلْتُه. قَالَ: فَكَبَّر النَّبِيُّ ﷺ وقَالَ: «**الحَمْدُ للهِ الذِي أجَابَ دَعوَتي فِيهِ**».

ومِن قَصَص المُؤذِين لِرَسولِ اللهِ ﷺ: قِصَّة أبِي الأصْدَاءِ الهُذَلِي.

قَال مُحَمَّد بن سَعْد فِي «الطبقات»[٢]: أخْبَرنا مُحَمَّد بن عُمر -يَعنِي الوَاقِدي- قَال: حَدَّثَني ابن مَوْهب، عَن يَعْقُوب بن عُتبَة قال: «كانَ أهْلُ العَدَاوة والمُبَاداة لِرسُولِ اللهِ ﷺ وأصحَابِه، الذِينَ يطْلُبونَ الخُصُومَة والجَدَل؛ أبُو جَهلٍ بن هِشَام، وأبُو لَهَب بن عبْدِ المُطَّلب -وَذَكَر عِشرِين مِن أئِمَّة الكُفْر وصَنَادِيد المُشْرِكين، وَذَكر مِنهُم ابن الأصدىٰ الهُذَلي-. قَال: وَهُوَ الذِي نَطَحَته الأرْوَىٰ».

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٩٤). وإسناده ضعيف، فيه الواقدي-تقدم. فضلًا عن إرساله، فالزهري من رءوس الطبقة الرابعة.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٠١) ومحمد بن عمر هو الواقدي، تقدم.

وذكَر البلاذري(١): «أنَّ أبَا الأصْدَاء كانَ يُؤذِي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكَان يَقُول لِرَسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنَّما يُعَلِّمُك أهلُ الكِتابِ أسَاطِيرَهم، وَيقُول لِلنَّاس: هُو مُعَلَّم مَجْنُون، فدَعَا عَلَيه رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإِنَّه لَعَلىٰ جَبَلٍ إِذْ اجْتَمَعت عَلَيهِ الأرْوَىٰ فَنطَحَته حَتَّىٰ قَتَلَته».

وَمِن قَصصِ المُؤذِينَ لِرسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمُعادينَ لَهُ: قِصَّة النَّضْرِ بن الحَارِث.

قالَ البيهَقِيُّ في «دَلائِل النُّبُوَّة»(٢): «كانَ النَّضْر مِن شَياطِينِ قُريش وَمِمَّن كَان يُؤذِي رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويَنْصِب لَه العَدَاوَة».

وقَال ابن الأثِير فِي «الكَامِل»(٣): «كانَ أشَدَّ قُرَيش فِي تكْذِيب النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والأذَىٰ لَه ولأصْحَابه، وكانَ ينْظُرُ فِي كُتُبِ الفُرسِ ويُخَالطُ اليَهودَ والنَّصارَىٰ، وسَمِعَ بِذكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقُربِ مَبْعَثِهِ، فقَالَ: إنْ جَاءنَا نَذيرٌ لنكُونَنَّ أهْدَىٰ مِن إحْدَىٰ الأمَمِ، فنزَلت: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ [النحل: ٣٨] الآية. وكانَ يقُول: إنَّما يأتِيكُم مُحَمَّد بِأسَاطِيرِ الأوَّلِين، فنَزَل فِيه عِدَّة آيَات. أسَرَه المِقْداد يَوم بَدر، وأمَرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

(١) انظر: «أنساب الأشراف» (١/ ١٥٠).

(٢) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٠١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وفي إسناده مَن لم يُسم.

(٣) انظر: «الكَامِل» (١/ ٦٧٠).

بضَربِ عُنُقهِ، فقَتلهُ عَلِيُّ بن أبِي طَالب صَبْرًا بِالأُثَيْل»؛ انتهىٰ.

ومِن قَصَص المُنَاوئين لِرسُولِ اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: قِصَّة أرْبِد بن قَيس، وعَامِرِ بن الطُّفَيل.

قالَ ابنُ إسْحَاق(١): «وقَدِم عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وفْدُ بَنِي عَامِر فِيهم: عَامِر بن الطُّفَيْل، وأَرْبِد بن قَيْس بن جزء بن خَالد بن جَعْفر، وجَبَّار بن سَلْمىٰ بن مَالِك بن جَعْفر؛ وكَانَ هَؤلاءِ الثَّلاثَة رُؤسَاءَ القَوم وشَياطِينَهم. فقَدِمَ عَامر بن الطُّفَيل عَدوُّ اللهِ علَىٰ رسُولِ اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهُو يُريدُ الغَدرَ بِهِ. وقَد قَالَ لَه قَوْمُه: يَا عَامر، إنَّ النَّاس قَد أسْلَموا فَأسْلِم، قَال: واللهِ لَقَد كُنتُ آليْتُ أنْ لَا أنْتَهي حتَّىٰ تَتبع العَربُ عَقِبي، أفَأنَا أَتَّبِع عَقِبَ هَذا الفَتَىٰ مِن قُرَيش؟! ثُمَّ قَال لأَرْبِد: إذَا قَدِمنا علَىٰ الرَّجُل فَإنِي سَأشْغَل عَنكَ وَجهَه، فَإذا فَعَلْتُ ذَلك فَاعْلُه بِالسَّيفِ، فلمَّا قِدموا علىٰ رَسول اللهِ صَلَّىٰللهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال عَامر بن الطُّفَيل: خَالِّني(٢)، قَال: «**لَا وَاللهِ حَتَّىٰ تُؤمِنَ بِاللهِ وَحْدَه**»، قالَ: يَا مُحَمَّد خَالِّني، وجَعَل يُكَلِّمه وَيَنتَظِر مِن أَرْبِد مَا كَان أمَرَه بِهِ، فَجَعل أَرْبد لَا يُحير شَيئًا. فلمَّا رَأىٰ عَامر مَا يصْنَع أَرْبِد قَال: يَا مُحَمَّد، خَالِّني، قَال: «**لا، حَتَّىٰ تُؤمِنَ بِاللهِ وحْدَه لا شَرِيك**

---

(١) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٢٨) لابن القيم، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٥٦٧- ٥٦٩).

(٢) خالني: يُروىٰ بكسر اللام مخففة وبتشديدها مكسورة. فالأول معناه: تفرد لي خاليًا حتىٰ أُحدِّثك علىٰ انفراد. والثاني معناه: اتَّخِذْني خليلًا، مِن المخالَّة، وهي الصداقة. انظر: «سبل الهدىٰ والرشاد» للصالحي (٦/ ٣٦٤).

لَهُ»، فلمَّا أبَىٰ عَليهِ رَسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أمَا وَاللهِ لَأمْلأنَّها عَليكَ خيلًا ورِجَالًا. فَلمَّا وَلَّىٰ قَال رسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اكْفِني عَامِرِ بن الطُّفَيلِ**».

فلمَّا خَرجوا مِن عِندِ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال عَامر لأرْبِد: وَيلكَ يَا أربِد! أيْنَ ما كنتُ أمرْتُك بِه؟ واللهِ مَا كانَ علىٰ ظَهرِ الأرْضِ رَجُلٌ هَو أخْوَف عِندِي عَلىٰ نَفسِي مِنكَ، وايْم اللهِ لا أخَافكَ بَعدَ اليَوم أبدًا، قالَ: لا أبَا لَك! لا تَعْجَل عَليَّ، واللهِ مَا همَمتُ بِالذِي أمَرتَني بهِ مِن أمره، دَخَلْتَ بَيني وبَين الرَّجل حتَّىٰ مَا أرَىٰ غيْرَك، أفأضْرِبك بِالسَّيف؟

وخَرجوا راجِعين إلىٰ بِلادِهم حتَّىٰ إذَا كَانوا بِبَعضِ الطَّرِيق بَعثَ اللهُ علَىٰ عَامِرِ بن الطُّفَيل الطَّاعونَ فِي عُنُقِه فقَتلهُ اللهُ فِي بيتِ امْرَأةٍ مِن بَني سَلُول. فَجَعل يقُول: يَا بَني عَامر، أَغُدَّة كَغُدة البِكر فِي بَيت امْرَأة مِن بَني سَلُول؟!

قال ابن إسْحَاق: ثُمَّ خَرجَ أصْحابُه حِين وَارَوْه حتَّىٰ قَدِموا أرضَ بَني عَامر، فَلَمَّا قَدِموا أتَاهم قَوْمُهم فقَالوا: مَا وَرَاءك يَا أَربِد؟ قَال: لا شَيء، واللهِ لقَدْ دَعَانا إلىٰ عِبَادة شَيء، لَوَدِدت أنَّه عِندِي الآنَ فأرْمِيه بِالنَّبل حَتَّىٰ أقْتُله.

فَخرَجَ بَعدَ مقَالتِهِ بيَومٍ أوْ بِيومَينِ مَعَه جَمَلٌ لَه يَتبَعُه، فَأرسَلَ اللهُ عَليهِ وَعلَىٰ جَملِهِ صَاعِقةً فأحرقَتْهُما. وكَان أرْبِد أخَا لُبَيد بن رَبِيعَة لِأمهِ».

قال ابن هِشام: وذَكَر زَيد بن أسْلَم، عَن عَطَاء بن يَسَار، عن ابن

عبَّاس(١) رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: «وأنزَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي عَامر وَأَربد: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ﴾ [الرعد: ٨]، إلىٰ قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ⑪﴾ [الرعد: ١١]، قالَ: والمُعقِّبات هِي مِن أمرِ اللهِ يَحفظُون مُحمَّدًا، ثُمَّ ذَكر أربدَ وما قتَله اللهُ بِه فقَال: ﴿وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ إلىٰ قوله: ﴿شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ⑬﴾ [الرعد: ١٣]».

وَقالَ ابنُ سَعدٍ فِي «**الطَّبَقات**»(٢): قَالوا: «وقَدِمَ عَامر بن الطُّفَيل بن مَالك بن جَعْفَر بن كِلاب، وأَرْبِد بن رَبِيعَة بن مَالك بن جَعْفر، عَلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقَالَ عَامر: يَا مُحمَّد، مَا لِي إنْ أَسْلَمت؟ فقَال: «**لَكَ مَا لِلمُسْلِمِينَ وَعَلَيْكَ مَا عَلَىٰ المُسلِمِينَ**»، قَالَ: أَتَجْعل لِي الأمْرَ مِن بَعْدِك؟ قَال: «**لَيْسَ ذَلِكَ لَكَ وَلَا لِقَوْمِكَ**»، قَالَ: أَفتَجْعَل لِي الوَبَرَ وَلَكَ المَدَر؟ قَال: «**لَا، وَلَكِنِّي أَجْعَلُ لَكَ أَعِنَّةَ الخَيْلِ فَإِنَّكَ امْرُؤٌ فَارِس**»، قَال: أَوَلَيْسَت لِي؟! لأَمْلأنَّها

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣١٨-٥٢٠) من طريق يونس بن بكير عن ابن إسحاق به مرسلًا، ورواه سلمة بن الفضل عن ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة به مرسلًا. وهذه الرواية عند ابن جرير في «تاريخه» (٣/ ١٤٤)، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠/ ٣١٢) (١٠٧٦٠)، و«الأوسط» (٩/ ٦٠) (٩١٢٧)، وغيره، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه عبد العزيز بن عمران القرشي الأعرج، يعرف بابن أبي ثابت، متروك. وأخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٣/ ٤٨١) عن ابن جريج مرسلًا. وفي إسناده سُنيد بن داود المصيصي، أبو علي المحتسب، ضعيف.

(٢) انظر: «الطبقات» (١/ ٣١٠).

عَليكَ خَيلًا ورِجَالًا. ثُمَّ وَلَّيَا، فَقَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اللَّهُمَّ اكْفِنِيهُمَا، اللَّهُمَّ وَاهْدِ بَنِي عَامِرٍ، وَأَغْنِ الإِسْلَامَ عَنْ عَامِرٍ**» -يعْنِي ابن الطُّفَيل-. فَسَلطَ اللهُ تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلىٰ عَامِرٍ دَاءً فِي رَقَبتِهِ فَاندَلَع لِسَانُه فِي حَنجَرَته كَضَرع الشَّاةِ، فمَال إلَىٰ بَيتِ امْرأةٍ مِن بَنِي سَلُول وقالَ: غُدَّة كَغُدَّة البِكر ومَوتٌ فِي بَيتِ سَلُولِيَّة، وأرْسَل اللهُ علَىٰ أرْبِد صَاعقَةً فقَتَلْته، فَبَكاه لبيد بن رَبِيعة».

[وقَد رَوَىٰ ابنُ جَرير فِي «**تَاريخِه**»، والبَيهَقِيُّ فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**» قِصَّة عَامر بن الطُّفَيل وأرْبِد بن قَيس مِن طَرِيق ابن إسْحَاق بنَحْو مَا تَقَدم عنه. وفِي رِوَاية ابن جَرِير، عَن ابن إسْحَاق، عَن عَاصم بن عُمَر بن قتَادَة[١]، وَرَواها الطَّبَراني فِي «**الأوْسَط**» و«**الكَبير**» مِن حَديثِ ابن عَبَّاس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا بِنحْو رِوَاية ابن إسْحاق[٢]. ورَوَاها ابن جَرير أيضًا في «**تَفْسِيره**» مِن حَديثِ ابن جُرَيج بِسياق مُخْتَصر][٣].

وَمِن قَصَص المُعَاجَلة بِالانْتِقَام: مَا نَقَله السَّمْهُودي فِي كِتَابه «**وفَاء الوَفَاء بأَخْبَار دَار المُصْطَفىٰ**»[٤]، عَن ابن زبَالَة أنَّه قَال: حَدَّثني غَير واحِدٍ من أهَل العِلم -فذَكَر قِصَّة توسِيع المسْجِد النَّبَوي فِي زمَن الوَلِيد بن عبْدِ المَلك-. وفيهَا: «أنَّ الوَليد كَتبَ إلَىٰ مَلكِ الرُّوم: إنَّا نُريدُ أنْ نُعمِّر مَسجِد نَبينا الأعْظَم

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (٣/ ١٤٤)، و«دلائل النبوة» (٥/ ٣١٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣١٢) (١٠٧٦٠)، و«الأوسط» (٩/ ٦٠) (٩١٢٧).

(٣) «تفسير الطبري» (١٦/ ٣٩٣) (٢٠٢٧٢).

(٤) (٢/ ٩٣).

فَأعِنَّا فيهِ بِعُمَّال، قالوا: فبَعَث إليهِ بِضعَة وَعِشرينَ عَامِلًا، قال: فَبَينَما أولَئكَ العُمَّال يَعمَلُون فِي المَسجدِ إذْ خَلا لَهم المَسجِد، فقَال بَعضُ أولَئكَ العُمَّال مِن الرُّوم: ألا أبُول علَىٰ قَبرِ نَبيِّهم، فتَهيأ لِذلكَ فَنَهاه أصْحابُه، فلمَّا هَمَّ أنْ يَفعَلَ اقْتُلِع فَأُلْقِي عَلىٰ رَأسِه فانْتَثَر دِمَاغُه، فأسْلَم بَعضُ أولِئك النَّصارىٰ.

وعَمِل أحَدُ أوْلئكَ الرُّوم علَىٰ رأسِ خَمسِ طَاقاتٍ فِي جِدارِ القِبلة فِي صَحن المَسجدِ صُورةَ خِنزير، فَظَهر عَليهِ عُمر بن عَبد العَزيزِ فأمَر بِه فَضُربت عُنُقه».

ومِن قَصَص العُتَاة الذِين أُهلِكوا بِالصَّواعِق: «مَا جَاء فِي حَديثِ ثَابت البُنَاني، عَن أَنَس بن مَالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعث رَجُلًا مَرَّة إلَىٰ رَجُل مِن فَرَاعِنة العَرب، فَقَال: «**اذْهَبْ فَادْعُهُ لِي**»، قالَ: فَذهبَ إليهِ، فَقالَ: يَدعُوكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَال لَه: مَنْ رَسُول اللهِ؟ وَمَا الله؟ أمِن ذَهبٍ هُو، أمْ مِن فِضَّة هُوَ، أمْ مِن نُحَاس هُو؟ قَال: فَرَجع إلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأخبره فقَال: يَا رَسولَ اللهِ، قَد أخْبَرتُك أنَّه أعْتَىٰ مِن ذَلكَ. قَال لِي كَذا وَكَذا، فقَال لِي: «**ارْجِعْ إلَيهِ الثَّانِيَةَ**»، فَذَهب فقَال لَهُ مِثلَها، فَرَجع إلىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقَال: يَا رَسُول اللهِ، قَد أخْبَرتُكَ أنَّه أعْتَىٰ مِن ذَلكَ، فقَال: «**ارْجِعْ إلَيهِ فَادْعُهُ**».

فَرَجَع إليهِ الثَّالِثَة، قَال: فَأعادَ عَليهِ ذَلكَ الكَلامَ، فبَينَما هُو يُكَلِّمه إذْ بَعَث اللهُ عَزَّوَجَلَّ سَحابَة حِيالَ رأسِه فرَعَدَت، فوَقَعت مِنهَا صَاعقَةٌ، فَذَهبتْ بقَحفِ رَأسِهِ، فأنْزَل اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ

﴿يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [الرعد: ١٣]. [رَواه أَبُو يَعلىٰ والبَزَّار وابْنُ جَرِير والطَّبَراني. قَال الهَيثَمي: وَرِجَال البَزَّار رِجَال الصَّحيحِ غَير دَيْلم بن غَزْوَان وَهُو ثِقَة، وفِي رِجَال أَبِي يَعلَىٰ والطَّبَراني عَلِي بن أَبِي سَارَّة وَهُو ضَعِيف][١].

ورَوىٰ ابن جَرِير أَيْضًا، عَن عَبْدِ الرَّحمنِ بن صَحَّار العَبدِي[٢]: «أَنَّه بَلَغه أَنَّ نَبِي اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعث إِلَىٰ جَبَّار يَدعُوه فَقال: أَرَأَيْتُم رَبَّكُم؛ أَذَهُبٌ هُو أم فِضَّة هُو أَمْ لُؤلُؤ هُو؟ قَال: فَبينَمَا هُو يُجَادِلُهم إِذْ بَعثَ اللهُ سحَابةً فَرَعَدت، فأَرْسَل اللهُ علَيهِ صَاعقَة فَذَهبتْ بِقَحفِ رَأسِه، فأَنْزَل اللهُ هذِه الآية: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ۝١٣﴾ [الرعد: ١٣]».

ورَوىٰ ابن جَرير أَيْضًا، عَن مُجَاهد[٣] قال: «جَاءَ يَهُودي إِلَىٰ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَال: أَخبِرنِي عَن رَبِّك مِن أَيِّ شَيءٍ هُو؟ مِن لُؤلُؤٍ أَوْ مِن يَاقُوت؟

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في «المسند» (٦/ ١٨٣) (٣٤٦٨)، والبزار في «المسند» (٣/ ٥٤) (٢٢٢١) كشف، وابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٨٠)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣/ ٩٦) (٢٦٠٢)، وغيرهم من طرق عن ثابت عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٧٩) عن عبد الرحمن العبدي مرسلًا.

(٣) أخرجه ابن جرير في «التفسير» (١٣/ ٤٧٩) عن مجاهد مرسلًا. وفي إسناده ليث بن أبي سُليم، صدوق اختلط جدًّا ولم يتميز حديثه فتُرك.

فَجاءَت صَاعِقةٌ فَأخَذَته، فأنْزَل اللهُ: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾».

ورَوىٰ ابن جَرِير أيضًا، عَن عَلي[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «جَاء رَجُل إلَىٰ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَال: يَا مُحَمَّد، حَدِّثني مَن هَذا الذِي تَدْعُو إلَيهِ، أيَاقُوتٌ هُو؟ أذَهَبٌ هُو، أمْ مَا هُوَ؟ قالَ: فنَزَلت عَلىٰ السَّائِل الصَّاعِقةُ فأحْرَقَته، فأنـزَل الله: ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ﴾ الآية».

وَرَوىٰ ابن جَرِير أيضًا عَن قَتَادة قَال: «ذُكِر لَنا أَنَّ رَجلًا أنْكَر القُرآنَ وَكذَّب النَبيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأرسَل اللهُ عليهِ صَاعِقةً فَأهلَكَته، فأنْزل اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِيه: ﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾»[2]، وهذِه الآثَارُ يَشُدُّ بَعضُها بَعْضًا.

ومِن قَصَص ذَوِي المُجُون والاسْتِهْتَار والاسْتِهزَاء بِالسُّنَّة: مَا ذَكره ابن خلِّكَان، مِمَّا نَقلهُ مِن خَطِّ الشَّيخ قُطب الدِّين اليُونِيني قالَ: «بَلَغنا أنَّ رَجُلًا يُدعَىٰ أبَا سَلامَة مِن نَاحِية بُصْرىٰ، كَان فِيه مُجونٌ واسْتِهتارٌ، فَذُكِر عِندَهُ السِّوَاكُ ومَا فِيه مِن الفَضيلَةِ، فقالَ: واللهِ لا أسْتَاكُ إلا فِي المَخْرج -يعْنِي دُبُرَه- فأخَذَ سِوَاكًا فَوَضعه في مَخرجِهِ ثُمَّ أخْرجَه فمَكَث بَعدَه تِسعَة أشْهُر وهو يَشكُو مِن ألَم البَطنِ والمَخْرَج. فوَضَع وَلدًا عَلىٰ صِفَة الجِرذانِ لَه أرْبَع قَوَائم ورَأس كَرَأس السَّمَكَة، ولَه أرْبعة

---

(١) أخرجه ابن جرِير في «التفسير» (١٣/ ٤٨٠) وفي إسناده سيف بن عمر، ضعيف الحديث.

(٢) أخرجه ابن جرِير في «التفسير» (١٣/ ٤٨١) عن قتادة.

أنْيَاب بَارِزة وذَنَب طَويل مِثل شبر وأرْبَع أصابع، وله دُبُر كَدُبر الأرْنَب.

ولمَّا وضَعَه صَاح ذَلك الحَيوان ثَلاث صَيحات، فقَامت ابنَة ذَلكَ الرَّجل فَرَضخت رَأسَه فَماتَ. وعَاش ذلكَ الرَّجُل بَعد وَضعِه لَه يَومين ومَات فِي الثَّالث. وكان يَقُول: هَذا الحَيوان قَتلني وَقَطَّع أمْعَائي. وقَد شَاهَد ذلِكَ جمَاعَة مِن أهْلَ تلك النَّاحِية وخُطَباء ذَلك المَكَان، ومِنهُم مَن رَأىٰ ذَلِك الحَيَوان حَيًّا، وَمنهُم مَن رَآه بَعد مَوتِه». [وقَد ذَكَر هَذه القِصَّة ابن كَثِير فِي «**البِدَاية والنِّهَاية**» فِي حَوَادث سَنَة خَمسٍ وسِتِّين وستمَائة، وذَكَرها أيضًا عَبد الحَي بن العِمَاد في «**شذرات الذهب**»](١).

وفِي هَذه القِصَّة عِبرةٌ للمُعتَبرينَ وَموعِظَة لِلذينَ يَستَهزِئونَ بِبعضِ الأحَاديثِ الثَّابتَةِ عَن النَّبيِّ ﷺ، ولَا يُبالونَ بِرفْضِها واطِّرَاحِها ومُقَابَلة بعْضِها بِأسْوأ المُقَابلة، ولاسِيَّما إذَا كانَ الحَديثُ مُخالفًا لمَا يَرونَه بِعقولِهم القَاصرة وآرائِهم الفَاسِدة. وقدْ رأيْنَا ذَلكَ فِي كُتب ومَقَالات لِبَعض الأجْلافِ الذين قَد أُعْجِبوا بأنْفُسهم وكتَابَاتِهم الخَاطِئة؛ ومَا أكْثَرهم فِي زمَانِنا! لا كَثَّرَهم الله.

ومنْ قَصصِ المُكذِّبين بِالقدرِ: مَا روَاه اللالكائي فِي «**شَرح السُّنَّة**» عَن حمَّاد بن زَيد قَال: «جَعل رَجلٌ لِرَجلٍ جُعْلًا عَلىٰ أنْ يَعْبُرَ نَهرًا، قالَ: فَعَبر حتَّىٰ إذَا قَرُبَ مِن الشَّطِّ قَال: عَبرتُ واللهِ، فقالَ لهُ الرَّجُل: قُل إنْ شَاءَ اللهُ، قَال: شَاء أوْ

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٤٩)، و«شذرات الذهب» (٧/ ٥٥١).

لمْ يَشَأ، قَال: فَأَخذَته الأَرْضُ»(١).

ومِن قَصَص الذِين يَسبُّون الصَّحَابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ: مَا ذَكَره ابن القَيمِ فِي كِتَاب «**الرُّوح**»(٢) عَن القَيروَانِي، أنَّه ذَكَر فِي كِتَاب «**البُستَان**»، عن بَعضِ السَّلَف قَال: «كانَ لِي جَارٌ يَشْتُم أبَا بَكر وَعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، فلمَّا كانَ ذاتَ يومٍ أكْثَر مِن شَتمِهِما، فَتَناوَلتُهُ وتَنَاولَنِي، فانْصَرفْتُ إلىٰ مَنزِلي وأنَا مَغمُومٌ حَزينٌ، فنِمْتُ وتَرَكت العَشَاء، فَرَأيتُ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي المَنَام فَقُلتُ: يَا رَسُول اللهِ! فُلانٌ يُسبُّ أَصْحَابك، قَال: «مَنْ أصْحَابِي؟»، قلتُ: أَبُو بَكْر وَعُمَر، فَقَال: «خُذْ هَذِه المُدْيَة فَاذْبَحْهُ بِها»، فَأَخَذْتُها فَأَضْجَعتُه وذَبَحتُه ورأيْتُ كَأنَّ يَدَي أصَابَها مِن دَمِه، فألقَيتُ المُديَة وأهْوَيتُ بِيدي إِلَىٰ الأرْضِ لأَمْسَحَها، فانْتَبَهت وأنَا أَسْمَع الصُّرَاخ مِن نَحْو دَارِه، فقلْتُ: مَا هَذا الصُّرَاخ؟ قالوا: فُلانٌ مَات فَجأة، فَلمَّا أصْبَحنا جِئتُ فَنظرتُ إليه فَإذا خَطٌّ مَوْضِع الذَّبْح». [وقَد ذَكَر هذِه القِصَّة ابن الجَوزِي فِي «**سِيرة عُمَر بن الخَطَّاب**» عَن رضْوَان السمان].

ومِن قَصصهم أيْضًا: مَا ذكَره ابنُ القَيمِ فِي كتَابِ «**الرُّوح**»(٣)، عَن القَيرَوَانِي أنَّه قَال: قَال مُحَمَّد بن عَبد الله المُهَلَّبِي: «رَأيتُ فِي المَنَام كَأنِّي فِي

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٨٠٢) (١٣٣٩)، وابن بطة في «الابانة» (٤/ ٩٣) (١٥٠٧).

(٢) (ص١٨٩).

(٣) (ص١٩٠).

رَحْبَة بَنِي فُلان، وإذَا النَّبِيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ جالسٌ علىٰ أَكَمَة وَمَعَه أَبُو بكر، وعُمَر واقفٌ قُدَّامَه، فقالَ لَه عُمَر: يَا رَسولَ اللهِ، إنَّ هَذا يَشتِمُنِي ويَشتِمُ أبَا بَكر، فَقَال: «جِئْ بِهِ يَا أَبَا حَفْص»، فَأَتَىٰ بِرَجُل فَإِذَا هُو العُمَانِي، وَكانَ مَشهُورًا بِسبِّهِما، فقَالَ لهُ النَّبِي صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «أَضْجِعْهُ»، فَأَضْجَعَه ثُمَّ قَال: «اذْبَحْهُ»، فَذَبَحه. قَال: فَما نَبَّهَنِي إلا صِيَاحُه، فَقُلت: مَا لِي لا أُخْبِرُه عَسىٰ أنْ يَتُوبَ، فَلَمَّا تَقرَّبتُ مِن مَنزِله سَمعتُ بُكاءً شَديدًا، فَقُلت: مَا هذَا البُكاء؟ فَقُالوا: العُمَاني ذُبِح البَارِحة عَلىٰ سَرِيره، قَال: فَدَنوت مِن عُنُقه فَإذا مِن أُذُنِه إلىٰ أُذُنِه طَرِيقَة حَمْراء كَالدَّم المَحصور».

ومن قصَصِهم أيضًا: مَا رَواه اللالكائي فِي «شَرحِ السُّنَّة»[1]، عن خلف بن تَمِيم قَال: حَدَّثنا عُمَير أبُو الحَبَّاب، عَن عَمَّار بن سَيف الضَّبي قال: «خَرجْنَا في غَزَاةٍ فِي البَحرِ وعَلينا مُوسَىٰ بنُ كَعب، فكانَ مَعَنا فِي المركِبِ رَجلٌ يُكنىٰ أبَا حِمان، فأقبل يَشتِمُ أبَا بكْرٍ وعُمَر، فَنهيناهُ فَلم يَنتَهِ وزَجرْناه فلمْ يَنزَجرْ، فأتَينا عَلىٰ جَزيرَة فِي البَحرِ، فأرْفَينَا إليهَا، ثُمَّ خَرجنَا وتفَرقنَا نريدُ الوُضوءَ لِصلاةِ الظُّهر، فأُخبِرنَا أنَّ الدَّبَر -يعْنِي الزَّنَابير- وقَعَت عَلىٰ أَبِي حِمَان فأَتَتْ عَلىٰ نَفسِه، قال: فَدَفعتُ إلَيهِ وَهوَ مَيتٌ».

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٢٩) (٢٣٦٤).

قالَ خلفُ بنُ تَميم: فَزادَنِي فِي هذَا الحَدِيث نَجْدَةُ بن المُبَارك السُّلَمي قالَ: «سَمِعتُ أبَا الحَبَّاب يذْكرُ شَيئًا فَأخبرَ النَّاسَ فتَعَجَّبوا وقَالُوا: هَذِه كَانتْ مَأمُورةً، قَال نَجْدَة: فأقْبَل قَومٌ يَحْفُرون فاسْتَوعَرت عَلينَا الأرْضُ وصَلُبت، فَلم نَقدِر أنْ نَحْفُر لَه فألقَينَا علَيهِ الحِجَارة وَورق الشَّجر. قالَ خَلف: وَكان صَاحِبٌ لَنَا يَبُول فوَقعَتْ نَحْلةٌ عَلىٰ ذَكَره فَلم تَضُرَّه فعَلمْنَا أنَّها كانَت مَأمُورةً».

ورَوَىٰ اللالكائي[1] أيضًا، عن عُمَر بن الحَكَم، عَن عَمِّه قال: «خَرجْنَا نُريدُ مدان وَمَعَنا رَجُلٌ يَسُبُّ أبَا بَكْر وعُمَر، قَال: فَنَهيناه فَلم يَنْتَه، وانْطَلق لِيَقضِي حَاجَته فوَقَع عَلَيه الدَّبرُ فَلم يُقْلع عَنه حَتَّىٰ قَطعَه».

ومِن قَصَصهم أيضًا: مَا رَواه الخَطيبُ البَغْدَادي فِي «تارِيخِه»[2]، عَن إسْمَاعيلِ بن حمَّاد بن أبِي حَنِيفَة قالَ: «كَانَ لَنا جَارٌ طَحَّانٌ رِافِضي وكَان لَه بَغْلانَ سمَّىٰ أحدُهُما أبَا بَكر والآخر عُمَر، فَرمحه ذَات لَيلةٍ أحدُهُما فقَتله، فَأُخْبِرَ أبُو حَنيفَة قالَ: انْظُروا البَغْل الذِي رَمَحه الذِي سَمَّاه عُمَر فَنظروا فكَان كَذلك».

وَروىٰ اللالكائي فِي «شرْح السُّنَّة»[3] عَن سُفيانَ الثَّوْري قَال: «كُنتُ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٠) (٢٣٦٦).

(٢) (١٥/ ٤٨٧).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٢) (٢٣٧١).

أغْدُو إلَىٰ الصَّلاةِ بِغَلَس، وكانَ لَنا جَارٌ لهُ كَلبٌ عَقورٌ، فَقَعدتُ أنْظُر حَتَّىٰ يَتنحَّىٰ، فَقَالَ لِي الكَلبُ: جُزْ يَا أبَا عَبد اللهِ، فإنَّما أمْرتُ بِمنْ يَشتمُ أبَا بكْر وعُمَر».

وَفِي البَاب قِصَّةٌ لِقائدٍ مِن قُوَّاد الدَّيْلم صَرَّح بِالبَراءَة مِن أبِي بَكْر وعُمَر، فَأَخذه اللهُ وجَعلهُ عِبرةً للمُعتَبرِينَ، وسَيأتِي ذِكرُها فِي آخِر الكِتابِ إنْ شَاء اللهُ تَعالَىٰ(١).

وَمِن قَصَص الذِين يَسُبُّون الصَّحَابَة أيضًا: مَا رَوَاه الحَاكمُ فِي «**المُسْتَدْرَك**» عَن مُصعَب بن سَعْد، عَن سَعْد -يَعنِي ابن أبِي وَقَّاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ-: «**أنَّ رَجُلًا نالَ مِن عَلِيٍّ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، **فَدَعا عليهِ سَعدُ بنُ مَالكٍ فجَاءَتهُ نَاقةٌ أو جَملٌ فقَتَله، فأعْتَق سَعدٌ نَسَمة وحَلَف أنْ لا يَدعُو عَلىٰ أحَد**»(٢).

ومنْ قَصَصهم أيْضًا: مَا رَوَاه الحَاكمُ عَن قَيس بن أبِي حَازم قَال: «كُنتُ بِالمَدينَة فَبينَا أنَا أطُوفُ فِي السُّوقِ إذْ بَلغْتُ أحْجارَ الزَّيتِ، فَرأيتُ قومًا مُجْتَمعينَ عَلىٰ فَارسٍ قَد رَكبَ دَابَّةً وَهُو يَشتِم عليَّ بن أبِي طَالِب، والنَّاسُ وقُوف حَوالَيهِ، إذْ أقْبَل سَعدُ بن أبِي وَقَّاص فوَقَف عَليهِم فَقالَ: مَا هذَا؟ فقَالُوا: رَجُلٌ يَشتِمُ عَلِيَّ بن أبِي طَالِب، فَتقدَّمَ سعدٌ فَأفرَجُوا لَهُ حتَّىٰ وقَفَ عليهِ، فقَال: يَا هَذا، عَلَىٰ مَا تِشتِمُ عَلِيَّ بن أبِي طالِب؟ ألَمْ يَكُن أوَّلَ مَن أسْلَم؟! ألَمْ يَكُن أوَّلَ

---

(١) انظر: (ص٢١١).

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٧١) (٦١٢٠).

مَن صَلَّىٰ مَع رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! ألَمْ يكُن أزْهَد النَّاسِ؟! ألَمْ يكُن أعْلَم النَّاس؟! وذَكر حَتَّىٰ قَال: ألَم يَكُن خِتْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَىٰ ابنتِه؟! ألَمْ يَكُن صَاحِب رَايَة رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَوَاته؟! ثُمَّ اسْتَقْبَل القِبلَة ورَفَع يَدَيهِ وَقالَ: اللَّهمَّ إِنَّ هَذا يَشتِمُ وَليًا مِن أوْلِيَائِك، فَلا تُفرِّق هَذا الجَمعَ حَتَّىٰ تُريهِم قُدرَتَك.

قَال قَيسٌ: فوَاللهِ مَا تفرَّقْنَا حتَّىٰ سَاختْ بِه دَابَّتُه فرمَتْه علىٰ هَامَتِه فِي تِلكَ الأحْجَار فانْفَلَق دِمَاغُه وَمات». [قالَ الحَاكِمُ: صَحيحٌ علىٰ شَرطِ الشَّيْخَينِ، وَوافقهُ الذَّهبِيُّ فِي «تَلخيْصِه»][1].

وَمِن قَصَصهم أيْضًا: مَا رَواه الطَّبَراني فِي «**الكَبير**» عَن عَامر بن سَعد قَال: «بينَمَا سَعدٌ يَمشِي إذْ مَرَّ بِرجُلٍ وَهُو يَشتِمُ عَليًا وطَلحَة والزُّبيرَ، فَقَال لَه سَعد: إنَّك تَشتِم قَومًا قدْ سَبَق لَهم مِن اللهِ مَا سَبَق، فَوَاللهِ لَتَكُفَّنَّ عَن شَتْمِهم أو لأدْعُوَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَليكَ، فقَال: تُخَوِّفُنِي كَأنَّك نَبِي، فَقال سَعد: اللَّهُمَّ إنَّ هَذا يَشتِم أقوَامًا سَبَق لَهمْ مِنكَ مَا سَبقَ فَاجعَلهُ اليَومَ نكالًا. فَجاءت بَخْتِيَّة فَأفرَج النَّاس لَها فَتَخَبَّطَتْه فَرأيتُ النَّاس يَتْبَعُون سَعْدًا ويقُولونَ: استَجَاب اللهُ لكَ يَا أبَا إسْحَاق». [قَال الهَيثَمِي: رِجَالُه رِجَال الصَّحِيح. وقَد رَوَاه أبُو نُعيم فِي «**دلائِل النُّبُوَّة**» من

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٧١) (٦١٢١).

حَديثِ سَعيد بن المُسَيِّب بنحوه][(١)].

وَمِن قَصَصِهم أيْضًا: مَا رَواه الطَّبَراني فِي «**الكَبِير**» عَن قَبِيصَة بن جَابر الأَسَدِي قَال: «قالَ ابن عَمٍّ لَنَا يومَ القَادِسِيَّة:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَنْـزَلَ نَصـرَهُ وَسَـعْدٌ بِبَـابِ القَادِسِـيَّة مُعْصَـمُ

فَأُبْنَـا وَقَـدْ آمَـتْ نِسَـاءٌ كَثِيـرَةٌ وَنِسْـوَةُ سَـعْدٍ لَـيْسَ فَـيهِنَّ أَيِّـمُ

فَلَمَّا بَلغ سعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **قَولَه قَال:** اللَّهُمَّ اقطَع عَنِّي لِسَانه وَيدَه، فجَاءت نَشَّابَة فأصَابَت فَاهُ فَخَرِسَ، ثُمَّ قُطِعت يَدُه فِي القِتَال».

وفِي رِوَاية أَنَّه قالَ: «اللَّهُم اقْطَع لِسانَه ويَدَه عَنِّي بِمَا شِئتَ، فَرُمِي يَوم القَادِسِيَّة وقُطِع لِسانُه وقُطِعت يَدُه وَقُتِل». [قالَ الهَيثَمِي: رَواه الطَّبَراني بِإسْنَادين رِجالُ أحَدِهما ثِقَات. وقدْ رَواه أَبُو نُعَيم فِي «**دَلائِل النُّبُوة**» بِنحْوه][(٢)].

وَمِن قصَصهم أيْضًا: مَا ذَكَره أَبُو سَعد السَّمَعَاني، عَن الشَّيخ العَارف يُوسُف الهَمَذَاني، عَن الشَّيخ الفَقِيه أَبِي إسْحَاق الشِّيرَازي، عن القَاضِي أَبِي الطَّيب الطَّبَري قَال: «كُنَّا جُلوسًا بالجَامِع بِبغْدادَ فَجَاء خُرَاسَاني سَألنَا عَن المُصَرَّاة، فَأَجبْنَا فِيها واحتَجَجنَا بِحديثِ أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَطَعن فِي أَبِي

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٤٠) (٣٠٧)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٥٦٨)، وغيرهما من طرق عن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٤).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٤١) (٣١٠، ٣١١)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (ص٥٦٨)، وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٤).

هُريرَة فوَقَعت حَيَّةٌ مِن السَّقفِ وجَاءتْ حَتَّىٰ دخَلتْ الحَلقة وذَهبَت إلىٰ ذَلكَ الأعْجَمِي فضَربَته فقَتَلَتْهُ». [ذَكَر هذِه القِصَّة شَيخُ الإسْلامِ أبُو العبَّاس بنُ تَيمية فِي جَوابٍ لَه فِي الرَّدِّ علىٰ مَن تكَلَّم فِي أبِي هُريرةَ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ. وَهذا الجَوابُ فِي المُجلدِ الرَّابع منْ «مَجمُوع الفَتاوىٰ» صفحة (٥٣٢ - ٥٣٩)، فَليُراجُع فَإنَّه مُهمٌّ جدًّا، وليُرَاجع المُجلَّد كله ففِيه الرَّدُّ علىٰ الذِين يسبُّون الصَّحَابة وأهَلَ الحَديثِ ويَتنقِصُونَهم].

ومِن قَصَص النَّكَال التِي فِيها عِبرَةٌ لِلمُعتَبرينَ ومَوْعِظة لِلمُتَّقِين: مَا ذَكره نُور الدِّين عَلي بن أحْمَد السَّمْهُودي فِي كِتَابه «**وَفَاء الوَفَاء بِأَخْبَار دارِ المُصْطَفىٰ**»(١) قال: ذَكَر المُحِبُّ الطَّبَري فِي «**الريَاض النَّضِرة فِي فَضَائِل العَشَرَة**» قال: أخبَرَني هَارُون ابن الشَّيخ عُمر بن الزُّعْب -وَهُو ثِقَة صَدُوقٌ مَشهورٌ بالخَيرِ والصَّلَاحِ والعِبادَة-، عَن أبِيه -وكَان مِن الرِّجَال الكِبَار- قالَ: «كُنتُ مُجَاورًا بِالمَدينَة، وشَيخُ خُدَّام مَسجِد النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ إذْ ذَاك شَمسُ الدِّين صَواب اللَّمَطِي، وَكانَ رَجلًا صَالحًا كَثيرَ البِر بِالفُقَراء، وكانَ بينِي وبينَه أُنس، فقَال لي يَومًا: أُخبِرُك بعَجِيبَةٍ، كَانَ لِي صَاحِبٌ يَجلسُ عِندَ الأمِيرِ ويَأتِيني مِن خَبَره بِمَا تَمَسُّ حَاجَتي إلَيهِ، فَبينمَا أنَا ذَات يَومٍ إذْ جَاءني فَقال: أمْرٌ عَظيمٌ حَدَث اليَوم، قُلتُ: مَا هُو؟ قال: جَاء قَومٌ مِن أهْلِ حَلَب وبَذلوا لِلأمِير بَذلًا كَثيرًا

---

(١) (٢/ ١٨٩).

وسَألوه أنْ يُمَكِّنَهم مِن فتْحِ الحُجْرَة وإخْراج أبِي بَكر وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا مِنْها فأجَابهُم إلىٰ ذلِكَ.

قَال صَواب: فَاهتَمَمْتُ لذَلكَ هَمًّا عَظِيمًا فَلمْ أنْشب أنْ جَاء رَسُول الأمِير يَدعُونِي إلَيهِ فأجَبْتُه فقَال لِي: يَا صَواب، يَدُقُّ عَليكَ الليلَة أقْوَامٌ المَسجِد فافْتَح لَهم وَمَكِّنْهم مِمَّا أرَادوا وَلا تُعَارضْهم وَلا تعتَرضْ عَلَيهم، قالَ: فَقُلتُ له سَمْعًا وطَاعَة.

قَال: وخَرجْت ولَم أزَل يَومي أجَمْع خَلف الحُجرة أبْكِي لَا تَرقَأ لِي دَمعَة ولا يَشعُر أحَدٌ مَا بِي، حتَّىٰ إذَا كانَ اللَّيلُ وصَلَّينَا العِشاء الآخِرَة وخَرَج النَّاسُ مِن المَسجد وَغَلَّقنا الأبْوابَ فَلم نَنشب أنْ دَقَّ البَاب الذِي حِذَاء بَاب الأمِير- أي بَاب السَّلام- قَال: فَفَتحتُ البَاب، فَدَخل أرْبَعون رَجلًا أعُدُّهم وَاحدًا بَعدَ وَاحِد، ومَعَهم المَسَاحي والمَكَاتل والشُّمُوع وآلات الهَدْم والحَفْر.

قَالَ: وقَصدوا الحُجْرَة، فَواللهِ مَا وصَلوا المِنبَر حتَّىٰ ابْتلَعَتهُم الأرْضُ جمِيعَهم بِجميعِ مَا كانَ مَعهُم مِن الآلاتِ وَلم يَبقَ لَهم أثَرٌ، قالَ: فاستَبْطأ الأمِيرُ خَبرَهم، فَدَعانِي وَقال: يا صَواب، ألمْ يَأتِك القَومُ؟ قُلتُ: بَلىٰ، وَلكن اتَّفَق لَهم مَا هُو كيت وكيت، قَال: انْظُر مَا تَقُول، قُلتُ: هُو ذَلكَ وَقم فانْظُر هَل ترَىٰ مِنهُم بَاقيةً أَوَ لهُم أثَرًا. فَقَال: هَذا مَوضِع هَذا الحَدِيث، وإنْ ظَهَر مِنك كانَ يقطَعُ رأسك، ثُمَّ خَرجْتُ عنْه».

[**قَالَ المُحِبُّ الطَّبري**: فلمَّا وَعيتُ هَذهِ الحِكَايةِ عَن هارُونَ حَكيتُها لِجَماعة مِن الأصْحَاب فِيهم مَن أثِق بِحدِيثِهِ فَقال: وأنَا كُنتُ حَاضرًا فِي بَعضِ الأيَّام عِندَ الشَّيخِ أبِي عَبدِ اللهِ القُرطُبي بِالمدِينة، والشَّيخ شَمس الدِّين صواب يَحكِي لَه هَذه الحِكَاية، سَمِعتُها بأذُنِي مِن فِيه. انتهىٰ ما ذكره الطبري.

قالَ السَّمْهُودِي: وَقد ذَكَر أبُو مُحَمَّد عَبد اللهِ بن أبِي عَبد اللهِ بنِ أبِي مُحَمَّد المَرْجَاني هذِه الوَاقِعَة باخْتِصَار فِي «**تَاريخِ المَدِينَة**» لَهُ، وَقَال: سَمِعتُها مِن وَالدي -يعْنِي الإمَامَ الجَليلَ أبَا عبد اللهِ المَرجَاني- وقَال لِي: سَمعْتُها مِن وَالدي أبِي مُحَمَّد المَرجَاني سَمِعَها مِن خَادِمِ الحُجْرة. قَال أبُو عَبد اللهِ المَرْجَاني: ثُمَّ سَمعْتُها أنَا مِن خَادم الحُجرة الشَّرِيفَة، وذَكر نَحو مَا تَقَدَّم إلا أنَّه قَال: فَدَخل خَمسَة عَشَر -أو قَال: عِشرُون- رَجُلًا بِالمسَاحِي، فَما مَشَوا غَير خُطوَة أوْ خُطْوَتينِ وابْتَلَعتْهُم الأرْضُ. انتهىٰ].

ومِنْ قَصَص النَّكَال التِي فِيها عِبرَة ومَوعِظَة: مَا ذَكَره الشَّيخُ كَمَال الدِّين جَعْفَر بن ثَعْلَب الأدْفَوي فِي كِتَابه المُسَمَّىٰ بـ«**الطَّالِع السَّعِيد الجَامِع أسْمَاء نُجبَاء الصَّعِيد**»(١) قَال: «اتَّفَق بِإخْمِيم أنَّ شَخْصًا زَنَىٰ بامْرأةٍ يوم عَرفة، فَالتَصَقا وأُخْرِجَا مُلتَصِقَين ومَاتا، وعُمِلَ بِذلكَ مَحضَرٌ عِندَ الحَاكم».

قلتُ: سَيأتِي إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ فِي الفَصْلِ الذِي بَعد هَذا الفَصل قِصَّة

---

(١) (٣٩٦).

شَبِيهَة بِهذِه القِصَّة(١)، إلا أنَّ الزَّانِيَينِ عُولِجا فانْفَكَّ كُلٌّ منْهُما عَن صَاحِبه وعَاشَا بَعدَ ذَلكَ.

ومِن قَصَص العُقُوبَة عَلَىٰ الكَذِب: قِصَّة أَرْوَىٰ بِنتُ أُوَيس مَع سَعِيد بن زَيد بن عَمْرو بن نُفَيل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

وَقد روىٰ قصَّتَها مُسْلِم فِي «**صَحِيحه**»، مِن طَرِيق عُمَر بن مُحَمَّد: أَنَّ أَبَاه حدَّثَه، عَن سَعيد بن زَيْد بن عَمْرو بن نُفَيل: «أَنَّ أَرْوَىٰ خَاصَمَتهُ فِي بَعضِ دَارِه، فَقالَ: دَعُوها وإيَّاهَا، فإنِّي سَمعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيرِ حَقِّهِ طُوِّقَهُ فِي سَبعِ أَرضِينَ يَومَ القِيَامَة**»، اللَّهُمَّ إنْ كانَتْ كاذِبَة فَأَعْمِ بَصَرَها واجْعَل قَبرَها فِي دَارِها.

قَال(٢): فَرأَيْتُها عَمياء تلتَمِس الجُدُرَ تَقُول: أَصَابَتْنِي دَعوَة سَعيد بن زَيد، فَبينَمَا هي تَمْشي فِي الدَّار مَرَّت عَلىٰ بِئر في الدَّار فَوَقعت فِيها فَكَانت قَبرَها».

ورَوَاه أَيْضًا مِن طَرِيق هِشام بن عُروَة، عَن أَبِيه: «أَنَّ أَرْوَىٰ بِنْت أُوَيْس ادَّعَت عَلىٰ سَعيد بن زَيد أَنَّه أَخذ شَيئًا مِن أَرْضِها، فخَاصَمته إِلَىٰ مَروَان بن الحَكم، وذَكَر بَقِيَّة الحَديث بنَحو مَا تقَدَّم».

---

(١) انظر (ص ١١٧ – ١١٨).

(٢) القائل هو: محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر، وهو الذي روىٰ الحديث عن سعيد بن زيد.

وقَد ذَكر هَذهِ القِصَّة أبُو نُعَيم فِي «**الحِلْية**» مِن عِدَّة طُرق.

منْهَا: عَن أَبِي بَكر بن مُحَمَّد بن عمْرو بن حَزم: «أَنَّ أَرْوَىٰ اسْتَعْدَت عَلىٰ سَعيد بن زَيْد إلَىٰ مَرْوَان بن الحَكَم، فَقال سَعِيد: اللَّهُمَّ إنَّها قدْ زَعمتْ أَنِّي ظَلمتُها، فإنْ كانَت كَاذِبة فَأَعْمِ بَصرَها وألقِهَا فِي بِئرِها وأظْهِر مِن حَقِّي نُورًا يُبَيِّنُ لِلمُسْلمينَ أنِّي لَمْ أظْلِمْها، قَال: فبينَمَا هُم عَلىٰ ذَلكَ إذْ سَالَ العَقيقُ بَسيلٍ لَم يَسلْ مَثلهُ قَط، فكَشَف عَن الحَدِّ الذِي كَانا يَختَلفانِ فيهِ، فَإذا سَعيدٌ قَد كَان فِي ذَلكَ صَادقًا، ولَم تَلبثْ إلا شَهرًا حتَّىٰ عَميتْ، فبَينَا هِي تَطوفُ فِي أرضِها تِلك إذْ سَقطَت فِي بئرها.

قالَ: فكُنا ونَحنُ غِلمَان نَسمعُ الإنْسانَ يَقُول للإنْسَان: أعْمَاكَ اللهُ كَما أعْمَىٰ الأَرْوَىٰ، فلا نَظُن إلا أنَّه يُرِيد الأَرْوَىٰ التِي مِن الوَحْش، فَإذا هُو إنَّما كَان ذَلكَ لِمَا أَصَاب أَرْوَىٰ مِن دَعْوة سَعِيد بن زَيد، ومَا يَتحَدَّث النَّاس بهِ مِمَّا استَجَاب اللهُ لهُ سُؤلَه».

وقَد ذَكَر ابن عَبد البَرِّ فِي «**الاسْتِيعَاب**» قِصَّة أَرْوَىٰ مَع سَعيد بن زَيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِن عِدَّة طُرُق، وفِي بَعضِها: «أنَّ أَرْوَىٰ بَعدَما عَمِيت كَانتْ تَقوم مِن اللَّيْل وَمَعها جَارِية لَها تَقُودُها لِتُوقِظ العُمَّال، فقَامتْ ليلَة وتَركَت الجَارِية لَم تُوقِظْها، فَخَرجت تَمشِي حتَّىٰ سَقَطتْ فِي البِئر فأصْبحَت مَيِّتة»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٦١٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٩٧)، وغيرهما، وانظر: =

ومِن العُقُوبَة عَلىٰ قَتلِ أهْلِ الخَيرِ والصَّلَاحِ: مَا وَقعَ للحَجَّاج بن يُوسُف بِسبَب قَتلِه سَعِيد بن جُبَير.

وقد ذَكَر قِصَّتَه فِي ذلِكَ أبُو العَرب مُحَمَّد بن أحْمَد بن تَميم التَّمِيمِي في كِتَاب «**المِحَن**»[1]، وهِي قِصَّة طَوِيلة ذَكَرها مِن عِدَّة طُرق.

منْها: مَا رَواه مِن طَرِيقِ عبدِ اللهِ بنِ الوَليد. وَقدْ جَاء فِي هذِهِ الرِّوايَة: «أنَّ سعِيد بن جُبَير دَعَا عَلىٰ الحَجَّاج قَبل أنْ يُذْبَح فَقَال: «اللَّهُمَّ لا تُسَلِّطْه عَلىٰ أحَدٍ يَقْتُله بَعْدِي»، فَلَم يَقتل بَعدَه أحَدًا. وبَلَغني أنَّه عَاش سِتَّ عَشَرة لَيلة وَوَقَعت الآكَلَةُ فِي بَطنِهِ، فَدعَا بِطبيبٍ لِينظُر إلَيهِ، فَلَمَّا نَظَر إلَيهِ دَعَا بِلحمٍ مُنتَن فَعلَّق فِي خَيطٍ أسْوَد فَسَرَّحَه فِي حَلقِه، ثُمَّ تَركَه سَاعة ثُمَّ اسْتَخرجَه وَقد لَزِق بِهِ الدُّودُ، فَعلمَ أنَّه ليسَ بنَاجٍ.

وبَلغَنا أنَّه كَان يُنادِي فِي بَقية حَيَاته: مَا لِي ولِسَعيد بن جُبَير! كُلَّما أرَدْتُ النَّوم أخَذَ برِجْلي. وبَلَغه أنَّه كَان دَعا عَليهِ بِالزَّمْهَرير، قالَ: فكَانوا يَجْعَلون حَولَه الكَوانِين قَد مُلِئَت جَمْرًا مَع مَا كَان قَد دَثَّرُوه، فَمَا زَال فِي عَذَابِه ذَلك، فَأرْسَل فِي طَلَب الحسَن فأتاهُ فاعْتَذَر إلَيهِ وشَكا مَا نَزَل بِه، فَقالَ لهُ الحَسنُ: قَدْ نَهيتُك مَرَّة بَعد أُخْرىٰ أنْ لا تَتعرَّض للصَّالِحين، ولا تَكنْ مِنهُم إلا بِسبِيلِ خَيرٍ، فَأبَيتَ

=

«الاستِيعاب» (٢/ ٦١٨).

(١) (ص٢٤٢).

ولَججْتَ ليَقْضِي اللهُ أمرًا كَان مَفْعُولًا، فَقَد انْتَهىٰ بَك الكِتابُ أجَله، ثمَّ مَات».

وفِي رِواية: «أنَّ سَعيد بن جُبير لَمَّا قُتِل ضَرب الحَجاجَ الزَّمْهَريرُ فِي بَطنِه، فَصاحَ: خَلُّوا سَبيلَ الرَّجُل، فَخرج النَّاس فَأصَابُوه قَتِيلًا، فَأخْبَروا الحَجَّاج فَنَادىٰ: دَثِّرُوني، فَما انْتَفع بِشيءٍ، قال: مَا أرَىٰ الدِّثَار يَنفَعُني شَيئًا، عَلَيَّ بِالنَّار.

فأتَوه بالكَوانِين فَجَعلوا النَّار حَولَه مِن كُلِّ نَاحِية حتَّىٰ احْترقَت ثِيابُه وهُوَ فِي ذلكَ يَصيحُ مِن شِدَّة البَردِ، فتجرَّد وأقْبَل يَصْطَلي حتَّىٰ تفَطَّر جسَدُه ولمْ يَنفعْه شَيء، فلمَّا عظُمَ البَلاء عليهِ قَال: ائتُونِي بالحَسَن، فأتَوه بِه فَصاحَ الحَجاجُ: يَا أبَا سَعيد، أدْرِكْني مَا لِي ولِسعِيد! فَقالَ له الحَسن: مَا لِسَعيد وَمَالكَ يا حَجَّاج، لَو تَركتَ سَعِيدًا لَتَركَك اللهُ، أمَا نَهيتُك يا حجَّاج أنَ تَتعرَّض لأحَدٍ منْ أوْلِياءِ اللهِ؟! فَلمَّا نَظر الحسنُ إلَىٰ مَا نـزلَ بِهِ منَ العَذابِ وضَع يدَه علَىٰ أمِّ رأسِهِ ثُمَ صَاح بِأعلَىٰ صوتِه، ثُمَّ أقْبَل يبْكِي علَىٰ نفْسِه. فقَال لَه الحجَّاج: يَا أبَا سَعيد، أرْسَلتُ إليكَ أسْتَغيثُ بكَ وأنتَ تبكِي علَىٰ نفْسِك، فَقال الحَسن: أمَّا أنْتَ يا حجاج فَقَد عُجِّل لَكَ مَا صَنعتَ.

ثُمَّ خرَج عنْه الحَسنُ مَغمُومًا مَكرُوبًا خَائفًا وَجِلًا عَلىٰ نَفسِه. فأقَامَ الحجَّاج مُعذبًا لا يكادُ يموتُ ولا يَحيا خَمس عَشرة لَيلَة. فَقال الحجَّاج: ردُّوا عليَّ الحَسن، فَردُّوه، قَال: فدَخلتُ علَيهِ وقدْ تَغيَّر لوْنُه وغَارت عَيناه مِن السَّهَر، وقَد احْترَقَت ثِيَابُه وتَشَقَّق جِلدُه مِن حَرِّ النَّار وَحولَه تسْعَة كَوانين، وكلُّ ذَلكَ لا

يُفارِقُ الزَّمْهريرُ جوفَه.

قالَ: فكَلَّمَني وَقد ضَعُفَ وَبَحَّ صَوتُه، فَأنْشَأ يَقُول: يِا إلَهي، إنَّ النَّاس يقُولون: إنَّك لا تَرْحَمني؛ فَارحَمْني، ثُمَّ قال: يَا حَسَن، لا أسْألك أنْ تَسألَه أَنْ يُفَرِّجَ عنِّي، وَلكنِّي أسْألُكَ أنْ تَسألَه أنْ يَقبِضَ رُوحي ولا يَطُول عَذَابي. فَبَكَىٰ الحَسنُ بُكاءً شَديدًا واسْتحْيا مِن اللهِ أنْ يسألَه فِيه، فَأذِن اللهُ بِقبْضِ رُوحِه، فَقُبِض والحَسن وَاقفٌ».

وفِي رِوايَة: «أنَّ الحَسَن البَصرِي لمَّا بَلغَه أنَّ الحَجَّاج قَتَل سَعيد بن جُبير قَال: اللَّهمَّ قَاصِم الجَبَابِرة، اقْصِم الحجَّاج، فمَا بَقِي بَعد ذَلكَ إلا أيَّامًا حتَّىٰ وقَع فِي جَوفِه الدُّودُ وأصَابَه الكُزَاز[(١)]».

وسَيَأتِي -إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ- فِي آخِر الكِتَاب[(٢)] عِدَّةُ مَنامات رُؤيت للحجَّاج بَعد مَوتِه، فَلتُراجع، فَفِيها وفِيما حَصَل للحجَّاجِ بِسببِ قَتلِه سَعِيدَ بن جُبَير أبْلغُ موعِظَة وعِبرة لِمَن اعْتَبر.

فليَعْتَبر بِها المُتسَلِّطُون عَلىٰ أوْلياءِ اللهِ بِالجَبروتِ والظُّلمِ والعُدوانِ، وليَعْلَموا أنَّ اللهَ لهُم بِالمِرصَاد، وليَتَدَبَّروا قَول اللهِ تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ

---

(١) قال الجوهري: الكُزاز بالضم: داء يأخذ من شدة البرد. وكذا قال في «لسان العرب» (٥/ ٤٠٠) قال: وتعتري منه رعدة.

(٢) صفحة (١١٧ – ١١٨).

غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٣]، وليَتَدَبَّرُوا أيْضًا قَول النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ**». [مُتَّفق عَلَيه مِن حَدِيث أَنَس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ](١).

وَرَوىٰ البُخَارِي أيْضًا عنْ أبِي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ**»(٢).

وَرَوىٰ ابنُ مَاجه نَحْوَه مِن حَدِيثِ مُعاذ بن جَبَل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عَن النَّبِي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(٣).

وروَىٰ الإمَام أحْمد عنْ عَائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**قالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ أَذَلَّ لِي وَلِيًّا فَقَدِ اسْتَحَلَّ مُحَارَبَتِي**»(٤)، فلْيَتَأمل المُعَادون لِأولِيَاء اللهِ مَا جَاء فِي هذِهِ الأحَادِيثِ، وليَسْتَعِدُّوا لِمُحارَبَة اللهِ إنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣)، وغيرهما من حديث أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ولم أقف له علىٰ رواية من حديث أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٠٢)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩)، وغيره من حديث معاذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «المشكاة» (٣/ ١٤٦٥) (٥٣٢٨).

(٤) أخرجه أحمد (٦/ ٢٥٦) (٢٦٢٣٦)، وغيره من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. قال الأرنؤوط: «حديث صحيح لغيره».

كَانتْ لَهم طَاقةٌ بِمُحَارَبَتِه.

ومِن العُقُوبَة العَاجِلَة عَلَىٰ قَتل الفُقَراء المُسْتَضعَفين الذِين لا ذُنُوب لَهُم: مَا وَقع لِلأمِير عَبد العَزِيز بن مِتعِب بن رَشِيد(١).

وَذلكَ أنَّ الأمِيرَ المَذكُور مَرَّ علَىٰ رَوضَة مِهَنًّا -المَعْرُوفَة فِي بِلادِ القَصِيم- فَوَجد فِيها أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِن الذِين يَجمَعُون الكلَأ ويَبِيعُونَه ويَشتَرُون بِثَمنِه مَا يحتَاجُون إِلَيهِ مِن الطَّعَام والثِّيابِ لَهُم ولِعَوائِلِهم، فأحَبَّ الأمِيرُ أنْ يَنتَقِمَ مِن أهْلِ القَصِيم بِقَتلِ هَؤلاءِ الضُّعفَاء المَسَاكِين، فَصَفَّهم صَفًّا وَقَرَنهم بِالحِبَال ثُمَّ قَتَلهم صَبْرًا.

فَيا لهَا مِن كَارِثَة مَا أَشْنَعَها وأَفْظَعَها! وكَان مِن بَينِ المَقْتُولين شَيخٌ كَبيرٌ قَد انْحَنىٰ ظَهرُه مِن الكِبَر وَمَعه ابن لَه صَغير يَبلُغ مِن العُمر نَحو عَشر سِنينٍ، فَقالَ الشَّيخُ للأَمِير: اقْتُلْني واتْرُكَ هَذا الطِّفْل الصَّغِير، فَإنَّ وَراءَنا عِدَّة نِسَاء لَيسَ لَهُنَّ مَن يَعُولُهُنَّ بَعْدَنا، فكَان جوابُ الأمِير أنَّه أمَرَ أنْ يُبْدَأ بِقَتل الطِّفْلِ وأبُوه يَنْظُر إلَيه، فَضَحِك الشَّيخُ، فَقالَ لَه الأميرُ: مِمَّ تَضحَك؟ قَال: أَضْحَك مِن حِلمِ اللهِ عَنكَ، فَقَتله وَألحَقه بِوَلَده.

---

(١) عبد العزيز بن متعب بن عبد الله الرشيد: من أمراء آل رشيد، أصحاب حائل وما حولها، بنجد، وليها بعد وفاة عمه محمد بن عبد الله الرشيد، سنة (١٣١٥هـ)، كان أشجع العرب في عصره، وأصلبهم عودًا، له وقائع وغارات كثيرة، توفي سنة (١٣٢٤هـ) (١٩٠٦م). «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٥).

وكان الأميرُ بعْدَ هَذا لا يَهْنَأ بِالنَّومِ، فكُلما ابْتَدأ بِه النَّومُ تراءىٰ لَهُ الشَّيخُ الكَبير وَخنَقَه وقَال لَهُ: يَا ظَالِمُ، وَاللهِ لا تُفْلِح، فَيَفزَع لِذَلكَ فَزعًا شَديدًا، ورُبَّما قامَ قَائمًا وَهُو مَرعُوب وَيَقُول: مَا لِي وَلِهذا الشَّايِب؟! وَلم تَطُل مُدَّتُه بَعد هذَا الظُّلْم والعُدْوَان حَتَّىٰ قُتِل في رَوضَة مِهَنَّا التِي قَتَل فِيها الفُقَراء الذِين يَجمعُون الكَلأ، وقُطِع رأسُه وذُهِبَ بهِ إِلَىٰ بُرَيْدة، جَزاءً وِفَاقًا: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

وقَد أَشَار ابن عِجْل -أَحَد رُؤسَاءِ قَبِيلة شمر- عَلىٰ الأمِير ابن رَشِيد أنْ لا يَقْتُل الفُقَراء الذِين يَجمَعُون الكَلأ، وقَال لَه: أَتَقْتُل هَؤلاءِ الضُّعفَاء، فَواللهِ الذِي لا رَبَّ غَيره، لَئِن قَتَلتَهم لَتُحارِبَنَّك المَلائِكةُ، فَأجَابه الأمِير بِقولِه: لَو تَركتُهم لانْضمُّوا إلىٰ قَومِهم يُقاتِلونَني مَعهُم[1].

قلتُ: وَهذَا الفِعلُ الشَّنِيع مِن أَقْبَح الوَرَطات التِي يَكُون لَها عَواقِب سَيِّئة كمَا جاءَ في الحَديثِ الذِي رَواه البُخارِي عَن عَبْد اللهِ بن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنَّه قالَ: «إِنَّ مَنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ التِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيها سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيرِ حِلِّهِ»[2].

قالَ الحَافِظ ابنُ حَجَر فِي «**فتْح البَارِي**»[3]: «الوَرْطَة: الهَلاك، يُقالُ: وَقَع

---

(١) انظر: «قلب جريرة العرب» (٣٤٥)، وفيه مقتله في الطرفية بقرب بريدة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٦٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا موقوفًا.

(٣) (١٢/ ١٨٨).

فُلانٌ فِي وَرطَة، أيْ: فِي شَيء لا يَنْجو مِنه»؛ انتهىٰ.

ومنْ عُقُوبات أهْلِ البِدَع المُعَادين لِلسُّنَّة وَأهلِهَا: مَا أُصيبَ بِه أحْمدُ بنُ أبِي دُؤاد، وَمُحَمَّد بن عَبد المَلِك الزَّيَّات، وَهَرْثَمة، مِن أجْلِ قَولِهم: إنَّ أحْمدَ بن نَصر الخُزَاعي قُتِل كَافرًا، ودُعائِهم عَلىٰ أنْفُسِهم بِالعُقُوبَة إنْ لَم يَكُن كَذَلكَ.

وقد ذكرَ قِصَّتَهم الخَطيبُ البَغدَادِي فِي «**تَارِيخ بَغْدَاد**»، وابْنِ كَثير فِي «**البِدَاية والنِّهَاية**»[1]، وحَاصِلها: «أنَّ عَبد العَزيزِ بن يَحيَىٰ الكِنَاني -صَاحِب كِتابِ «الحيدَة»- قَال للمُتَوَكَّل: يا أمِيرَ المُؤمِنين، مَا رُؤِي أعْجَب مِن أمْرِ الوَاثِق، قَتَل أحْمَد بن نَصْر وكَانَ لِسانُه يَقرَأ القُرآنَ إلىٰ أنْ دُفِن. فَوَجلَ المُتوكِّل مِن كَلامِه وَساءَه مَا سَمِع فِي أخِيه الوَاثِق.

فَلمَّا دَخل عليَهِ الوَزيرُ مُحمَّد بن عَبد المَلِك الزَّيَّات قَال لَهُ المُتوكِّل: فِي قَلبِي شَيءٌ مِن قَتلِ أحْمد بن نَصر. فقال: يا أمير المؤمنين، أحرقني الله بالنَّار إنْ قَتَله أمِير المُؤمِنين الوَاثق إلا كَافِرًا.

ودَخل عليَهِ هَرثَمَة فَقال: يَا هَرثَمَة، فِي قَلبِي مِن قَتْل أحْمَد بن نَصْر، فَقال: يا أمِير المُؤمِنين، قَطَّعَنِي اللهُ إرَبًا إرَبًا إنْ قَتَله أمِيرُ المُؤمِنين الوَاثِق إلا كَافِرًا.

قالَ: وَدَخل عَليه أحْمَد بن أبِي دُؤاد فقال: يا أحْمَد، فِي قَلبي مِن قَتْل أحْمَد بن نَصر، فَقَال: يَا أمِير المُؤمِنين، ضَربَني اللهُ بِالفَالِج إنْ قَتَله أمِيرُ

(١) انظر: «تارِيخ بغْداد» (٦/ ٣٩٧)، و«البِداية والنهاية» (١٠/ ٣٠٦).

المُؤمِنين الوَاثِقُ إلا كَافِرًا.

قَال المُتَوكِّل: فَأَمَّا ابن الزَّيَّات فَأنا أَحْرَقْتُه بالنَّار، وأمَّا هَرْثَمة فَإِنَّه هَرب وَتَبَدَّىٰ واجْتَاز بِقَبيلَةِ خُزَاعة، فَعَرَفه رَجلٌ مِن الحَي فقَال: يا مَعشَر خُزَاعة، هذَا الذِي قَتَل ابن عَمِّكم أَحْمَد بن نَصْر، فَقَطَّعُوه إِرَبًا إِرَبًا، وأمَّا ابن أَبِي دُؤاد فَقَد سَجَنه اللهُ فِي جِلدِه -يَعنِي بِالفالِج- ضَرَبه اللهُ بِه قَبلَ مَوتِه بأَرْبعِ سِنينَ، وصُودِر مِنْ صُلبِ مَالهِ بِمالٍ جَزيل جِدًّا.

وَرَوَىٰ الخَطيبُ فِي «**تَارِيخ بَغْدَاد**»(١) عَنْ عبدِ العزيزِ بن يَحْيىٰ المَكِّي -صَاحِب كِتَاب «الحَيْدَة»- قَال: دَخلتُ عَلىٰ أَحْمَد بن أَبِي دُؤاد وَهُو مَفْلوجٌ فَقُلت: إِنِّي لَم آتِكَ عَائدًا، وَلَكِن جِئتُ لِأَحْمَد اللهَ علَىٰ أَنْ سَجَنك فِي جِلدِك».

وَرَوَىٰ الخَطِيبُ أيضًا(٢)، عَنِ المُغِيرَةَ بن مُحَمد المُهَلَّبِي قَال: «مَات أَبُو الوَلِيد مُحَمد بن أَحْمَد بن أَبِي دُؤاد وَهُو وَأَبُوه مَنْكُوبَان».

ومِنَ العُقُوبةِ عَلَىٰ الوِشايَةِ بِأهلِ الدِّينِ والصَّلَاحِ: مَا ذَكَره أَبُو العرب مُحَمَّد بن أَحْمَد بن تَمِيم التَّمِيمِي فِي «**كِتَاب المِحَن**»(٣) قَال: «بَلَغَنِي أَنَّ أَبَا جَعْفَر المَنْصُور بَعَثَ فِي طَلَبِ أَبِي عَبْد اللهِ جَعْفَر بن مُحَمَّد، فَأُتِيَ بِه إِلَيهِ مِن

---

(١) (٥/ ٢٣٣).

(٢) انظر: «تارِيخ بغْداد» (٥/ ٢٣٣).

(٣) (ص٣٧٤).

المَدينَة، فَلَما رَآهُ أَبُو جَعْفر نَهَضَ إلَيهِ واعْتَنَقه وأجْلَسَه مَعَه وَقَال لَه: يَا أَبَا عَبد اللهِ، مَا هَذا الذِي يَبْلُغُني عَنْك؟ لَقَد هَمَمْت. فَقَال لَهُ: يَا أَمِيرَ المُؤمِنِينَ، إنَّ أَيُّوب ابْتُلِي فَصَبر، وإنَّ سُلَيمَان أُعْطِيَ فَشَكر. وَأَنتَ مِن ذَلِك النَّسِيج.

قَال: فَيُرْفَع إلِيَّ أَنَّ الأَمْوَالَ تُجْبَىٰ إلَيكَ بِلا سَوطٍ وَلا عَصَا، ثُمَّ أَمَرَ بِالرَّافِع فَأُحْضِرَ، فَقَال أَبُو عَبْد اللهِ: أَحَقًّا مَا رَفَعتَ إلِىٰ أَمِير المُؤمِنِينَ؟ قَال: نَعم، فَاسْتَحْلِفه يَا أَمِيرَ المُؤْمِنين، فَقَال أَبُو عَبدِ اللهِ: رُد اليَمِين عَلَيه. فَقَال لَهُ أَبُو جَعْفر: احْلِفْ، فَقَال: واللهِ الذِي لَا إلهَ إلَّا هُو. فَقَال أَبُو عبدِ اللهِ: لَيسَ هُو كَذَا، إنَّ العَبْد إذَا مَجَّد اللهَ فِي يَمِينهِ أَمْهَله بِالعُقُوبةِ، وَلَكنْ قُل: أَنَا بَرِيءٌ مِن اللهِ واللهُ بَرِيءٌ مِنِّي، وأَنَا خَارِجٌ مِن حَولِ اللهِ وَقُوَّته رَاجِعٌ إلَىٰ حَولِ نَفْسِي وقُوتِها. قَال: فَحَلف، فَواللهِ مَا رُفِعَ إلَّا مَيتًا. فَرَاع ذَلكَ أَبَا جَعْفر وَقَالَ: انْصَرِف أَبَا عَبد اللهِ، فَلَستُ أَسْأَلكَ بَعدهَا عَن شِيء».

وَمِن العُقُوبَة عَلىٰ إيذَاء العُلَماءِ وَظُلمِهم: مَا ذَكره القَلْقَشنْدِي فِي كَتَاب «**مَآثِر الأَنَافَة فِي مَعَالِم الخِلَافَة**»(١)، عَن القُضَاعِي أَنَّه حَكَىٰ فِي «خُطَط مِصْر»، أَنَّه: «كانَ لِلإِمَام اللَّيثِ بن سَعد دَارٌ بِبَلدَة قَلقَشندَة، فَهَدمَها عَبد المَلِك بن رِفَاعة عِنادًا لَه، فَعَمَرَها اللَّيْثُ فَهَدمَها عَبدُ الملكِ، فَعَمَرَها فَهَدَمَهَا، فَلَمَّا كان فِي الثَّالِثة بَينَما اللَّيْثُ نَائمٌ إذَا بِهاتِفٍ يَهتِف بهِ، قُم يَا لَيث: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ

(١) (١/ ١٥٣).

ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾﴾ [القصص: ٥]، فأَصْبحَ ابن رِفَاعة وَقد أَصَابه الفَالجُ، فأَوْصَىٰ إِلَىٰ اللَّيثِ وَبَقي ثَلاثًا، ثُمَّ مَات».

* * *

فصل

وأَمَّا القِسمُ الثَّانِي مِن العُقوباتِ فِي الدُّنْيَا بِما دُون المَوتِ، فَقدْ جَاء فِيه قَصصٌ كَثيرَةٌ.

مِنهَا: مَا وَقَع فِي الأُمَم المَاضيَةِ، وَمنْهَا: مَا وَقعَ فِي زمَنِ الجَاهِليَّةِ قَبلَ بَعثَة النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنهَا: مَا وَقعَ بَعد بَعثَة النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبل الهِجْرَة وَبعدَها ومَا بَعدَ ذَلكَ إِلَىٰ زَمانِنَا.

فَمَن القَصَص التِي وَقَعتْ فِي الأُمَم قَبلَنَا: قِصَّةُ سَارَّة زَوجَة إِبْرَاهِيم الخَليلِ مَع الجَبَّار الذِي أَرادَ بِها السُّوءَ.

وَقد رُويت هَذِه القِصَّة مِن طُرُقٍ، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

منها: مَا رَوَاه الإِمَام أَحْمَد وَالبُخَارِيُّ مِن حَدِيث أَبِي الزِّنَاد، عَن الأَعْرَجِ، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ، قَوْلُهُ حِينَ دُعِيَ إِلَىٰ آلِهَتِهِمْ**: ﴿إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات: ٨٩]، **وَقَوْلُهُ**: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣]، **وَقَوْلُهُ لِسَارَّةَ: إِنَّهَا أُخْتِي**.

قَالَ: وَدَخَلَ إِبرَاهِيمُ قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ المُلُوكِ أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الجَبَابِرَةِ، فَقِيل: دَخَلَ إِبْرَاهِيمُ اللَّيْلَةَ بِامْرَأَةٍ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ. قالَ: فَأَرْسَل إِلِيْه المَلكُ أو الجَبَّار: مَن هَذِه مَعَك؟ قَال: أُخْتِي، قَال: أَرْسِل بِهَا، قَالَ: فَأَرسَل بِها إِليهِ وقَال لَها: لا تَكذِبي، قُولِي فَإنِّي قَد أخْبَرتُه أَنَّك أخْتِي، إنْ عَلَىٰ الأرْضِ مؤمنٌ غَيرِي وَغيرِك.

قالَ: فلمَّا دَخلتْ إِليهِ قَام إِليهَا، قَال: فَأَقبَلَت تَوَضَّأ وَتُصلِّي وتَقُول: اللَّهمَّ إنْ كُنتَ تَعلمُ أَنِّي آمَنتُ بِك وبرَسُولكَ وأحْصَنتُ فَرجِي إِلا عَلىٰ زَوجِي فَلا تُسَلِّط عَليَّ الكَافرَ، قَال: فَغُطَّ[1] حَتَىٰ رَكَض بِرِجلِه».

قالَ أبُو الزِّنَاد: قَال أَبُو سَلَمة بن عَبد الرَّحْمَن، عَن أَبِي هُرَيرَة: «أَنَّها قَالَت: اللَّهمَّ إنَّه إِن يَمُت يُقَل: هِي قَتلَتهُ، قَال: فَأُرْسِل ثُمَّ قَام إِليهَا فَقَامتْ تَوَضَّأ وتُصلي وتَقُول: اللَّهُمَّ إِن كُنتَ تَعلَم أَنِّي آمَنتُ بِكَ وبِرَسُولِكَ وَأَحْصَنْتُ فَرجِي إِلا عَلىٰ زَوجِي فَلا تُسَلِّط عَليَّ الكَافِرَ، قَال: فَغُطَّ حَتَىٰ رَكَض بِرِجْلِه».

قَالَ أَبُو الزِّنَادِ: قَال أَبُو سَلَمَة، عَن أَبِي هُرَيرَةَ: «أَنَّهَا قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ إِنْ يَمُتْ يُقَل: هِيَ قَتَلَتْهُ، قَال: فَأُرْسِل، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَو الرَّابِعَة: مَا أَرْسَلتُم إِليَّ إِلَّا شَيْطَانًا، أَرْجِعُوهَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَعْطُوهَا هَاجَر.

---

(١) الغَطُّ: العصر الشديد والكبس. وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٣٢٢): غُطَّ - بضم الغين المعجمة- أي: غُمَّ وزنه ومعناه، وقيل: خنق. وقوله حتىٰ ركض برجله، يعني: أنه اختنق حتىٰ صار كأنه مصروع.

قَالَ: فَرَجعَتْ، فَقَالَت لِإِبْرَاهِيمَ: أَشَعَرْتَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ رَدَّ كيدَ الكَافِرِ وَأَخدَمَ وَلِيدَة». [هَذَا لَفظُ أَحْمَد، وَإِسنَادُهُ صَحيحٌ عَلىٰ شَرطِ مُسلِم. وَرِوَايَة البُخَارِيِّ فِيها اخْتِصار].

وَقَدْ رَوَاه البُخَارِيُّ وَمُسلم، مِن حَديثِ أَيُّوبِ السَّخْتِيانِي، عَن مُحَمد بن سِيرِين، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذِبَاتٍ: ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللهِ؛ قَولُهُ: ﴿إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩﴾، وَقَوْلُه: ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾، وَوَاحِدَة فِي شَأنِ سَارَّة، فَإِنَّه قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ وَمَعَهُ سَارَّةُ وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا: إِنَّ هَذَا الجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الإِسْلَامِ، فَإِنِّي لا أَعْلَمُ فِي الأَرْضِ مُسْلِمًا غَيرِي وَغَيرَكِ.

فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الجَبَّارِ أَتَاهُ فَقَالَ لَهُ: لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَىٰ الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيهَا فَقُبِضَت يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي وَلَا أَضُرُّكِ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَت أَشَدَّ مِنَ القَبْضَةِ الأُولَىٰ، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ فَقُبِضَت أَشَدَّ مِنَ القَبْضَتَينِ الأُولَيَيْنِ، فَقَالَ: ادْعِي اللهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي فَلَكِ اللهُ أَنْ لا أَضُرَّكِ، فَفَعَلَتْ وَأُطلِقَتْ يَدُهُ وَدَعَا الذِي جَاءَ بِهَا فَقَال لَهُ: إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشيطَانٍ وَلَم تَأْتِني بِإنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِن أَرْضِي وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قال: فَأَقْبلتْ تَمْشِي فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا: مَهْيَم[١]**، قَالَتْ: خَيْرًا. كَفَّ اللهُ الفَاجِرَ وَأَخْدَمَ خَادِمًا»**. قَالَ أَبُو هُرَيرَة: «**فَتِلْكَ أُمُّكُم يَا بَنِي مَاءَ السَّمَاء**».

[هَذَا لَفْظُ مُسلِم. وَقَد رَوَاه البُخَارِي فِي عِدَّة مَوَاضِع مِن «**صحيحه**» مَرفُوعًا مُخْتَصَرًا. وَرَوَاه مُطَوَّلًا مَوْقُوفًا عَلَىٰ أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِنحوِ مَا فِي رِوَايَة مُسلِم. وَرَوَاه ابن حِبَّان فِي «**صحيحه**» مِن حَدِيث هِشَام بن حَسَّان، عَن مُحَمَّد -وَهُو ابن سِيرين-، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَره بِنَحو رِوَايَة مُسلم. وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُد مِن حَديثِ هِشَام، عَن مُحَمَّد، عَن أَبِي هُريرَةَ، عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْتَصرًا. وَرَوَاه التِّرْمِذي مِن حَدِيث أَبِي الزِّنَاد، عَن الأَعْرَج، عَن أَبِي هُرَيرَةَ، عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخْتَصرًا، وقَالَ: هَذا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ][٢].

قَوْلُه فِي رِوَايةِ مُسلِم: «فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً». هَذِه الرِّوَاية مُخَالِفَة لِمَا تَقَدم فِي رِوَايةِ الأَعْرَج، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه: «**غُطَّ حَتَّىٰ رَكَضَ بِرِجْلِهِ**».

قَالَ الحَافِظُ ابن حَجَر فِي «**فَتح البَارِي**»[٣]: «وَيُمْكِن الجَمْعُ بِأَنَّهُ عُوقِبَ

---

(١) قوله: مَهْيَم، أي: ما شأنك وما خبرك؟ قال ابن الأثير: وهي كلمة يمانية. انظر: «النهاية» (٤/ ٣٧٨).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٤٠٣) (٩٢٣٠)، والبخاري (٢٢١٧، ٣٣٥٧، ٥٠٨٤)، ومسلم (٢٣٧١)، والترمذي (٣١٦٦)، وابن حبان في «صحيحه» (١٣/ ٤٥) (٥٧٣٧).

(٣) (٦/ ٣٩٣).

تَارَةً بِقَبضِ يَدِه وَتَارَةً بانْصِرَاعه».

قُلتُ: وَيُمكِنُ أنْ يَكُون قَد جُمِع عَلَيهِ قَبْضُ اليَد مَع الغَطِّ الذِي صَرَعَه حتَّىٰ رَكَض بِرِجْلِه، فَحَفِظَ بَعْضُ الرُّواةِ الغَطَّ، وحَفِظ بَعضُهُم قَبْضَ اليَد، واللهُ أعْلَم.

وقَد قَال ابن كَثِير فِي «البِدايَة والنِّهَاية»(١): «رأَيتُ فِي بَعضِ الآثَار أنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كَشفَ الحِجَاب فيما بَينَ إِبرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبينَ سَارَّة فَلَم يَزلْ يَرَاها مُنذُ خَرجَت مِن عِندِه إِلىٰ أَنْ رَجَعت إلَيهِ، وكانَ مُشَاهِدًا لَها وَهِي عِندَ المَلِك وَكيفَ عَصَمَها اللهُ مِنْه، لِيكُونَ ذَلِك أَطيبَ لِقلْبِه وأقرَّ لِعَينهِ وَأَشَدَّ لِطُمَأنِينَتِهِ».

وَمِن قَصَص العُقُوبَات التِي وَقَعتْ فِي الأُممِ المَاضِية: قِصةُ الرَّجُل الكَافِرِ الذِي جَعلَ اللهُ لَهُ جَنتَينِ مِن أَعْنابٍ وَحفَّهُما بِالنَّخْل وَجَعلَ بَينَهُما زَرعًا.

وَقد ذَكَر اللهُ قِصتَه وَما دَارَ بينَهُ وَبينَ صَاحبِهِ المُؤمِن مِن المُحاوَرَة فِي سُورَة الكَهفِ، فقَالَ تَعالَىٰ: ﴿ ۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَٰبٍ وَحَفَفْنَٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الكهف: ٣٢] الآيات، إِلَىٰ قَوْلِه تَعالَىٰ فِي ذِكر عقُوبَة الكَافِر: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الكهف: ٤٢، ٤٣].

---

(١) (١/ ١٥٢).

قَالَ ابن كَثيرٍ فِي «البِدَاية وَالنِهَاية»(١): «قَال بَعضُ النَّاسِ: هذَا مثلٌ مَضرُوبٌ وَلا يلزَمُ أنْ يَكونَ وَاقِعًا، وَالجُمهُورُ أنَّه أَمرٌ قَد وَقَع.

قَال: والمَشهُورُ أَنَّ هَذينِ كَانا رَجُلينِ مُصْطَحِبَين وَكانَ أحدُهُما مُؤمِنًا والآخَرُ كَافرًا. ويُقَال: إِنَّه كَان لِكُلٍّ مِنهُمَا مالٌ، فَأنفَق المُؤمِنُ مَالَه فِي طَاعَة اللهِ، وَأمَّا الكَافِر فَإنَّه اتَّخَذ لَه بَسَاتِين وَهُما الجَنَّتَان المَذكُورَتَان فِي الآيَة عَلىٰ الصِّفَة والنَّعتِ المَذكُور».

ثُمَّ تَكَلم ابن كثيرٍ عَلىٰ مَعانِي الآيَات فِي هَذهِ القِصَّة وَما تَضَمَّنَته، إِلىٰ أنْ قَال(٢): «وَفِيها أنَّ مَنْ قَدَّم شَيئًا عَلىٰ طَاعةِ اللهِ والإنْفَاقِ فِي سَبيلِهِ عُذِّبَ بِهِ، وَرُبَّما سُلِب مِنهُ مُعَاملَةً لَه بِنَقيضِ قَصدهِ. وَفِيهَا أنَّ النَّدَامة لَا تَنفَعُ إذَا حَان القَدَر وَنَفَذَ الأمَرُ الحَتْمُ»؛ انتهىٰ.

وَمِن قَصَص العُقُوباتِ التِي وَقعَت فِي الأُمَم المَاضِيةِ: قِصَّة أصْحابِ الجَنَّة الذِين اتَّفَقوا عَلىٰ مَنعِ المَساكِين مِن الدُّخُول عَليهِم فِي جَنَّتِهم يَوم صِرَامِها. وَقَد ذَكر اللهُ تَعالىٰ قِصَّتهم فِي سُورة (نُون).

قَالَ ابنُ كَثيرٍ فِي «تفْسِيره»(٣): «ذَكَر بَعضُ السَّلفِ أنَّ هَؤلاءِ كَانُوا مِن

---

(١) (٢/ ١١٨).

(٢) (٢/ ١٢٠).

(٣) (٨/ ١٩٧).

أَهْلِ اليَمَن. قَال سَعيدُ بن جُبَير: كَانُوا مِن قَريَة يُقَال لَها: ضِرْوَان عَلىٰ سِتَّة أَمْيَال مِن صَنْعَاء، وَقِيل: كَانُوا مِن أَهْلِ الحَبَشة، وَكَان أَبُوهُم قَد خَلَّف لَهم هَذِه الجَنَّةَ، وكَانُوا مِن أَهْلِ الكِتَاب، وَقد كَان أَبُوهم يَسير فِيهَا سِيرَة حَسَنة، فكَان مَا يَسْتَغل مِنهَا يَرُدُّ فِيها مَا تَحْتَاج إِليهِ وَيَدَّخِر لِعِيالِه قُوتَ سَنَتِهم وَيَتَصدَّق بِالفَاضِل، فَلمَّا مَات وَورِثه بَنُوه، قَالُوا: لَقَد كَان أَبُونا أَحْمَقَ إِذْ كَان يَصْرِف مِن هَذه شَيئًا لِلفُقَرَاء، وَلو أَنَّا مَنَعْنَاهم لَتوفَّر ذَلك علَيْنا. فلمَّا عَزموا عَلىٰ ذَلِك عُوقِبوا بِنَقيضِ قَصدِهم، فأَذْهَب اللهُ مَا بِأَيدِيهِم بِالكُلِّية، رَأسَ المَال والرِّبْح والصَّدَقة فَلم يَبق لَهم شَيء.

قَال اللهُ تَعَالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ﴾ [القلم: ٣٣]، أي: هَكذَا عذَابُ مَن خَالفَ أَمْرَ اللهِ وَبَخِلَ بِمَا آتَاهُ اللهُ وأَنْعَم بِه علَيهِ، وَمنعَ حَقَّ المِسكِين والفَقيرِ وذَوي الحَاجات، وبَدَّل نِعمَةَ اللهِ كُفْرًا: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝٢٦﴾ [الزُّمَر: ٢٦].

وقَد ذَكر ابن جَرير(١) عَن عكرِمَة وقَتَادة نَحو مَا تَقَدَّم عَن سَعِيد بن جُبَير. وَقوْله تَعالىٰ: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ۝٢٠﴾ [القلم: ٢٠]، قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أي: كَاللَّيلِ الأَسْوَد».

---

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٢٣/ ١٧٢).

وعَنْه أيْضًا أنَّه قَالَ: «كالرَّمَادِ الأسْوَد». وقَالَ الفرَّاء: «كاللَّيلِ المُسْوَدِّ»[١]. وَقَال ابن قُتَيبَة[٢]: «أصْبَحتْ سَوْدَاء كَاللَّيلِ مُحترِقَة».

ومِن قَصَص العُقوباتِ التِي وقَعت فِي الأمَم المَاضِية: قِصةُ الأبْرَص والأقْرَع مِن بَني إسْرَائيل، وقدْ رَواها البُخَاري وَمُسلم مِن حَدِيث أبِي هُريرَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أنَّه سَمِع النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «إنَّ ثَلاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَىٰ، فَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأبْرَص فقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: لَونٌ حَسَنٌ وجِلْدٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبَ عَنِّي الذِي قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسْنًا وَجِلْدًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الإِبِلُ، أَوْ قَالَ: البقَرُ، قَالَ: فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. قَالَ: فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فَقَالَ: أَيُّ شِيءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبَ عَنِّي هَذَا الذِي قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ، فَذَهَبَ عَنْهُ وَأُعطِيَ شَعَرًا حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيكَ؟ قَالَ: البقَرُ، فَأُعْطِيَ بقَرَةً حَامِلًا، فقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

قَالَ: فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِليَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيهِ بصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِلَيكَ؟

(١) انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٣٣٦).

(٢) انظر: «غريب القرآن» (ص٤٠٩).

قَالَ: الغَنَمُ، فَأُعْطِيَ شَاةً وَالِدًا، فَأُنْتِجَ هَذَانِ وَوَلَّدَ هَذَا، قَالَ: فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الإِبِلِ، وَلِهَذا وَادٍ مِنَ البَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الغَنَم.

قَالَ: ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهِيئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلَاغَ لِيَ اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الحَسَنَ وَالجِلْدَ الحَسَنَ وَالمَالَ بَعِيرًا أَتبَلَّغُ عَلَيهِ فِي سَفَرِي، فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذُرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المَالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

قَالَ: وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثلَ مَا قَالَ لِهَذَا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثلَ مَا رَدَّ عَلَيهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَك إِلَىٰ مَا كُنْتَ. قَالَ: وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلا بَلاغَ لِي اليَوْمَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالذِي رَدَّ عَلَيكَ بَصَرَك شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَري، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي، فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شَئْتَ، فَوَاللهِ لَا أَجْهَدُكَ اليَوْمَ شَيْئًا أَخَذْتَهُ للهِ. فَقَالَ: أَمسِكْ مَالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيكَ»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٦٤)، ومسلم (٢٩٦٤)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

قَالَ الحَافظُ ابن حَجَر فِي «فتْح البَارِي»[١]: «فِي الحَدِيث جَوَازُ ذِكرِ مَا اتَّفَق لِمن مَضَىٰ لِيتَّعِظ بِهِ مَن سَمِعَه، وَلا يَكونُ ذَلكَ غِيبَة فِيهِم. وَلَعلَّ هَذا هُو السِّر فِي تَرك تَسمِيتِهم، وَلم يُفصِح بِمَا اتَّفق لَهم بَعد ذَلِك، والذِي يَظهَرُ أَنَّ الأَمْرَ فِيهِم وَقَع كَما قَال المَلَك».

قُلتُ: يَعنِي أَنَّ الأَبْرَص صَار إِلَىٰ مَا كانَ عَليهِ قَبلَ الابْتلاءِ مِن البَرَص والفَقْر، وأَنَّ الأَقْرَع صَار إِلَىٰ مَا كانَ عَليهِ قبلَ الابْتلاءِ مِن القَرَع والفَقرِ عُقُوبَةً لهُمَا عَلىٰ جَحدِ نِعمَة اللهِ عَليهِما، وَلا شكَّ أَنَّ دُعاءَ المَلَك مُستجَابٌ؛ لِأَنَّه لَم يَفعَل مَعهُما شَيئًا إِلَّا بِأمرٍ مِن اللهِ».

وَمن قَصصِ العُقُوبات التِي وَقَعت فِي زَمنِ الجَاهليَّة: مَا رَواه عَبد الرَّزَّاق فِي «**مُصَنَّفه**»[٢]، عَن حُويْطِب بن عبد العُزَّىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: «أَنَّ أَمةً فِي الجَاهلِيَّة عَاذَت بِالبَيتِ، فَجاءَت سَيِّدَتُها فَجَذبَتها فَشُلَّت يَدُها. قالَ: وَلَقد جَاء الإِسْلامُ وَإِن يَدَها لَشَلَّاء».

وَقَد رَواه الطَّبَرانِيُّ فِي «**الكَبير**»، عَن حُويطِب بن عَبد العُزَّىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا بِفِنَاء الكَعْبَة فِي الجَاهِلِيَّة، فَأَتتِ امْرَأَةٌ البَيْتَ تَعُوذُ بِهِ مِن زَوْجِها، فَمدَّ يَده إِلَيهَا فَيَبِسَت يَدُهُ، فَلَقد رَأَيْتُه فِي الإِسْلام وَإِنَّه لَأَشل». [وَرَواهُ الحَاكِم فِي

---

(١) (٦/ ٥٠٣).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٦) (٨٨٦٦).

«**المُسْتَدرَك**»، والأَزْرَقِي فِي «**أَخْبَار مَكَّة**» بنحوه][(١)].

وَرَوىٰ الأَزْرَقي أيْضًا عَن حُويطِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنَّه قَالَ: «كانَ فِي الجَاهِليةِ فِي الكَعبَة حِلَقٌ أَمْثَالُ لُجُمِ البَهْم، يُدخِل الخَائِف فِيهَا يَدَه فَلا يُريبُه أَحدٌ، فلمَّا كَانَ ذَات يَومٍ ذَهب خَائفٌ لِيدخِل يَدَه فِيها فَاجْتَبَذَه رَجُل فَشلَّت فِيها يَمينُه، فَأدرَكَه الإسْلامُ وَإنَّه لأشَل»[(٢)].

ومِنَ القَصص التِي وَقَعت فِي زَمنِ الجَاهِليَّة أيضًا: مَا رَواه الأَزْرَقي فِي «**أَخْبَار مَكَّة**»، عَن مُجاهِد قَال: «جَاءت امْرأَةٌ تَطوفُ عُريَانةً وَكانَ لَها جَمَالٌ، فَرَآهَا رَجُلٌ فأعْجَبتْه، فَدخَل الطَّواف وَطافَ فِي جَنبِها لأنْ يَمَسَّها، فأَدْنىٰ عَضُدَه مِن عَضُدِها فَالتَزَقَت عَضُدُه بِعَضدِها، فَخَرجا مِن المَسجِد مِن ناحِيَة بَني سَهمٍ هَاربَينِ علىٰ وُجُوهِهِما فزِعين لِمَا أَصَابَهُمَا مِن العُقُوبة، فَلَقِيَهما شَيخٌ مِن قُرِيشٍ خَارجًا مِن المَسجِد فَسَألَهُما عَن شَأنِهما، فأخْبَراهُ بِقضيَّتِهما، فَأَفْتَاهُما أنْ يَعودا فَيرجِعَا إلَىٰ المَكان الذِي أصَابَهمَا فِيه مَا أصَابَهمَا فَيدْعُوان وَيُخلِصان أنْ لَا يَعُودا، فَرَجَعا إلىٰ مَكانِهما فَدعَوَا اللهَ سبْحَانه وأخْلَصَا إلَيهِ أنْ لَا يَعُودا، فافْتَرَقت

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٨٥) (٣٠٦٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٦١) (٦٠٨٣)، والأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥)، وغيرهم عن حويطب بن عبد العزىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٤).

أعضَادُهُما، فَذَهب كُلُّ وَاحد مِنهُما فِي نَاحِيَة»(١).

وَقَد رَوَاه عَبد الرَّزَّاق فِي «**مُصنَّفه**»، والفَاكِهِّي فِي «**أَخْبَار مَكَّة**» بأسَانِيد صَحيحَة عَن عبْدِ الرَّحمَن بن سَابطْ(٢) قَالَ: «بَرِقَ سَاعدُ امْرَأةٍ وَهِي تَطوفُ بِالبَيتِ فِي الجَاهليَّةِ، فَوَضعَ رَجلٌ يَدَهُ عَلىٰ سَاعِدِهَا فَأَلْزَقَت يَدُهُ بِيَدِها، فَأَتىٰ رَجُلٌ فَقَال: ائتِ المَكَان الذِي صَنعتَ فِيه هَذا فَعاهِدْ رَبَّ هذَا البَيتِ أَنْ لا تَعُود، قَال: فَفَعل فَأُطْلِق».

وَرَوَىٰ الفَاكِهي أيْضًا عَن عَطَاء بن السَّائِب، عَن عَامر -والظَّاهِر أَنَّه يَعنِي بِه الشَّعْبي- قالَ: «إِنَّ رجُلًا أَخَذ بِيدِ امْرَأةٍ فِي الجَاهِلِيةِ فِي الطَّوافِ، فَلِزمتْ يَدُه يَدَها، فَلَقِيهُ شَيخٌ مِن قُرِيشٍ فَقالَ: مَا شَأنُكُما؟ فَأَخْبَراه الخَبَر، فَقالَ: ارجِعَا إِلَىٰ المَكَان الذِي أَصَابَكُما فِيهِ هَذا فَادْعُوَا اللهَ فِيه، فَدَعوَا فَفُرِّجَت أَيدِيَهُما»(٣).

قلتُ: فِي هذِهِ القِصَّة عبْرَة لِلمْعتَبرينَ، وَمَوعِظَة للسُّفَهاء الذِين يتَعَرَّضُون للنِّسَاء فِي الطَّوافِ، فينَظُرُون إلَىٰ وُجوهِهِنَّ وَما ظَهر مِن أَعْضَائِهِن، وَرُبَّما غازَل بَعضُهم بَعضَ النِّسَاء فِي الطَّوافِ، ورُبَّما لَمَس بعضُهُم بَعضَهُنَّ.

وَرُبَّما تَعرَّض بَعضُهم إِلَىٰ مَا هُو أَشْنَع مِن ذلِكَ من الأفعَالِ القَبيحَة، كَما

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ١٧٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٢٦) (٨٨٦٧)، والفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٦) (١٤٦٧) عن عبد الرحمن ابن سابط.

(٣) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٦) (١٤٦٦) عن الشعبي.

قَد ذَكَر لنَا بَعضُ الثِّقاتِ: «أنَّه رَأىٰ بَعضَ الفُجَّار يُتابع امْرَأة في الطَّوَاف، فَإذَا جَاء فِي مَوَاضِع الزِّحَام التَزَق بِهَا مِن خَلفِهَا، فَلَمَّا رَأىٰ ذَلكَ مِنهُ أَمسَكَهُ، فَإِذا مُقدَّم ثَوبِه قَد ابْتلَّ بَالمَنِي وتَلوَّث بِه، فَذهبَ بِه إلَىٰ بَعضِ دَوائِرِ المَسئولِين لِيعاقِبُوه مُعاقَبَةً تَردَعه وَتَردَع أمْثَالَه مِن الفُجَّار الذِين لا يَخافُون اللهَ وَلا يُبالُون بانْتِهَاك حُرمَة البيْت الحَرَام».

وَذُكِر لنَا أيْضًا: «أنَّ بَعضَ الفُسَّاق قَد اتَّخذوا الطَّوَاف بِالبيتِ مَوضِعًا لِمُراوَدَة النِّسَاء وتَحديدِ المَواعِيد مَعهُن للفُجُور».

ولا شَكَّ أنَّ هَؤلاءِ وَمَن ذُكِر مِن قَبلِهم مِن الفُسَّاق قَد تَعرَّضوا لِلعُقوبَة العَاجِلة فِي الدُّنيَا مَع مَا هُو مُدَّخَرٌ لهمْ مِن العَذابِ الألِيمِ فِي الآخِرَة إنْ لَمْ يَتوبُوا مِن أعْمَالِهم السَّيِّئة.

وَمِن العُقُوبات التِي وقَعتْ فِي زمَن الجَاهليَّة أيضًا: ما رَواهُ الأزْرَقي فِي «**أخْبَار مَكَّة**»، عَن أيُّوب بن مُوسىٰ: «أنَّ امْرَأةً كَانتْ فِي الجاهِليَّة مَعها ابن عَمٍّ لَها صَغير، وَكَانتْ تَخرُج فتَكتَسبُ عَليهِ ثُم تَأتِي فَتطعمَه مِن كَسبِهَا، فقَالت لَه: يَا بُنيَّ، إنِّي أغِيبُ عَنكَ وَإنِّي أخَاف عَليكَ أنْ يَظْلَمَك ظَالمٌ، فإنْ جَاءك ظَالمٌ بَعدِي فَإن لله تَعالَىٰ بِمكَّة بَيتًا لا يُشبِهُه شَيء مِن البُيوتِ، ولا يُقَاربُه مُفسِد، وَعليهِ ثِيابٌ، فَإن ظَلَمك ظَالمٌ يومًا فَعُذْ بِهِ فَإن لَه رَبًّا يَسمَعكَ.

قَال: فَجاءَه رَجلٌ فَذَهبَ بِهِ فاسْتَرقَه. قَال: وَكانَ أهلُ الجَاهليَّة يَعمُرون

أنْعامَهم، فَأعمَر سَيدَه ظَهرَه، فلمَّا رَأىٰ الغُلامَ البيتَ عَرف الصِّفةَ فَنَزل يَشتدُّ حَتَّىٰ تَعلق بِالبيتِ، وجَاء سَيدُّه فَمَدَّ يده إلَيهِ ليأخُذَه فَيبِسَت يدُه، فَمَدَّ الأخرَىٰ فيَبِسَت يَدُه الأخْرَىٰ، فاسْتَفتَىٰ فِي الجَاهليَّة فَأُفتِيَ لِينحَر عَن كُلِّ وَاحدَةٍ من يَديْهِ بَدنةً، ففعَل فأُطلِقَتْ لَه يَداهُ، وَتَركَ الغُلامَ وخَلَّىٰ سَبيلَه»(١).

وَمِن قَصَص العُقُوباتِ أيْضًا: مَا رَواه الفَاكِهي فِي «**أخْبَار مَكَّة**»، عَن عَبد العَزِيز بن أَبِي رواد قَال: «إنَّ قَومًا انْتَهوا إلَىٰ ذِي طوَىٰ فَنـزلُوا بِها، فَإذا ظَبيٌ قَد دَنا مِنهم، فأخَذَ رَجلٌ بِقائمَةٍ مِن قَوائمِهِ، فقَالَ لَهُ أصحَابُه: وَيلَك أَرسِلْه، فَجَعل يَضحَك ويَأبَىٰ أنْ يُرسِلَه، فَبعَّر الظَبي وبَال ثُمَّ أرْسَلَه. فَنامُوا فِي القَائِلَة، فَانتبَه بَعضُهم فَإذَا بِحيَّة مُتطَوِّقَة عَلىٰ بَطنِ الرَّجُل الذِي أخَذ الظَّبْي فقَال لهُ أصْحَابه: وَيحَك لا تَحرَّك وانْظُر مَا عَلىٰ بَطنِكَ، قَال: وَلَم تَزُل عَنه الحيَّة حتَّىٰ كَان مِنهُ مِن الحَدثِ مِثل مَا كَان مِن الظَّبي»(٢).

وَمِن قَصَص العُقُوبَات أيضًا: مَا رَواه الفَاكِهي أيْضًا، عنْ أَبِي زُرعَة قَال: سَمعْتُ مُحمَّد بن أَبِي عُمَر قَال: سَمِعتُ أَبِي يَقُول: «وقَعَ بَينَ رَجلٍ وبَين خَتَنِه كَلامٌ، فَقال الفَتَىٰ لَخَتَنِه فِيما قَال لَه: أنْتَ الذِي بَعثْتَ لِي بِنتَك ولَم تَكُن عَذرَاء، فَقام غُلامٌ مِن الحَلقَة، فَمَضىٰ إلَىٰ امْرَأتِه فأخْبرَها بِقولِه. فقَامت الجَارِيةُ فانْتَقبتْ

---

(١) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٧) عن أيوب بن موسىٰ.

(٢) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٧) (١٤٦٨) عن عبد العزيز بن أبي رواد.

ثُمَّ جاءَتْ حَتَّىٰ وقفَتْ علَيهِم وَهم يَتخاصَمُون في حَلَقتِهِم، فأَسْفَرتْ عن وَجهِها ثُمَّ نَظرتْ إلَىٰ زوجِهَا وقَالتْ: يَا فلان بن فُلان، أتَعرِفني؟ قال: نِعم، أنتِ امرأَتِي فُلانة، قالتْ لهُ: أنتَ القَائلُ لأَبِي: إنِّي جِئتك غَير عَذرَاء، اللَّهم إنْ كَان كاذِبًا فَسلِّط عَليه بَرَصًا نقيًّا، قَال: فتَسلَّخ الرَّجل مِن جِلدِه مَكَانه»[١].

ومِن قَصصِ العُقُوبات أيضًا: مَا رواهُ الأزْرَقي في «**أخبَار مَكَّة**»، عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: «رَأيْتُ رَجلًا دَعا عَلىٰ ابن عَمٍّ لَهُ بِالعَمىٰ فَرَأيتُه يُقادُ أَعْمَىٰ»[٢].

وَمِن قَصص العُقُوباتِ أيضًا: مَا رَوَاه ابن سَعدٍ فِي «**الطَّبَقات**»[٣]، عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وعَن عَاصم بن عُمر بن قَتَادة، وأبِي بَكر بن عبْد الرَّحمَن بن الحَارث بن هِشَام، وَعبْد اللهِ بن عُثْمَان بن أبِي سُلَيمَان بن جُبَير بن مُطْعم، عَن أَبيهِ: «أنَّ قُريشًا كَتبُوا كِتَابًا عَلىٰ بَني هاشِم أنْ لَا يُناكِحُوهم وَلا يُبايِعُوهم وَلا يُخالِطُوهم، وَكانَ الذِي كَتبَ الصَّحِيفَة مَنصُور بن عَكْرمَة العَبدَرِي، فَشُلَّت يَده».

وَقالَ ابنُ إسْحَاق: «دعَا عَليهِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَشُلَّ بَعض أصَابِعِه»[٤].

---

(١) أخرجه الفاكهي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥٧) (١٤٧٠).

(٢) أخرجه الأزرقي في «أخبار مكة» (٢/ ٢٥) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٤) انظر: «السيرة النبوية» (١/ ٣٥٠) لابن هشام.

قالَ ابن كَثيرٍ فِي «البِدايَة والنِّهايَة»[١]: «وكَانتْ قُريشٌ تقُول بَينَها: انْظُروا إلَىٰ مَنصُور بن عَكْرِمَة».

ومِن قَصص العُقوبات: مَا رَواهُ الطَّبرانِي مِن حَديثِ عبد الرَّحمَن بن أَبِي بَكر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قالَ: «كانَ الحَكَم بن أَبِي العَاص يَجلسُ عِندَ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَإذا تَكلَّم اخْتلَجَ، فَبصُرَ بِه النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فقَال: «**كُنْ كَذَلِكَ**»، فَمَا زَال يَختَلِج حَتَّىٰ مَات».

ورَواه البَيهَقِي فِي «**دلائِل النُّبُوَّة**» وَلفظُه قَالَ: «كانَ فُلانٌ يَجلسُ إِلىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَإذا تَكلَّم النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِشيءٍ اخْتَلَجَ بِوجهِهِ، فقَال لهُ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: «**كُنْ كَذلكَ**»، فلَمْ يزلْ يَختَلِج حَتَّىٰ مَات»[٢].

ورَوَىٰ البَيهَقِي أيْضًا عنْ هِند بن خَدِيجَة زَوجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ بِالحَكَم، فَجعَل يَغمِزُ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَالتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَرَآه فَقَال: «**اللَّهُمَّ اجْعَل بِه وَزْغًا**» فَرَجَفَ مَكَانَه، وَالوَزْغُ ارتعَاشٌ»[٣].

---

(١) (٣/ ٨٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ٢١٤) (٣١٦٧)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣٩).

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة (٦/ ٢٤٠)، وغيره عن هند بن خديجة.

قَال ابن الأثِير فِي «النِّهايَة»[1] وَتبعَه ابن مَنظُور فِي «**لِسَان العَرَب**»[2]:
«وفِيهِ: أنَّ الحَكَم بن أَبِي العَاص أبَا مَروَان حَاكَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِن خَلفِهِ، فَعَلم بِذلِكَ فَقال: «**كَذَا فَلتكُنْ**»، فأَصَابَه مَكانَه وَزْغٌ لَمْ يُفَارِقْه، أَي: رَعشَة، وَهِي ساكِنَة الزَّاي».

وفِي رِوايَة: «أنَّه قَال لَمَّا رَآهُ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ بِهِ وَزْغًا**»، فَرَجَفَ مَكَانَهُ وارْتَعَشَ»؛ انتهىٰ.

وقَال ابن عَبدِ البَرِّ فِي «الاسْتِيعَاب»[3]: «كان الحَكَم بن أَبِي العَاصِ يَحْكي النَّبيَّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مِشيَته وبَعْضِ حَركَاته، فالتَفَت النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا فَرآه يَفعلُ ذَلكَ، فَقال صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فَكَذَلِكَ فَلْتَكُنْ**» فَكانَ الحَكَم مختلجًا يَرتَعشُ مِن يَومِئذ».

ومِنَ العُقُوبَة علىٰ مُخَالَفة أمْر النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاء فِي حَديثِ سَلمَة بن الأكْوَع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا أَكَل عِندَ رَسولِ اللهِ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشمَالِه فَقَال: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ، قَال: «**لَا اسْتَطَعْتَ، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ**»، قَالَ: فمَا رَفعَها إِلىٰ فِيه». [رَواهُ الإمَام أحْمَد وَمُسلِم وابْن حِبَّان فِي «**صَحيحِه**»، والبَيهَقِيُّ فِي «**دلائِل النُّبوة**»].

---

(١) (٥/ ١٨١).

(٢) (٨/ ٤٥٩).

(٣) (١/ ٣٥٩).

وفِي رِوايَة لِأحمَد والدَّارِمي وابْن حِبَّان والبَيهَقِي، عَن سَلَمة بن الأكْوَع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: «سَمِعتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقولُ لِرَجلٍ -يُقَال لَه: بُسر بن رَاعِي العِير- أبْصَرهُ يأكُلُ بِشمالِه، فقَال: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، فقَالَ: لَا أسْتَطِيعُ، فَقَالَ: «**لا اسْتَطَعْتَ**»، قالَ: فَما وَصَلتْ يَمينُه إلىٰ فَمِه بَعْدُ».

[هَذا لفظُ أحْمَد. وَزَاد، قالَ أبُو النَّضْرِ فِي حَديثِهِ: «ابنُ رَاعِي العِيرِ مِن أشْجَع»].

قَالَ النَّوَوِي فِي «شَرحِ صَحِيح مُسْلِم»: «فِي هَذا الحَديثِ جوازُ الدُّعَاء علىٰ مَن خَالفَ الحُكمَ الشَّرعِي بِلا عُذرٍ»؛ انتهىٰ[1].

قُلتُ: وفِي دُعاءِ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ الرَّجُل الذِي خَالفَ أمْرَه ومُعَاجَلة الرَّجُل بِالعُقوبَة أبْلَغ تَحذِير مِن الأكْل والشُّربِ بالشِّمَال مِن غير عُذرٍ، فَليحْذرِ الذِين يَأكلونَ وَيشرَبونَ بِشمَائِلِهم مِن غَيرِ عُذرٍ أَن يُصَابوا بِمثلِ مَا أصِيبَ بِه بُسر بن رَاعي العِير. فمَا العُقوبَة بِبعيدٍ مِن الذِين يُخَالفُون أَمرَ النَّبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهَدْيَه.

ومِن العُقوبَة علىٰ المُخالفَة أيضًا: مَا رَواهُ الإمَام أحمَد عَن أبِي يَحيَىٰ -

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٥- ٤٦) (١٦٥٤٠، ١٦٥٤٦)، ومسلم (٢٠٢١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤/ ٤٤٢-٤٤٣) (٦٥١٢، ٦٥١٣)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٣٨)، والدارمي في «السنن» (٢/ ١٢٩٣) (٢٠٧٥)، وغيرهم من حديث سلمة بن الأكوع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر: «شَرح صَحيح مُسْلِم» (١٣/ ١٩٢) للنووي.

رَجل مِن أَهلِ مَكَّة- عَن فَرُّوخ مَولَىٰ عُثمَان: «أنَّ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ وَهُو يَومَئِذٍ أمير المُؤمِنين، خَرَج إِلَىٰ المَسجدِ فرأىٰ طَعامًا مَنثُورًا فَقَال: مَا هَذا الطَّعَام؟ فقَالُوا: طَعَامٌ جُلِبَ إلينَا، قَال: بَاركَ اللهُ فِيهِ وفِيمنْ جَلبَه. قِيل: يَا أمِيرَ المُؤمِنينَ، فإنَّه قَد احْتُكِر، قَال: وَمن احْتكَره؟ قَالُوا: فَرُّوخ مَولَىٰ عُثمان وفُلان مَولَىٰ عُمَر.

فَأرسَل إليهِمَا فَدَعاهمَا فَقَال: مَا حَملكمَا علىٰ احتِكَار طَعامِ المُسلِمين؟ قَالا: يَا أمِيرَ المُؤمِنينَ، نَشتَري بأموالِنَا ونَبيعُ، فَقَالَ عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ: سَمِعتُ رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَقُول: «**مَنِ احْتكَرَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ طَعَامَهُمْ ضَرَبَهُ اللهُ بالإِفْلَاسِ أَوْ بِجُذَامٍ**»، فَقَال فَرُّوخ عِندَ ذَلكَ: يَا أميرَ المُؤمِنينَ، أعَاهِد اللهَ وأُعَاهِدُك أَن لَا أعودَ فِي طَعام أبَدًا.

وأمَّا مَولَىٰ عُمَر فَقَال: إنَّمَا نَشتَري بِأموَالِنا ونَبِيعُ. قَال أبُو يحْيىٰ: فلَقد رأيْتُ مَولىٰ عُمَر مَجْذُومًا».

[ورَوَاه البَيهَقي فِي «**دَلائِل النُّبُوة**»، وَروَىٰ ابن مَاجَه المَرفُوعَ مِنهُ فَقط. قَالَ فِي «الزَّوَائِد»: إسْنَاده صَحيحٌ ورِجَالُه مُوَثَّقون، وصَحَّحَ الشَّيخُ أحْمَد مُحَمَّد شَاكِر إسْنَاد أحْمَد][(١)].

وَمِن عُقُوبَات المُستَهْزئينَ بِالأحَادِيث الثَّابِتة عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ: مَا

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢١) (١٣٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٤٦)، وابن ماجه (٢١٥٥) مختصرًا علىٰ المرفوع منه، وغيرهم.

رَواه الدَّارِمِي، عَن ابنِ عَجْلان، عَن العَجْلان، عَن أَبِي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عِن رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**بَيْنَما رَجُلٌ يَتبَخْتَرُ فِي بُرْدَينِ خَسَفَ اللهُ بِهِ الأَرْضَ فَهُوَ يَتَجلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَومِ القِيامَةِ**»، فَقَال لَه فَتَىٰ قَد سَمَّاه وَهُو فِي حُلَّة: يَا أَبَا هُرَيرَة، أَهَكذَا كَان يَمشِي ذَلكَ الفَتَىٰ الذِي خُسِفَ بِه؟ ثُمَّ ضَرب بِيَده فَعَثَر عَثْرَة كَاد يَتكسَّر مِنهَا، فقَال أَبُو هُريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لِلمِنخَرَينِ وَلِلفَم: ﴿**إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ** ﴿٩٥﴾﴾ [الحِجر: ٩٥].

[وَقَد بَوَّب الدَّارمِي عَلىٰ هَذا الحَديثِ بِقولِه: «بَاب تَعجِيلُ عُقوبَة مَن بَلَغه عَن النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَديثًا فَلَم يُعظِّمه وَلَم يُوَقِّره»](١).

وَمن عُقوبَات المُستهزِئينَ بِالأَحَاديثِ الصَّحيحَةِ أيضًا: مَا ذَكَره ابن القَيِّم فِي كِتابِه «**مِفْتَاح دَار السَّعَادة**»(٢)، عنْ أَحْمَد بن مَرْوَان المَالِكي أَنَّه قالَ فِي «**كتَاب المُجَالَسَة**» لَه: حَدَّثنا زَكريَّا بن عَبد الرَّحمنِ البَصرِي قَال: سَمعتُ أَحمَدَ بن شُعَيب يَقُول: «كُنَّا عِندَ بَعضِ المُحدِّثينَ بِالبَصرَة فَحدَّثنا بِحديثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ المَلائِكَةَ لَتضَعُ أَجْنِحَتَها لِطَالِبِ العِلْمِ**»(٣).

وفِي المَجلِس مَعَنا رَجلٌ مِن المُعتزِلَة، فَجعَل يَستَهزِئ بِالحدِيث، فقَالَ:

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤٠٤) (٤٥١)، وغيره من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) (١/ ٦٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٦٤١)، والترمذي (٢٦٨٢)، وغيرهما من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢/ ١٠٧٩) (٦٢٩٢).

واللهِ لَأطرُقَنَّ غدًا نَعْليَّ بِمسَامِير فَأَطأ بِها أجْنِحَة الملَائِكة. فَفَعل وَمَشىٰ فِي النَّعْلَين فَجفتْ رِجلَاه جَميعًا وَوقَعتْ فِيهِمَا الآكَلة».

ومِن عُقُوباتِ المُستَهزِئينَ بالأحَادِيثِ الصَّحِيحةِ أيْضًا: مَا رَوَاه الطَّبَراني قَال: سَمعْتُ أبَا يَحيَىٰ زَكريَّا بن يَحْيىٰ السَّاجي قَال: «كُنَّا نَمشِي فِي بَعضِ أزِقَّة البَصرَة إلَىٰ بَاب بَعضِ المُحدِّثينَ، فأسْرَعنَا المَشي وَكان مَعنَا رَجلٌ مَاجنٌ متَّهمٌ فِي دِينِه فَقَال: ارْفَعوا أرْجُلَكم عَن أجْنِحَة المَلائِكة لا تَكسِرُوها؛ كَالمُستَهزِئ، فَما زالَ مِن مَوضِعِه حَتَّىٰ جَفَّت رِجلاه وَسَقط».

[وَقَد رَوَاه الخَطيبُ البَغْدَادي فِي كِتَابه «**الرِّحْلَة فِي طَلَب الحَدِيث**»[1] مِن طَريقِ الطَّبَرانِي فَذَكره بِنَحوِه].

قُلتُ: مَا أكْثَر المُستَهْزِئينَ بِالأحَاديثِ الصَّحِيحَة مِن الأجْلَافِ المَغْمُوصين بالنِّفَاق والزَّنْدقَة فِي زمَانِنَا وقَبْلَه بِزمانٍ! وَقد رَأينَا ذَلكَ فِي كُتبٍ لَهم وَمَقالاتٍ كَثِيرة.

وبَعضُ الحَمقَىٰ مِن هَؤلاء لا يُقيمُونَ لِلأحَاديثِ الصَّحِيحةِ وَزنًا، وَلا يُبالُون بِردِّهَا واطِّرَاحِها ومُقَابلَتِها بأسْوَأ المُقابَلَة إذَا كَانتْ مُخالِفة لِما يَرونَه بِعقُولِهم القَاصرة وآرائِهم الفَاسدة.

ولا شكَّ أنَّ هذَا مِن المُحَادَّة للهِ ولِرسُولِه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ، واتِّبَاع غَيرِ

---

(١) (ص٨٥).

سَبيلِ المُؤمِنينَ، وَقدْ وَرَد الوَعيدُ الشَّديدُ عَلىٰ ذَلكَ فِي عدَّة آياتٍ مِنَ القُرآنِ، فَلا يأمنُ المُستهْزِئونَ بِالأحَادِيث الصَّحِيحة والمُقَابِلون لهَا بِالرَّفْض والاطِّرَاح أنْ تُعجَّل لَهم العُقوبةُ فِي الدُّنْيا، مَع مَا هُو مُدَّخرٌ لَهم مِن العذَاب الأليِمِ فِي الآخِرَة إنْ لَم يَتُوبوا ويُقَابِلوا أقوَالَ رَسولِ اللهِ ﷺ بالقَبُول والتَّسلِيمِ والتَّوقِيرِ والتَّعظِيم.

ومِنَ العُقوبَاتِ عَلىٰ مَعصِيةِ النَّبي ﷺ: مَا رَواه الإمَامُ أحْمَد والبزَّار والطَّبَراني، عَن عبد اللهِ بن عُمَر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «أنَّ رَسُول اللهِ ﷺ نَزلَ العَقِيقَ، فَنهىٰ عَن طُروقِ النِّساءَ اللَّيلةَ التِي يَأتِيَ فِيهَا، فَعَصاه فتيَان، فَكِلاهُمَا رَأىٰ مَا يَكْرَه». [قَال الهَيثَمِي: رِجَالُهم ثِقَات](١).

ورَوىٰ الدَّارِمي عَن ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَن النَّبي ﷺ قَال: «**لا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيلًا**». قَال: «وَأقبلَ رَسُول اللهِ ﷺ قافلًا، فاشْتَاقَ رَجُلانِ إِلَىٰ أهْلَيهِمَا، وكِلَاهُمَا وَجَد مَع امْرَأتِه رَجُلًا»(٢).

ورَوىٰ الدَّارِمي أيْضًا عَن سَعِيد بن المُسَيِّب قالَ: «كَان رَسُول اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٠٤) (٥٨١٤)، والبزار في «المسند» (١٢/ ١٥٤) (٥٧٥٠)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وانظر: «مجمع الزوائد» (٤/ ٣٣٠)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٣٠٨٥).

(٢) أخرجه الدارمي (١/ ٤٠٩) (٤٥٨)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وفي إسناده زمعة بن صالح، وهو ضعيف وقد وثق.

إذَا قَدِمَ مِن سَفَرٍ نَـزَل المعرَّس ثُمَّ قَال: «**لَا تَطْرُقُوا النِّسَاءَ لَيْلًا**»، فَخَرجَ رجُلانِ مِمَّن سَمعَ مَقالَتَهُ فَطرَقَا أهْلَيهِمَا فَوَجد كُلُّ وَاحدٍ مِنهُما مَع امْرَأتِه رَجُلًا»(١).

ومنَ العُقوبَات عَلىٰ مَعصِية النَّبِي ﷺ أيضًا: مَا رَوَاهُ يُونُس بنُ بُكَيْر،

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤١٠) (٤٥٩)، عن سعيد بن المسيب به مرسلًا.

قال الصنعاني في «التنوير شرح الجامع الصغير» (١١/ ١٢٢) (٩٨٠٥): «(لا تطرقوا النساء) أي: تقدموا علىٰ الأزواج من الأسفار (ليلًا) لما علَّل به في غيره من أنه قد يوافق أهلَه علىٰ غير الحالة التي يريد وتريد، والطَّرْق لا يكون إلا في الليل، فذِكْرُه تجريد، كما في قوله تعالىٰ: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾، مع أن الإسراء لا يكون إلا في الليل، وفيه أنه لا يحسن أن يدخل علىٰ أهله في حالة يكرهون رؤيتهم له عليها لئلَّا ينفر طبعه عنهم» اهـ.

وقال صاحب «كوثر المعاني الدراري» (١٤/ ٥٥): «قال ابن أبي جمرة -نفع الله به-: فيه النهي عن طروق المسافر أهله علىٰ غِرَّة من غير تقدُّم إعلام منه لهم بقدومه، والسببُ في ذلك ما وقعت إليه الإشارة في الحديث، قال: وقد خالف بعضُهم فرأىٰ عند أهله رجلًا، فعُوقب بذلك علىٰ مخالفته» اهـ.

وقد سئل العلامة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله هذا السؤال:

من المعلوم أن النبي ﷺ نهىٰ أن يطرق الرجل أهله ليلًا، ونحن كثيرو السفر، بل السفر هو طبيعة عملنا، وكثيرًا ما تصادف الرجوع ليلًا من رحلاتنا، فكيف العمل؟

فأجاب قائلًا: النهي ليس واردًا علىٰ هذا، فالنهي علىٰ إنسان يطرق أهله بغير أن يُخبرهم، أما إذا أخبرهم فلا حرج في ذلك، وليس فيه نهي؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام علَّل النهي فقال ﷺ: «**حتىٰ تمشط الشعثة، وتستحد المغيبة**»، وهذا يدل علىٰ أن النهي إنما هو لمن لا يُعلِم أهله بذلك، أما من علموا وباتفاق بينه وبينهم ويقول: سآتي في الساعة الثانية عشر ليلًا، فلا شيء عليه. انظر: «مجموع فتاوىٰ الشيخ ابن عثيمين» (١٥/ ٤٤٨).

عِن ابن إسْحَاق، حَدثَنِي عَبد اللهِ بن أَبِي بَكر بن حَزم، عَن العَبَّاس بن سَهل بن سَعد السَّاعِدي -أو عَن العَبَّاس بن سَعد (الشَّكُّ مِنِّي)-: «أنَّ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ مَرَّ بِالحِجْرِ وَنزلَهَا قَال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يَخرُجَنَّ أحَدٌ مِنكُم اللَّيْلَة إلَّا وَمَع صَاحبٍ لَه**»، فَفعَل النَّاسُ مَا أمَرَهم بِه رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلَّا رَجُلَينِ مِن بَنِي سَاعِدة، خَرَج أحَدُهما لِحَاجَتِه وخَرَج الآخَرُ فِي طَلَب بَعيرٍ لَه، فَأمَّا الذِي ذَهبَ لِحَاجَتِهَ فإنَّه خُنِق عَلىٰ مَذهَبِهِ، وأمَّا الذِي ذَهبَ فِي طلَبِ بَعيرِهِ فَاحتَمَلتْهُ الريحُ حَتَّىٰ ألقَتْهُ بَجبلِ طَيِّءٍ، فأُخبِرَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلكَ فَقَال: «**أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ يَخْرُجَ رَجُلٌ إلَّا وَمَعَ صَاحِبٍ لَهُ**»، ثُمَّ دَعَا لِلذِي أُصِيبَ عَلَىٰ مَذهَبِه فَشُفِي، وَأمَّا الآخَر فَإنَّه وَصَل إلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمَّا رَجَع مِن تَبُوك».

وفِي رِوَايَة زِياد عَن ابن إسْحَاق: «أنَّ طَيئًا أهْدَته إلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَجعَ إلَىٰ المَدِينة».

قَالَ ابن إسْحَاق: «وَقدْ حَدَّثني عَبدُ اللهِ بن أبِي بَكر، أنَّ العَبَّاس بن سَهْل سَمَّىٰ لَهُ الرَّجُلينِ، لَكِنَّه اسْتكتَمه إيَّاهُما فَلم يُحَدِّثني بِهِما»[١].

ورَوىٰ الإمَامُ أحْمَد والبُخَاري وَمُسلم عَن أبِي حُمَيد السَّاعِدِي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: «غَزونَا مَع النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غزوَة تبُوك -فَذَكر الحَدِيث وَفِيه- فَلمَّا أتينَا تَبُوك قَال: «**أَمَا إنَّهَا سَتهُبُّ اللَّيْلَة رِيحٌ شَدِيدَةٌ فَلا يَقُومَنَّ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ بَعِيرُهُ**

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٥/ ١١).

فَلْيَعْقِلْهُ»، فعقلناها وهبَّت رِيحٌ شديدة، فقام رجلٌ فألقته بجبل طيء»[(١)].

وَمِن العُقُوبَات عَلَىٰ مَعصِيَة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أيضًا**: ما رواه أبو داود، عَن سَعيد بن غَزْوَان، عَن أَبيه: «أَنهُ نَزل بِتبُوك وَهُو حَاجٌّ، فَإذا هُو بِرَجُل مُقْعد فَسَأله عَن أمْرِه، فقَال لَه: سَأحَدِّثك حديثًا فَلا تُحَدِّث بِه مَا سَمعتَ أنِّي حيٌّ. إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزلَ بِتبوك إِلىٰ نَخلَة فقَال: «**هَذِهِ قِبْلَتُنَا**»، ثُمَّ صَلَّىٰ إِلَيهَا فَأقْبَلْتُ وَأنا غُلامٌ أَسعَىٰ حتَّىٰ مَررْتُ بَينَه وبينَها، فقَال: «**قَطَع صَلاتَنَا قَطَعَ اللهُ أَثَرَهُ**»، فمَا قُمتُ عَليهَا إِلَىٰ يَومِي هَذا».

ورَوَاه الإمَامُ أحْمَد وأبُو دَاود أيْضًا، عَن يَزيدَ بن نِمْرَان قَال: «رَأَيتُ رَجُلًا بِتبُوك مُقْعَدًا فَقَال: مَررْتُ بَينَ يَدَي النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا عَلىٰ حِمَار وَهُوَ يُصَلي، فَقَال: «**اللَّهُمَّ اقْطَعْ أَثَرَهُ**»، فَمَا مَشَيتُ عَليها بَعْدُ».

[هَذا لَفظُ أَبِي دَاوُد. وَفِي رِوَاية لَه فَقَال: «**قَطَع صَلاتَنَا قَطَعَ اللهُ أَثَرَهُ**»][(٢)].

وَمِنَ العُقُوبَات عَلَىٰ مَعْصِيَة النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا رَوَاه الدَّارِمي عَن عَبد الرَّحْمَن بن حَرمَلَة قَال: «جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ سَعِيدِ بن المُسَيِّبِ يُوَدِّعُه بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، فَقَالَ لَهُ: لَا تَبرَحْ حتَّىٰ تُصلي، فإنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**لَا يَخرُجُ بَعْدَ**

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤٢٤) (٢٣٦٥٢)، والبخاري (١٤٨١)، ومسلم (١٣٩٢)، وغيرهم، من حديث أبي حميد الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٦٤) (١٦٦٥٩)، (٥/ ٣٧٦) (٢٣٢٤٥)، وأبو داود (٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧)، وغيرهما. وضعفه الألباني انظر: «ضعيف أبي داود» (١/ ٢٥٨).

النِّدَاءِ مِنَ المَسْجِدِ إِلَّا مُنَافِقٌ، إِلَّا رَجُلٌ أَخْرَجَتْهُ حَاجَةٌ وَهُوَ يُرِيدُ الرُّجْعَةَ إِلَىٰ المَسْجِدِ». فقَال: إنَّ أصْحَابي بِالحَرَّة، قَال: فَخَرج، قَال: فَلمْ يَزلْ سَعيد يُولَعُ بِذكرِه حَتَّىٰ أُخْبِر أنَّه وَقَع مِن راحِلَتِه فانْكَسرت فَخِذُه»(١).

ومن العقُوباتِ عَلىٰ الامْتِناعِ مِن الإسْلَام: مَا رَواهُ ابن سَعد فِي «**الطَّبَقَات**»، عَن عَمرو بن مُرَّة الجُهَني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ إِلىٰ قَومِه يدْعُوهم إِلَىٰ الإسْلامِ، فأَجَابُوه إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا رَدَّ عليهِ قَولَه، فدَعَا علَيهِ عَمرو بنُ مُرَّة فَسَقَط فُوهُ، فَما كَان يَقدِرُ عَلىٰ الكَلامِ، وَعَمِي واحْتاج»(٢).

ومِنَ العُقُوبَة عَلىٰ الإعْجَاب بِالنَّفسِ: ما ذَكرَه الحَافِظُ ابنُ كَثيرٍ فِي آخِر تَفسِير سُورَة القَصصِ(٣)، عَن الحَافظِ مُحمَّد بن المُنذِر أنَّه ذكَرَ فِي كِتَاب «**العَجَائِب الغَرِيبَة**» بِسَندِه، عَن نَوْفَل بِن مساحق قَال: «رَأيتُ شَابًّا فِي مَسجد نَجْرَان، فَجعَلتُ أنْظُر إلَيهِ وأَتعجَّبُ مِن طُولِه وتَمَامِه وجَمَالهِ، فَقَالَ: مَا لكَ تَنظُرُ إليَّ؟ فَقلت: أَعْجبُ مِن جَمالِكَ وكَمالِكَ، فَقالَ: إنَّ اللهَ ليَعجبُ مِنِّي، قَال: فَما زَالَ يَنقُصُ وَينقُصُ حتَّىٰ صَار بِطولِ الشِّبرِ، فَأَخذَه بَعضُ قَرابَتِه فِي كُمِّه وَذَهَب بِه».

وَمِن عُقُوبَات الذِين يَسُبُّونَ الصَّحَابَة وَيكذِبُون عَلَيهِم: مَا ذَكرَه ابن القَيِّم فِي

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٤١٠) (٤٦٠)، وغيره عن سعيد بن المسيب به مرسلًا.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٣٣٤).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٥٦).

كِتاب «**الرُّوح**»[1] قَال: ذَكَرَ ابن أَبِي الدُّنْيا، عَن أَبِي حَاتم الرَّازِي، عَن مُحمَّد بن عَلِي قَال: «كُنَّا بِمَكَّة فِي المَسجِد الحَرَام قُعُودًا فقَامَ رَجُلٌ نِصفُ وَجهِهِ أَسْود وَنِصْفُه أَبْيَض، فقَال: يَا أَيُّهَا النَّاس، اعْتَبِروا بِي، فَإِنِّي كُنتُ أَتَنَاولُ الشَّيْخَينِ وأَشْتِمُهُمَا، فبَينَمَا أَنَا ذَاتَ لَيلَة نَائمٌ إذْ أَتَاني آتٍ، فَرفع يَدَه فَلَطم وَجهِي وقَالَ لِي: يَا عَدُوَّ اللهِ، يَا فَاسق، أَلَستَ تَسُبُّ أَبَا بَكر وَعُمر؟ فَأَصبحتُ وَأَنَا عَلىٰ هَذه الحَالِ».

وَمِن عُقُوبَاتِهم أيضًا: مَا روَاه ابن سعْدٍ فِي «**الطَّبَقات**»، عَن عَلِي بن زَيد قَال: «قَال لِي سَعيدُ بن المُسيَّب: قُلْ لقَائدِك يَقُوم فينظُر إِلىٰ وَجهِ هذَا الرَّجُل وَإِلَىٰ جَسَده، قَال: فانْطَلق فَنَظر فَإِذا رَجلٌ أَسوَد الوَجهِ، فَجَاء فَقَال: رَأيتُ وَجهَ زِنجِي وَجَسدُه أَبْيَض، فَقَال: إنَّ هذَا سَبَّ هَؤلاءِ الرَّهْطِ طَلحَة والزُّبَير وعَليًّا، فنَهَيتُه فَأَبىٰ فَدَعَوتُ عَلَيه، قَال: قُلتُ: إِنْ كُنتَ كَاذبًا فَسَوَّد اللهُ وجْهَك، فَخرجَت بِوجهِه قُرحَة فاسْوَدَّ وجْهُه»[2].

ومِن عُقُوباتِهم أيْضًا: مَا ذَكره ابن القَيِّم[3]، عن القَيرَوَاني قَال: أَخْبرَني شيخٌ لَنا مِن أَهْلِ الفَضلِ قَال: أَخْبَرني أَبُو الحَسن المُطَّلبي إمَام مَسجِد النَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ قالَ: «رأيْتُ بِالمدِينَة عَجبًا، كَان رَجلٌ يَسبُّ أَبَا بَكر وعُمَر رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا، فبَينَا نَحنُ يَومًا مِن الأَيَّام بَعد صَلاة الصُّبحِ؛ إذْ أَقْبل رَجلٌ وَقد

---

(١) (ص١٩٠).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٥/ ١٣٦).

(٣) انظر: «الروح» (ص١٩١).

خَرَجتْ عيناه وسَالتَا عَلىٰ خدَّيه، فسَألنَاه مَا قِصَّتُك؟ فقَال: رأيتُ البَارِحَة رَسولَ الله صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ وعليٌّ بينَ يَديهِ ومَعَه أبُو بَكر وعُمَر فقَالا: يَا رَسولَ اللهِ، هذَا الذِي يُؤذِينا وَيسُبُّنا، فقَال لِي رَسولُ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «مَنْ أَمَرَكَ بِهَذَا يَا أَبَا قَيْسٍ»؟ فقُلتُ لَه: عَلِيٌّ، وأَشَرتُ إِلَيهِ. فأَقبَلَ علَيَّ عليٌّ بِوجهِهِ ويَدِه وقَد ضَمَّ أصَابِعه وَبسَطَ السَّبَّابة والوُسْطىٰ وَقصَد بِها إِلَىٰ عَينِي، فقَال: إنْ كُنتَ كَذَبت فَفَقَأَ اللهُ عَينَيكَ، وأدْخَل أُصبعَيه فِي عَينَيَّ فَانتبهتُ مِن نَومِي وَأَنا عَلىٰ هَذِه الحَال، فَكانَ يَبكِي وَيُخبِر النَّاس وأعْلَن التَّوبَة».

وَمِن أشْنَع العُقُوباتِ: مَا ذَكرهُ ابن الجَوزِي فِي «**سِيرَة عُمَر بن الخَطَّاب**»، عَن أَبِي المُحَياة التَّيْمِي قَال: حدَّثَني مُؤذِّن عَلي بن أَبِي طَالِب قَال: «خَرجتُ أنَا وَعمِّي إِلَىٰ مَكرَان، وكانَ مَعنَا رجُلٌ يَسبُّ أبَا بَكر وَعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، فنَهيناه فَلم يَنتَهِ، فَقلنَا: اعْتزِلْنَا، فاعتَزَلَنا، فلمَّا دَنا خُروجُنَا تَذمَّمْنَا فَقلْنَا: لَو صَحِبنا حَتَّىٰ نَرجِعَ إِلىٰ الكُوفَة، فَلَقِينَا غُلامًا لَه فقُلنَا لَه: قُل لِمَولَاكَ يَعود إِلينَا، قَال: إِنَّ مَولايَ قَد حَدَث بِهِ أمرٌ عَظيمٌ، قَد مُسخَت يَداهُ يَدي خِنزِير.

قَالَ: فأتَيناه فقُلنا: ارْجع إِلَينَا، فقَال: إنَّه قَد حَدَث بِي أمرٌ عَظِيمٌ، وَأخرَجَ ذِارعَيهِ فَإِذَا هُما ذِرَاعا خِنزِير، قَالَ: فَصَحِبنا حتَّىٰ انْتَهينَا إِلَىٰ قَريَة مِن قُرىٰ السواد كَثيرة الخَنازِير، فلمَّا رَآها صَاح صَيحَة وَوثَب فَمُسِخ خِنزِيرًا وخَفِي علَينَا، فَجئنَا بِغُلامِه ومَتَاعه إِلَىٰ الكُوفة».

[وقَد ذَكَر هَذه القِصَّة اللالكائي فِي «شَرح السُّنَّة»، وَوقَع فِي المَطبُوع مِنهُ بَياضٌ فِي آخِر الإسْنَاد، وهُو اسْم أَبِي المُحَياة وَمُؤذِّن عَلي][١].

ومِنَ العُقُوبَات أيْضًا: عُقُوبةُ الذِي تَركَ الإنْكَار عَلىٰ مَن سَبَّ أبَا بَكر وعُمرَ مَع قُدرَتِه عَلىٰ الإنْكَار، وَقد ذَكر هَذِه القِصَّة ابن الجَوزي فِي «**سِيرَة عُمرَ بن الخَطَّاب**»، عَن أبِي الحَسن أحَمد بن عَبد اللهِ السَوسَجَردِي قالَ: «كَانَ فِي جِوارِنَا رَجلٌ يَقرأُ القُرآنَ يُعرفُ بِأبِي الحَسنِ بن عَزنَة، وكانَ يختَلِفُ إِلىٰ شَيخِنَا أبِي الحَسَنِ بن أبِي عُمَر المُقْرِي، فَبَات لَيلَةً فِي عَافِيَة، فَأصْبَحَ وَقَد عَمِي، فَسُئِل عَن ذَلِك فَقَال: كُنتُ فِي مَجلِسٍ فِي شَارع بَاب الكُوفَة، فَذَكرَ رَجلٌ بِحضْرَة جَماعَة أبَا بَكرٍ وَعُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بسوءٍ، فَما أنْكَرتُ وَكُنتُ قَادرًا علَىٰ الإنْكَار، فلمَّا كَان اللَّيلُ رَأيتُ عَليَّ بن أبِي طَالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي النَّومِ، فقَال لِي: لِمَ لا تُنكِر عَلىٰ مَن ذَكَرهُما بِسُوء؟ وَضَرب رَأسِي بَمَرزَبَّة فَأصبَحتُ أعْمَىٰ»[٢].

ومِن عُقُوبَاتِهم أيضًا: مَا ذَكَره ابن القَيِّم فِي كِتَاب «**الرُّوح**»[٣] قالَ: وَفِي كتَاب «**المَنَامَات**» لابن أَبِي الدُّنْيا، عنْ شَيخٍ مِن قُريش قَال: «رَأيْتُ رَجُلًا بِالشَّامِ قَد اسْوَدَّ نِصفُ وَجهِه وَهُو يُغطِّيه، فَسَأَلتهُ عَن ذَلك، فَقال: قدْ جَعَلت للهِ عليَّ أنْ

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٤٠٢) لابن عساكر، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ٦٣) للالكائي.

(٢) انظر: «محض الصواب» (٣/ ٩٣٧) لابن عبد الهادي.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٢٠)، وانظر كتاب «الروح» (ص ١٨٩).

لَا يَسأَلنِي أحدٌ عَن ذَلكَ إلَّا أخْبَرتُه بِه، كُنتُ شَديدَ الوَقيعَة فِي عَلي بن أَبِي طَالبٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، فبينَا أنَا ذَاتَ لَيلَة نَائِمٌ إذ أتَانِي آتٍ فِي مَنَامي فَقال: أنْت صَاحبُ الوَقيعَة فِيَّ، فَضَرب شِقَّ وَجهِي فَأصبحْتُ وَشِقُّ وَجهي أَسود كَمَا ترىٰ».

ومِن عُقُوبَاتهم أيْضًا: مَا جَاء فِي قصَّة العَبسِي الذِي كَذَب عَلىٰ سَعد بن أبِي وَقَّاص رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

وَقَد روَىٰ قِصَّتَه البُخَاري فِي «**صَحِيحِهِ**»، مِن طَرِيقِ عَبد المَلِك بن عُمَير، عَن جَابر بن سَمُرَة رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا قَال: «شَكَا أهلُ الكُوفَة سَعدًا إلَىٰ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، -فَذكرَ الحَديثَ وَفِيهِ- فَأرسَل مَعهُ رَجُلًا أوْ رِجَالًا إلَىٰ الكُوفة، فسَأَل عَنهُ أهْلَ الكُوفَة ولَم يَدَعْ مَسجِدًا إلا سَأَلَ عَنهُ وَيُثنُون مَعرُوفًا، حتَّىٰ دَخل مَسجِدًا لِبَني عَبسٍ، فقَام رَجلٌ مِنهم -يُقالُ له: أُسَامَة بن قَتَادة يُكنَّىٰ أبَا سُعْدَة- قَال: أَمَا إذْ نَشَدْتَنا فَإنَّ سَعدًا كانَ لا يَسِير بِالسَّرِيَّة، ولا يَقْسِم بِالسَّوِيَّة، وَلا يَعدِلُ فِي القَضِيَة، قَال سَعد: أمَا واللهِ لأدْعُوَنَّ بِثلاث: اللَّهُم إنْ كانَ عَبدُك هَذا كَاذبًا قَام رِياءً وسُمعَة فَأطِل عُمُرَه وَأطِلْ فَقرَه وعَرِّضهُ بِالفِتَن. وكانَ بَعدُ إذَا سُئِل يَقُول: شَيخٌ كَبيرٌ مَفتُونٌ أَصَابَتنِي دَعوةُ سَعْد.

قَال عَبد المَلِك: فأنَا رأيْتُه بَعْدُ قَد سَقَط حَاجِبَاه عَلىٰ عَيْنَيه مِن الكِبَر وَإنَّه لَيتعَرَّض لِلجَوَاري فِي الطُّرُق يَغمِزْهُن».

وقَد رَوَاه الطَّبَرَاني فِي «**الكَبير**» بِنَحوه، وَقال فِيه: «قَال عَبدُ المَلِك: وأنَا

رَأيتُه يَتعرَّض لِلإمَاء فِي السِّكَك، فَإذا سَألُوه كَيفَ أنْتَ أبَا سُعْدَة؟ فيَقُول: كَبيرٌ ضَرِيرٌ فَقيرٌ مَفتونٌ أصَابَتني دَعوَة سَعد»(١).

ومِن عُقُوبَاتِهم أيْضًا: مَا جَاء فِي قِصَّة الذِي هَجا سَعد بن أبِي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم القَادِسِيَّة.

وقَد رَوَىٰ قِصَّتَه الطَّبَرانِي فِي «**الكَبِير**»، مِن طَرِيق عَبدِ المَلك بن عُمَير، عَن قُبَيصَة بن جَابر الأَسَدي قَال: «قَال ابن عَمٍّ لَنا يَوم القَادِسِيَّة:

أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَنْـزَل نَصْـرَه ... وَسَـعْدٌ بِبَـابِ القَادِسِـيَّةِ مُعْصَـمُ

فَأُبْنَـا وَقَـدْ آمَـتْ نِسَـاءٌ كَثِيـرَةٌ ... وَنِسْـوَةُ سَـعْدٍ لَـيسَ فِـيهِنَّ أَيِّـمُ

فَلَمَّا بَلغَ سَعْدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَوْلُه قَال: اللَّهُم اقْطَع عِني لِسَانَه وَيَدَه، فَجَاءتْ نشَّابَة فَأصَابَت فَاه فَخَرِسَ، ثُمَّ قُطِعَت يَدُه فِي القِتَال. فَقَال سَعد: احمِلُوني عَلىٰ بَاب، فَخُرِج بِه مَحمُولًا ثُمَّ كَشَف عَن ظَهرِه وَبِه قُروحٌ فِي ظَهرِه، فأخْبَر النَّاسَ بِعُذْرِه فَعذَرُوه، وكَان سَعدٌ لَا يَجبُن، وقَال: إنَّمَا فعَلتُ هَذا لما بَلَغني مِن قَولِكم». [قَال الهَيثَمِي: رَوَاه الطَّبَرانِي بِإسنَادين رِجَالُ أَحدِهما ثِقَات](٢).

ومنْ عُقُوباتِهم أيضًا: مَا جاء فِي قِصَّة المَرأةِ التِي كَانتْ تَطَّلِع عَلىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٥٥)، والطبراني في «المعجم الكَبير» (١/ ١٤٠) (٣٠٨)، وغيرهما من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكَبير» (١/ ١٤١) (٣١١) عن قبيصة بن جابر الأسدي. وانظر: «مجمع الزوائد» (٩/ ١٥٤).

سَعد بن أَبِي وقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وقدْ رَوىٰ هَذِه القِصَّة ابن أَبِي الدُّنْيا مِن طِريق عَبد الرَّزَّاق، عَن أَبِيه، عَن مِيناء، مَولىٰ عَبد الرَّحمَن بن عَوف: «أنَّ امْرأةً كَانت تَطَّلِعُ عَلىٰ سَعدٍ فَنهَاها، فَلم تَنتَه، فاطَّلَعتْ يَومًا وَهُو يَتوضَّأ فقَال: شَاهَ وَجهُك، فَعَاد وَجهُها فِي قَفَاها»[1].

وسَيَأتِي -إنْ شاءَ اللهُ تَعالىٰ- فِي قَصَص تعْذِيب الأمْوَات عِدَّة قَصَص للذِين يَسُبُّون أبَا بَكر وعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ويَتبَرَّءون مِنْهُما.

ومِن العُقُوبةِ عَلىٰ خِلافِ السُّنَّة: مَا ذَكَره ابنُ القَيِّم فِي كِتاب «**الرُّوح**»[2] عَن القَيرَوَانِي قَال: أَخْبَرني شَيخٌ مِن أهلِ الفَضلِ قَال: أَخْبَرنِي فَقيهٌ قَال: «كانَ عِندَنا رَجلٌ يُكثرُ الصَّوم ويَسْرُده وَلكنَّه كَان يُؤخِّر الفِطرَ، فَرأىٰ فِي المَنام كَأنَّ أَسْوَدينِ آخِذَين بِضَبْعَيه وثِيَابِه إلَىٰ تَنُّور مُحَمَّىٰ ليُلقِيَاه فِيه، قَال: فَقُلتُ لَهمَا: عَلىٰ مَاذا؟ فَقالا: عَلىٰ خِلافِك لِسُنَّة رَسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإِنَّه أمَر بِتعْجِيل الفِطرِ وأنْتَ تُؤخِّرُه، قَال: فأصْبَح وَجهُه قَد اسْوَدَّ مِن وَهَج النَّار، فَكان يَمشِي مُتبَرْقِعًا فِي النَّاس».

ومِنَ العُقُوبَة عَلىٰ الغِيبَة: مَا ذَكَره ابن القَيِّم أيضًا في كِتاب «**الرُّوح**»[3] عَن

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (٣٤)، واللالكائي في «كرامات الأولياء» (٨٢) عن ميناء، مولىٰ عبد الرحمن بن عوف.

(٢) (ص١٩١).

(٣) (ص١٩٠).

مسعدة أنَّه ذَكر فِي كِتَابه فِي الرُّؤيا، عَن رَبيع الرَّقَاشي قَال: «أتَانِي رَجُلان فقَعَدا إليَّ فاغْتَابا رَجُلًا فَنَهيتُهُما، فأتَانِي أحدُهُمَا بَعْدُ فقَال: إنِّي رأيْتُ فِي المَنامِ كأنَّ زِنجيًّا أتَانِي بِطبقٍ علَيهِ جَنب خِنزِير لَم أَر لَحمًا قَطُّ أسْمَن مِنهُ، فَقالَ لِي: كُلْ، فقُلتُ: آكُل لَحمَ خِنزِير؟! فتَهدَّدَني فَأكلتُ فَأصبَحْتُ وَقد تَغيَّر فَمِي، فَلم يَزل يَجد الرِّيح فِي فَمهِ شَهرين».

وَمِن أَشْنَع العُقُوبَاتِ: مَا ذكرَهُ السُّيُوطِي فِي «**تارِيخ الخُلَفَاء**»(١)، أنَّه فِي سَنَة اثْنَتَينِ وثَمَانِين وسَبْعِمَائة وَرَد كِتابٌ مِن حَلَب يَتضمَّن أنَّ إمامًا قامَ يُصلِّي، وأنَّ شَخصًا عَبث بِهِ فِي صَلاتهِ، فَلَمْ يَقطَع الإمَام حَتَّىٰ فَرَغ، وَحينَ سَلَّم انْقَلب وَجه العَابثِ وَجهَ خِنزِير وهَرب إِلىٰ غَابَة هُنَاك، فَعَجبَ النَّاس مِن هَذا الأمْرِ وَكُتِب بِذَلك مَحضَر».

ومِن العُقُوباتِ الشَّنِيعَة أيضًا: مَا حدَّثنا بهِ الثِّقَة مِن جِيرَانِنا عَن الشَّيخِ عَبد الرَّحمَن بن مُحمَّد الدوسَري أنَّه حدَّثهم: «أنَّ رَجلًا مِن بَعضِ المُدُن الخَليجِيَّة سَافر هُوَ وزَوجَتُه إِلىٰ لبنَان، فَلَما كَان ذَات يَومٍ اجْتَمع بِصدِيقٍ لَه مِن أَهلِ لبنَان وَمَع كُلٍّ مِنهُما زَوجَتُه، فَاتَّفَقا عَلىٰ أنْ يُجامِع كُل واحِدٍ مِنهما زَوجَة صَاحِبه، ولَمَّا جَامَع اللُّبْنَاني زَوجَة الخَلِيجِي نَشَب ذَكرُه فِي فَرجِها وَلم يَستَطِع إِخْرَاجَه، فَصَبوا علَىٰ فَرجَيهِما مَاءً حارًّا فَلم يَخرُج، ثُمَّ صَبُّوا عليهِمَا مَاءً بَاردًا فَلم يَخرُج،

---

(١) (ص٣٥٢).

ثُمَّ رَوَّعُوه وروَّعوا المَرأةَ فَلم يَخرُج، فَحملُوهُما علىٰ تِلك الحَال الشَّنِيعَة إلَىٰ أحَدِ المُستَشْفَياتِ فعُولِجَا بِالجِراحَة حتَّىٰ فَكُّوا ذَكر الرَّجُل مِن فَرج المَرأَة ﴿ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [المائدة: ٣٣]. وإنْ لَم يَتُوبوا فَعَذابُ الآخِرَة أشَدُّ وأبقَىٰ.

قالَ جارُنا الذِي حدَّثنا بِهذِه القِصَّة: قَد حدَّثنا بِها رَجلٌ آخر وسَمَّاه ولَكِنِّي نَسيتُه، وقدْ تَقَدَّم فِي الفَصل الأوَّل قِصَّة شَبيهَة بِهذِه القِصَّة ذَكرها الأدْفَوي فِي كِتابه المُسَمَّىٰ بـ«**الطالِع السِّعيد الجَامِع أَسْمَاء نُجبَاء الصَّعِيد**»، وذَكر أنَّ الزَّانِيَين أُخْرِجَا مُلتَصِقين ومَاتَا وعُمِل بِذلِك محْضَر عِندَ الحاكم.

وفِي هَاتينِ القِصَّتين عِبرَة ومَوعِظةٌ لِمن أَرادَ اللهُ بِه الخَيرَ والسَّلامَة مِن الخِزي فِي الدُّنيَا والآخِرَة.

وَمِن العُقوباتِ: مَا ذَكرَه ابن أبي الدُّنيا في «**كتَاب القُبُور**»، عنْ حُصين الأسَدِي قالَ: سَمِعت مَرثَدَ بن حَوشَب قالَ: «كُنتُ جَالسًا عنْدَ يُوسُف بن عُمَر وإلَىٰ جَنبهِ رَجلٌ كأنَّ شقَّة وجْهِه صَفحَة مِن حَديد، فقَال لَهُ يُوسف: حَدِّث مَرثَدًا بمَا رَأيتَ، فقالَ: كنتُ شَابًّا قدْ أتيتُ هَذه الفَواحشَ فلمَّا وقَع الطَّاعون قُلت: أخْرُج إلَىٰ ثغرٍ منْ هذهِ الثُّغُور، ثُمَّ رأيتُ أنْ أحفُرَ القُبورَ، فَإنِّي ليلَةً بينَ المَغربِ والعِشاءِ قدْ حفَرْتُ قَبرًا وأنَا مُتَّكِئ علَىٰ تُراب قَبر آخَر؛ إذْ جيء بجِنَازة رَجلٍ حتَّىٰ دُفنَ في ذَلكَ القَبر وسَووا عَليه التُّراب، فأقبَل طَائران أبْيضانِ مِن المَغرب

مِثل البَعيرين حتَّىٰ سَقط أحَدهُما عِند رأسِه والآخَر عندَ رجلَيهِ، ثمَّ أثَاراه ثُمَّ تدلَّىٰ أحدُهُما فِي القَبر والآخرُ عَلىٰ شَفيرِه، فَجِئتُ حتَّىٰ جَلستُ عَلىٰ شَفيرِ القَبر وكُنت رَجلًا لا يَملأ جَوفِي شَيء.

قالَ: فَضَرب بِيدِه إلَىٰ حِقْوه فَسَمِعتُه يقُول: ألَستَ الزَّائر لأصْهَارِك فِي ثوبَين مُمَصَّرين تَسحبْهُما كِبْرًا تَمشِي الخُيَلاء، فقَال: أنَا أضْعَف مِن ذَلك، قالَ: فضَربه ضَربَة امْتَلأ القَبرُ حتَّىٰ فاضَ مَاءً ودُهنًا، قالَ: ثُمَّ عادَ فأعَادَ عليهِ القَولَ مِثل الأوَّل حتَّىٰ ضَربه ثَلاثَ ضَرَبات، كُلُّ ذَلك يَقول ذَلك، ويذْكُر أنَّ القَبر يَفيضُ مَاءً ودُهنًا، قَال: ثُمَّ رَفع رَأسَه فَنظَرَ إليَّ فقالَ: انْظُر أيْن هُو جَالسٌ بَلَّسَهُ اللهُ، قَال: ثُمَّ ضَرب جَانِبَ وجْهِي فَسَقَطتُ فَمَكثْتُ لِيلتي حتَّىٰ أصْبَحت، قالَ: ثُمَّ أخَذْت أنْظُر إلَىٰ القَبر فَإذَا هُو عَلىٰ حَالِه».

قَالَ ابن القَيِّم بَعدمَا ذكَرَ هذِهِ القِصَّة فِي كِتَاب «الرُّوح»: «فَهَذا المَاء والدُّهن فِي رأي العَينِ لِهَذا الرَّائِي هُو نَارٌ تَأجَّج لِلمَيت كَما أخْبَر النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الدَّجَّال أنَّهُ يَأتِي مَعه بِمَاء وَنَار، فالنَّار مَاء بارِد والمَاءُ نَار تَأجَّج. انتهىٰ.»(١).

ومن العُقُوبات أيْضًا: قِصَّة النَّبَّاش الذِي ضُرِب فِي عَينَيهِ فَكان مَوضعُهُما عَجبًا مِن العَجَب.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب «القبور» (٩٨)، وانظر كتاب «الروح» (ص٦٨).

وقد ذَكَر هَذِه القِصَّة مُحَمَّد بن أَحْمَد السَّفَّاريني الحَنْبلي فِي كِتابهِ المُسمَّىٰ بـ«**البُحُور الزَّاخِرة فِي عُلُوم الآخِرَة**»(١)، قَال: ومِن عَجيبِ مَا ذكَر الحَافِظُ الدُّمياطِي فِي «مُعْجمِهِ» قال: سَمِعتُ مُحمَّد بن إسْمَاعيل بن عبد اللهِ الدُّمياطِي يقُول: سَمِعتُ أبَا إسْحاقَ إبْراهيمَ بن عبد اللهِ الثَّعلَبي صَاحب السِّلَفي يَقول: «كانَ عنْدَنا رَجلٌ نبَّاش يَتكفف النَّاس أعْمَىٰ، وكَان يَقُول: مَن يُعطِيني شَيئًا فَأُخبِره بالعَجَب؟ ثُمَّ يَقول: مَن يَزيدُني فَأُريه العَجَب؟

قالَ: فَأُعطِي شَيئًا وَأنَا إلَىٰ جَنبهِ أنْظُر، فكَشف عن عَينيهِ فَإذا بِهمَا قَد نَفِذَتا إلَىٰ قَفاه كَالأنْبُوبتين النَّافِذَتين يُرَىٰ مِن قِبَل وجْهِه مَا وراء قَفَاه. ثُمَّ قَال: أخْبرُكُم أنِّي كُنتُ فِي بَلدِي نبَّاشًا حتَّىٰ شَاع أمْري، فأخَفْت النَّاس حتَّىٰ مَا أبَالِيهم، وإنَّ قَاضي البَلد مَرِض مَرضًا خافَ مِنهُ المَوتَ، فأرْسَل إليَّ وقالَ: أنَا أشْتَري هِتكي فِي قَبري مِنكَ وَهذِه مائَة دِينَار، فأخذْتُها فعُوفي مِن ذَلكَ المَرض.

ثُمَ مَرِض بَعد ذَلك فَمَات، وتوَهَّمْت أنَّ العَطِية للمَرَض الأوَّل، فَجئْتُ فنبَشتُه، فَإذا فِي القَبر حِسٌّ عُقوبَة، والقَاضي جَالسٌ ثَائرُ الرَّأس مُحمَرَّة عيْناه كالسُّكْرُجَتين(٢)، فَوجَدتُ زَمَعًا فِي رُكبَتي، وإذَا بِضَربةٍ فِي عَينيَّ مِن إصْبَعين وقَائلٌ يَقول: يَا عَدوَّ اللهِ، أتطَّلعُ علَىٰ أسْرارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ». [وقدْ ذكر هَذهِ القِصَّة

(١) (١/ ٢٢٨).

(٢) سيأتي بيان معنىٰ السكرجة والزمع قريبًا إن شاء الله تعالىٰ.

الحَافظ ابن رَجَب فِي كِتابِه «**أهوال القبور**»(١)].

وَمِن العُقُوبات أيْضًا: عُقوبَة الجَاهِل العَاتِي الذِي أرَادَ أنْ يُنقِذ زَوجَته مِن عذَاب القَبر.

وقدْ ذَكر هذِه القِصَّة السَّفَّارِيني فِي كِتابِه «**البُحُور الزَّاخِرة**»(٢) قَال: «أخْبَرني بَعضُ إخْوانِي -وَهُو عنْدِي غَير مُتَّهم- أنَّ رَجلًا مِن بلَدِهم مَاتت زوْجَته، قَالَ: وكانَتْ تتَعَاطىٰ الرِّبَا -بالبَاء المُوَحَّدة- فلَمَّا كَان وَقتُ العِشاء سَمِع زوجُها صَريخًا مِن داخِلِ القَبرِ، وكانَ جَالسًا فِي بَاب دَاره، فلمَّا سَمِعها أخَذَته الحُشُومة(٣) مِن أجْلِها، وكانَ ذَا شِدَّة وبأسٍ، فأخذَ سِلاحَه وذَهبَ إلىٰ قَبرهَا فوَقف عَليْهَا وقالَ لهَا: لا تَخَافي فَإنِّي عنْدَكِ، زَعمًا منْهُ أنهُ سيُنْقِذها ممَّا هِي فِيه لِشدَّة عُتُوِّه وَجَهْلِه، وتَناول حَجرًا مِن القَبرِ، قَال: فَما رَفَع رَأسَه حتَّىٰ ضُرِب ضَربَة أبْطلَت حَرَكتَه وأرْخَت مَفاصِلَه وأدلع لِسَانه، فَرَجع علَىٰ حَالٍ قَبيحَة وهَيئَة فَضِيحة.

قالَ: فَواللهِ لَقدْ رَأيتُه وَهوَ قَد رُضَّ حَنكُه وبُصَاقه يَنزِل عَلىٰ صَدرِه. قالَ: وهَذا خَبرٌ اسْتَفاض عِندَ أهْلِ البَلدِ كُلِّها».

---

(١) (ص٧٠).

(٢) (١/ ١٥٩-١٦٠).

(٣) قال أهل اللغة: الحشمة الغضب، والاحتشام: التغضب، وحشمت فلانًا وأحشمته، أي: أغضبته. انظر: «المصباح المنير» (١/ ١٣٧).

وَمِن العُقُوبات العَاجِلة: مَا رَواه أَبُو العرب مُحَمَّد بن أَحْمَد بن تَميم التَّمِيمي فِي كِتاب «**المِحَن**»(١) بِإسنَاده عَن أَبِي قِلابَة، قَال: «دَخلتُ فُندُقًا بِالشَّام، فإِذَا أنَا بِرجُلٍ مَقطوعِ اليَدَين والرِّجْلَين أعْمَىٰ مُنكبًا لِوجْهِه يُنادِي: يَا وَيله، النَّار، فَقُلت لَه: مَا لك؟ فقَالَ: كُنتُ فِيمن دَخل عَلَىٰ عُثمانَ يَوم الدَّار، وكُنتُ فِي سُرعَان مَن وَصَل إلَيهِ، فلَمَّا دَنوتُ مِنهُ صرَخَت امْرَأتُه فَرَفَعت يَدِي فَلَطَمتُها، فَنَظر إليَّ عُثمانُ فَتغرغَرَت عَيناهُ فقَال لِي: مَا لكَ؟ سَلبكَ اللهُ يَديكَ وَرجلَيكَ وأَعمَىٰ بَصَرك وأَصْلَاكَ نارَ جَهنَّم؟

قَال: خَرجْتُ هَاربًا مِن دُعَائه فَرَكِبتُ جَمَلي حتَّىٰ أتَيتُ مَكانِي هَذا، فأَتَانِي آتٍ فَفَعل بِي مَا تَرىٰ، وواللهِ مَا أدْرِي إنْسيًّا كانَ أو جِنيًّا، فقد اسْتَجَاب اللهُ فِي يَديَّ ورِجليَّ وبَصَري، وواللهِ مَا بَقِي إلا النَّار. قال أَبُو قِلَابة: فَهمَمْت أنْ أطَأَه، وقُلتُ لَه: بُعْدًا لك وسحقًا».

ومِنَ العُقُوبَات العَاجِلة: مَا ذَكَره الشَّيخ أحْمَد بن مُحَمد المُقرِي التِّلمسَاني فِي كِتابهِ «**نَفْح الطِّيب**»(٢): «أنَّ طَالُوت بن عبد الجَبَّار المُعَافِري الأنْدَلُسي - وهُو مِن أصْحَاب الإمَام مَالِك- خَرَج عَلَىٰ الحَكَم بن هِشَام بن عبْد الرَّحْمن مَع الذِينَ يُريدونَ خَلعَه وإقَامة أخِيه المُنذِر، وزَحَفوا إلَىٰ قَصرِه بِقرطُبَة، فَحَاربَهم

(١) (ص٨٥).

(٢) (٢/ ٦٣٩).

وقتَلَهم وفرَّ مَن بَقِي مِنهم.

فاستتَر الفقِيه طَالوتُ عامًا عِندَ يَهُودِي، ثُمَّ ترامَىٰ علىٰ صَديقِه أبِي البَسَّام الكَاتِب لِيأخُذَ له أمَانًا مِن الحكَم، فوَشىٰ بهِ إلَىٰ الحكَم وأحْضَره إلَيهِ فعَنَّفَه ووبَّخَه. فقَال له: كَيفَ يَحلُّ لِي أنْ أخرج إلَيكَ وقدْ سَمعتُ مَالكَ بن أَنَس يَقُول: سُلطانٌ جَائِر مَدُّة خيرٌ مِن فِتنَة سَاعة.

فقَال: اللهِ لَقَد سَمِعتَ هَذا مِن مَالك؟ فقَالَ طَالُوت: اللَّهُمَّ إنِّي قَد سَمِعتُه، فَقَال: انْصَرف إلَىٰ مَنزِلك وأنْتَ آمِنٌ. ثُمَّ سَأله أيْن أسْتَتِر؟ فقَال: عنْدَ يَهودِي مُدَّة عَام، ثُمَّ إنِّي قَصدْتُ هَذا الوَزِير فغَدر بِي فغَضِب الحكَم علىٰ أبِي البَسَّام وعَزَله عَن وَزَارَته وكَتَب عَهدًا أنْ لا يَخدُمَه أبدًا. فرُؤي أبُو البَسَّام بَعد ذَلكَ فِي فَاقةٍ وذُلٍّ. فقيلَ: اسْتُجِيبتْ فِيه دَعوَة الفَقِيه طَالُوت».

وَقَد ذَكَر هَذِه القِصَّة الذَّهَبي فِي كِتَابه «سِيَر أعْلَام النَّبَلاء»(١) فِي تَرجَمَة الحكَم بن هِشَام، وقَالَ: «كانَ طَالوتُ اخْتَفىٰ سَنَة عنْدَ يَهُودِي، ثُمَّ خَرج وقَصد الوَزِير أبا البَّسام لِيخْتَفِي عِندَه فَأسْلَمه إلَىٰ الحكَم، فقَال: مَا رَأي الأمِير فِي كَبشٍ سَمينٍ وَقَف علىٰ مِذْوَده عامًا؟ فقَال الحكَم: لَحمٌ ثَقيل، مَا الخَبَر؟ قَال: طَالوتُ عِندِي، فأمَرَه بإحْضَاره.

فأُحْضِر فقَال: يَا طَالُوت، أخبِرْني لَو أنَّ أبَاكَ أو ابنك مَلَك هَذِه الدَّار أكُنْت

(١) (٨/ ٢٥٨).

فِيها فِي الإكْرَام والبرِّ علىٰ مَا كُنتُ أفْعَل مَعَك؟ ألَم أفْعل كَذا؟ ألَمْ أمْشِ فِي جِنَازة امْرَأتِك ورَجَعتُ مَعكَ إلَىٰ دَارِك؟ أفَمَا رَضِيت إلا بِسفْك دَمِي؟ فقَال الفَقِيه فِي نَفسِه: لا أَجِد أَنفَع مِن الصِّدْق، فقَال: إنِّي كُنتُ أبْغِضُك للهِ، فَلمْ يَمنَعك مَا صَنَعتَ مَعِي لِغَير اللهِ وإنِّي لَمعتَرِف بِذَلك أصْلَحك الله.

فوَجِمَ الخَليفَة وقالَ: اعْلَم أنَّ الذِي أبْغَضْتَني لَه قَد صَرفَني عَنكَ، فانْصرِف فِي حِفظِ اللهِ، ولسْتُ بِتاركٍ بِرِّك، وليْتَ الذِي كَان لَم يَكُن، وَلكنْ أيْن ظَفَر بِك أبُو البَسَّام لا كان؟ فقَال: أنَا أظْفَرْتُه بِنَفسي وقَصَدْتُه، قَال: فَأين كُنتَ فِي عَامِك؟ قَال: فِي دَار يَهودِي حَفِظَني للهِ.

فأطْرَق الخَليفَة مَليًّا ورَفَع رَأسَه إلَىٰ أبِي البَسَّام وقالَ: حَفَظه يَهُودِي وسَتَر عَليهِ لِمَكَانه مِن العِلمِ والدِّينِ، وغَدَرتَ بِه إذْ قَصَدك وخَفَرتَ ذِمَّته، لا أرَانِي اللهُ فِي القِيامَة وَجْهَه إن رَأينَا لكَ وَجهًا. وطَرَدَه وكَتَبَ للِيَهودِي كِتابًا بِالجِزيةِ فِيما مَلك وزَادَ فِي إحْسَانه، فلمَّا رأىٰ اليَهودِي ذلِكَ أسْلم مَكَانه».

ومنَ العُقُوبات: مَا أُصِيب بِه الزَّمَخشرِي فِي رجْلِه بِسببِ دُعاءِ أمِّه عليه.

وقَد ذَكَر قِصَّتَه ابن خلكَان فِي تَارِيخه «**وفَيَات الأعْيَان**»، وَذَكَرَها أيضًا يَاقوتُ الحَمَوي فِي «**مُعْجَم الأُدَبَاء**»، وذكَرها الوزِير جَمَال الدِّين أبُو الحَسن عَلي بن يُوسُف القِفْطي فِي كِتَابه «**إنْبَاه الرُّوَاة**».

قَال القِفْطي: «كانَ الزَّمَخشَرِي مَقطُوع الرِّجْل قَد جَعَل رِجْلًا مِن خَشَب

يسْتَعِين بِها فِي المَشْي، ولمَّا دَخل بَغدَاد سَأله الدَّامغَاني الفَقِيه الحَنَفي عن سَببِ قطْعِها، فَقَال: دُعاءُ الوَالِدَة، وَذلكَ أَنِّي فِي صِباي أمْسَكتُ عُصفُورًا ورَبَطْتُه بِخيطٍ فِي رِجلِه، وانفَلتَ مِن يَدي فأدْركَتهُ وَقد دَخَل فِي خِرقٍ، فَجَذبتُه فانْقَطَعتْ رِجلُه فِي الخَيطِ، فتألمت أمِي لِذَلك وقَالت: قَطَع اللهُ رِجْل الأبْعَد كَما قَطَع رِجْله. فلمَّا وَصلتُ إلَىٰ سِنِّ الطَّلَب رحَلتُ إلَىٰ بُخَارىٰ لِطَلب العِلمِ فَسقَطتُ عَن الدَّابة فَانكسَرَت الرِجْل وعَملتُ عَملًا أوْجَب قَطعَها».

وذَكَر يَاقوت الحَمَوي عَنهُ أنه قال: «انْكَسرت رِجلي وأصَابَني مِن الألَمِ مَا أوْجَب قَطعَها»[1].

ومِنَ العُقُوباتِ عَلىٰ إيذَاءِ العُلَماء وطَلَبِ العُيوبِ لَهمْ: مَا أُصيبَ بِه الذِين قَلَبوا الأَسَانِيد علىٰ مُحَمَّد بن عَجلَان، فدَعا عَليهِم واسْتُجِيب لَه فِيهم.

وقد ذَكَر قِصَّتهم الذَّهَبي فِي «مِيزَان الاعْتِدَال»[2] نَقلًا عمَّا رَواه أبُو مُحمَّد الرَّامَهُرْمُزي، عَن يَحيَىٰ بن سَعيد القَطَّان قَالَ: «قَدِمتُ الكُوفَة وبِها ابن عَجْلان، وبِها ممَّن يَطلُب العِلمَ مَليح بن وَكِيع، وَحَفْص بن غَيَّاث، وابْن إدْرِيس، ويُوسُف السَّمْتي، فقُلنَا: نَأتِي ابن عَجلان، فَقَال يُوسُف: نَقلِب عَليهِ حَديثهُ حتَّىٰ نَنظُر فَهمَه.

---

(١) انظر: «وفيات الأعيان» (٥/ ١٦٩)، و«معجَم الأُدباء» (٦/ ٢٦٨٨)، و«إنبَاه الرواة» (٣/ ٢٦٨).

(٢) (٣/ ٦٤٥).

قال: فَفعلُوا، فمَا كَان عَن سَعيد، عَن أَبيهِ، فَعن أَبيه جَعَلوه، ومَا كَانَ عَن أَبيهِ جَعلوه عَن سَعيد. فَقال يَحيَىٰ: لا أَسْتَحِل. فدَخلوا فَسَألُوه فَمَرَّ فيهَا، فَلَمَّا كَان عندَ آخِر الكِتابِ انتَبه الشَّيخُ، فقالَ: أَعِدْ، فعَرَض علَيهِ، فقَال: مَا سَألتُمونِي عَن أَبيه فَقد حَدَّثني سَعِيد، وَمَا سأَلْتُمُوني عَن سَعيد فقدْ حدَّثني أَبِي بهِ.

ثُمَّ أقبلَ علىٰ يُوسُف بن خَالد فَقال: إنْ كُنتَ أَرَدْتَ شَينِي وعَيبِي فَسلَبكَ اللهُ الإسْلامَ. وأَقْبَل علَىٰ حَفص فقَال: ابْتَلاكَ اللهُ فِي دِينِك ودُنيَاك. وأَقْبَل عَلىٰ مَلِيح فَقَال: لا نَفَعَك اللهُ بِعلمِك. قالَ يَحيىٰ: فَمات مَليح ولا يُنتَفَع بعِلْمه، وابْتُلي حَفصٌ فِي بَدَنِه بالفَالج وفِي دينهِ بِالقَضاءِ، وَلم يَمتْ يُوسف حتَّىٰ اتُّهِم بالزَّنْدَقة».

ومِنَ العُقُوبَات عَلىٰ إيذَاء العُلَماء والسُّخْريَة مِنهُم والتَّسَلُّط عَليهِم: ما ذَكَره ابن بشْكوال فِي تَرجَمة أَبِي مُحَمَّد مَكِّي بن أَبِي طَالب المُقْرئ مِن كِتاب «**الصِّلَة**»(١) قال: حَكَىٰ أَبُو عَبد اللهِ الطَّبَري المُقْرئ قال: «كانَ عنْدَنا بِقرطُبَة رَجلٌ فِيهِ بَعضُ الحِدَّة، وكَان لَه عَلىٰ الشَّيخ أَبِي مُحمَّد مَكِّي المُقرئ تَسلُّط، كَان يَدنُو مِنه إذَا خَطب فيَغمِزه ويُحصِي عَليهِ سقَطَاتُه، وكانَ الشَّيخُ كَثيرًا مَا كَان يَتلعْثَم ويتَوَقَّف.

فجَاء ذَلك الرَّجُل فِي بَعض الجُمَع وجَعَل يَحُدُّ النَّظر إلَىٰ الشَّيخِ ويَغمِزُه،

---

(١) (ص٥٩٨).

فَلَمَّا خَرَج ونَزل مَعَنا فِي مَوضِعِه الذِي كانَ يُقرِئ فيهِ قَال لنَا: أَمِّنُوا عَلىٰ دُعائِي، ثُمَّ رَفع يَديهِ وقَال: اللَّهمَّ اكْفِنيهِ، اللَّهُمَّ اكْفِنيهِ، اللَّهُمَّ اكْفِنيهِ، فَأمَّنَّا، قَال: فأُقْعِدَ ذَلكَ الرُّجل، وَما دَخَل الجَامِع بعْد ذَلكَ اليَوم».

ومِنَ العُقُوبات عَلىٰ الظُّلمِ والعُدوانِ واسْتِعمَال الوَحشِيَّة مَع الصِّبيَان: ما أُصِيبَ بِه بُسر بن أَرْطَأَة العَامِري مِن ذَهَاب العَقْل بِسببَ دُعَاء عَلي بن أَبِي طَالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَليهِ لَمَّا قَتَل ابني عُبيدِ اللهِ بن عبَّاس بِحضْرَة أُمِّهِما وَهُما صَبيَّان صَغيران، ومَا أَفْظَعها مِن كَارثة!

قَال المَسعُودِي فِي «مُرُوج الذَّهَب»[1] مَا مُلَخَّصه: «كانَ مُعَاوِيَة فِي سَنَة أَرْبَعين بَعَث بُسْر بن أَرطَأَة فِي ثَلاثَة آلافِ حتَّىٰ قَدِم المَدِينة، ثُمَّ سارَ إِلَىٰ اليَمَن، وكَانَ عُبيدُ اللهِ بن العبَّاس بِها، فَخَرج عَنهَا ولَحِق بِعَلي وخَلَّفَ ابنيه عبد الرَّحْمَن وَقثم عِندَ أمِّهِما جُويرِيَة بِنتُ قَارض الكِنَاني، فقَتَلَهما بُسر -ثُمَّ ذكرَ المَسعُودِي أَبياتًا مُحزِنَة لأمِّهِما تَرثِيهِما بِها-.

قالَ: وَكانَ عَليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِين أَتَاه خَبرُ قَتلِ بُسر لابْنَي عُبيدِ اللهِ -قُثم وَعَبد الرَّحمن- دعَا علَىٰ بُسر فَقالَ: اللَّهمَّ اسْلُبهُ دِينَه وعَقْلَه، فَخَرِف الشَّيخُ حتَّىٰ ذَهَلَ عقْلُه، واشْتُهِر بالسَّيفِ فَكانَ لا يُفارِقه فَجَعل لَهُ سيف مِن خَشب، وجَعلَ بينَ يَديهِ زِقٌّ مَنفوخٌ يَضرِبه، وكُلَّما تَخرَّق أبدل، فلَم يَزلْ يَضرب ذَلكَ الزِّق

---

(١) (١/ ٣٥٧).

بِذلكَ السَّيف حتَّىٰ مَات ذَاهلَ العَقلِ يلْعَب بِخُرئِه، ورُبَّما كَان يَتناوَل مِنهُ ثُمَّ يُقبلُ عَلىٰ مَن يَراه فَيقُول: انْظُروا كَيفَ يُطعِمني هَذان الغُلامَان ابنا عُبيدِ اللهِ، وكانَ ربَّما شُدَّت يَداه إلَىٰ وَرَائه مَنعًا مِن ذَلكَ، فَأنْجَىٰ ذاتَ يَوم فِي مَكانِه ثُمَّ أهْوَىٰ بِفيهِ فتَنَاول مِنهُ فبَادرُوا إلَىٰ مَنعِه، فقالَ: أنْتم تَمنعُونَني وعَبد الرَّحمن وقُثم يُطعِمَاني، ومَات بُسرٌ فِي أيَّام الوَليد بن عبدِ المَلك سَنة سِتَّة وثَمانين».

ومنَ العُقوباتِ علَىٰ الإفْحَاش فِي إنْكَار المُنكرِ وعدَمِ الرِّفقِ بالجَاهِل: ما ذكَره زَين الدِّين العِراقِي فِي كِتابهِ «**طَرْح التَّثْرِيب**»(١) قَال: حَكىٰ لِي صَاحِبُنا الشَّيخُ الإمَام القُدوةُ شَيخُ الدِّين مُحمَّد بن صِدِّيق الجِنَاني رَحِمَهُ اللَّهُ قالَ: «كُنتُ فِي المَسجد الحَرامِ فَرأيتُ رَجُلًا بالَ فِي المَسجِد، فَتغيَّظْتُ عَليهِ وزِدْتُ فِي تَعنيفِه، ثُمَّ ألْزَمتُه أنْ حَمَل فِي ذَلكَ الحَصبَاء الذِي تَنجَّس بِبولِه ثُمَّ ثَوبه حتَّىٰ أخْرَجه مِن المَسجد؛ لأنَّه كانَ فِي زَحمة المَوسِم فَخشيتُ أنْ يَطَأه النَّاس ويَتنجَّسُوا بِه قَبل تَطهيرِه.

قالَ: ثُمَّ تَذكَّرت قَوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تُزْرِمُوهُ**»(٢)(٣)، فَندمتُ علَىٰ إفْحَاشي علَيهِ وربَّما كانَ جَاهلًا أو سَبقه بِغير اخْتِياره.

---

(١) (٢/ ١٣٩).

(٢) قال الأصمعي: الإزرام القطع، أي: لا تقطعوا عليه بوله. انظر: «لسان العرب» (١٢/ ٢٦٣).

(٣) أخرجه البخاري (٦٠٢٥)، ومسلم (٢٨٤)، وغيرهما من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال: فابْتُليتُ فِي ذَلكَ اليَومِ بأنْ سَبقنِي البَولُ فِي إزَاري ورِدَائي وأنَا مُحرِمٌ -وكانَ عِندَه تَحرُّزٌ فِي الطَّهارة، وَرُبَّما جَاوَزها إلَىٰ الوَسوَسَة- قَال: فَخرجتُ مِن المَسجدِ وبَقيتُ حَائرًا أيْنَ أتطَهَّر وأُطَهِّر إحْرَامي مَع اجْتمَاع النَّاس وكَثرَتهِم عَلىٰ المِياهِ بِمَكَّة.

فذَهَبت إلَىٰ مَسَاقي بَابِ المعَلَّىٰ والزِّحامُ عَليهَا، فاسْتَقبَلَني رَجلٌ مِن السَّقَّايين الذِين فِي الرَّكبِ لا أعرِفُه ولا أذْكُر أنِّي رأيْتُه قَبل ذَلكَ، فقالَ: أهْلًا وسَهلًا بِحِبِّنا المُوسْوِس، كأنَّك تريدُ تَتَطهر؟ فقُلتُ لهُ: نَعم، فأعْطَاني شَيئًا اسْتترتُ بهِ، ثمَّ نَزع إزَاري ورِدائِي ودَعا صِبيانَه فأمْسَك بعضُهم الإزارَ والرِّداءَ، وأمرَ بعضَهم فَطهَّر بَدنه وأفرَغ بِالدَّلو مِن ماءٍ كَثير عَليهِما حتَّىٰ طابَت نَفسي بِتطهِيرهِما.

ووَقفَ الصِّبيانُ بِهما فِي الهَواء حتَّىٰ جَفَّا، وأمَرهم فَصَبوا عَليَّ حتَّىٰ طابَت نَفسِي بِحصولِ الطَّهارة، ثمَّ ألبَسُوني إحْرامِي وقَالَ لِي: آنستَنا اليَومَ ورَحَّبَ بِي، فَصِرت مُتَعجبًا مِن وُقوعِ مِثلِ هَذا مِن هَذِه الطَّائِفة، وعَلمتُ أنَّ ذَلكَ بِندَمي عَلىٰ إفْحَاشي عَلىٰ الذِي سَبقهُ البَولُ فِي المَسجدِ الحَرام».

وَمِن عُقُوبات أهْلِ البِدَع: مَا وَقَع لِلقَاضِي أبِي بَكر بن الأصَمِّ، وكانَ قَاضيًا بِمِصرَ فِي زَمَن ابن أبِي دُؤاد، وكَان يَمتَحنُ العُلمَاء عَلىٰ القَولِ بِخلق القُرآنِ، فمَن أجَابَه خَلَّاه، وَمن أبَىٰ عليه أرْسلَه إلَىٰ أحْمَد بن أبِي دُؤاد بِالعِراق.

قال أَبُو العرب مُحَمَّد بن أَحْمَد بن تَميم التَّمِيمي فِي كِتاب «**المِحَن**»[١]: قَال يَحيَىٰ بن عَمْرو: «كُنتُ بِمصرَ حِينَ نَزل بِالأصمِّ مَا نَزلَ، وكَانتْ نَازِلتُه أنَّه ضُربَ ظَهرُه بِالسِّياط وحُلِق رَأسُه ولِحيَتُه وحَاجبَاه، وأُركِب عَلىٰ حِمار، وجُعِل وَجهُه إِلَىٰ ذَنَب الحِمَار، وطِيفَ بِه فِي مِصرَ، واسْتُصْفِي وكُتِبَ عَلىٰ دُورِه صَافِية».

ومنْ عُقُوبات المُعتَدينَ: مَا رَواه أبُو العرب مُحَمَّد بن أَحْمَد بن تَميم التَّمِيمي فِي كِتابِ «**المِحن**»[٢]، عَن غَيلان بن جَرير: «أنَّ رجلًا مِن وُجُوه قَومِه قَمَع امْرَأة فَرفعتْ رَأسَها إِلَىٰ السَّماء وقَالَت: قَطَع اللهُ يَدك، فَقُطِعت يَدُه».

وَمِن عُقُوباتِ المُعتَدين أيضًا: مَا رَواه أبُو العرب فِي كِتاب «**المحن**»[٣]، عنْ إبْرَاهيم بن إسْماعِيل -قالَ: وكَانَ مِن أَهلِ العِلمِ- قَال: «كانَ بَينَ سُليمانَ التَّمِيمي ورَجلٍ شَيءٌ فَنازَعه فِيهِ، فَتناوَلَ الرَّجُل سُليمانَ فَغمزَ بَطنِه بِيدهِ فَجَفَّت يَدُ الغَامِزِ».

* * *

(١) (ص٤٥٦).

(٢) (ص٣٧٢).

(٣) (ص٣٧٢).

فصل

وأمَّا القِسمُ الثَّاني مِن أقْسَام العُقوبَات، وَهِي العُقوبَات بَعدَ المَوتِ؛ فَهِي عَلىٰ قِسمَين:

أحدُهُما: العُقوبَاتُ عَلىٰ الكَبَائر التِي تَقَع مِن كَثير مِن النَّاس ولا تَختَصُّ بِأفْرَاد مِنهُم.

والثَّانِي: عُقوبَة الأفْرادِ مِن المَعرُوفين وَغير المَعرُوفِين مِمَّن كَانوا مُصرِّين عَلىٰ أفْعَالِهم السَّيِّئَة إلَىٰ حِين المَوت.

فمنَ القِسمِ الأوَّل: مَا أخْبَر بِهِ رَسولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ مِمَّا رَآه فِي ليلَة الإسْرَاء مِن تعذِيب أهْل الجَرائِم عَلىٰ جَرائِمِهم.

وَما رَآه أيضًا فِي مَنَامه الذِي رَوَاه الإمَام أحْمَد والبُخَاري عَن سَمُرة بن جُندُب رَضِيَ اللهُ عَنهُ[1].

وما رآهُ أيْضًا فِي مَنَامه الآخَر الذِي رَوَاه الطَّبَراني فِي «**الكَبِير**»[2] عَن أبِي أُمَامة رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٨/٥) (٢٠١٠٦)، والبخاري (٧٠٤٧)، وغيرهما من حديث جابر بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنهُ.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكَبير» (٨/ ١٥٥) (٧٦٦٦)، وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث، فيه مقال مشهور.

ورُؤيَا النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي المَنام وَحيٌ، قَاله ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا(١)، وعُبَيد بن عُمَير(٢). وقَالَ مُعاذ بن جَبَل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: رُؤيَا النّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ(٣).

وإذَا عُلِم هَذا فَمِن العُقُوباتِ التِي رَآهَا رَسول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في لَيلَةِ الإسْرَاء عُقُوبةُ الذِين يَأكُلونَ لُحومَ النَّاس وَيقعُون فِي أعْرَاضِهم، وقَد جَاء ذَلكَ فِي الحَديثِ الذِي رَواه الإمَام أحْمَد وأبُو دَاود عَن أنَس بن مَالَك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَال رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَومٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبرِيل؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ**»(٤).

وَروَى الإمَامُ أحْمَد أيْضًا عَن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: «**لَيلَةَ أُسْرِيَ بِالنَّبِي** صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **نَظَرَ فِي النَّارِ، فَإِذَا قَوْمٌ يَأكُلُونَ الجِيَفَ، فَقَال: «مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيل؟»، قَالَ: هَؤُلاءِ الذِينَ يَأكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ**».

---

(١) أخرج الطبراني في «المعجم الكَبير» (١٢/ ٦) (١٢٣٠٢)، وغيره عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «رؤيا الأنبياء وحي».

(٢) أخرجه البخاري (١٣٨)، وغيره عن عبيد بن عمير قوله.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٣) (٢٢٠٨٨)، وغيره عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ به. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٤) (١٣٣٦٤)، وأبو داود (٤٨٧٨)، وغيرهما من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٥٣٢).

[قَالَ الحَافَظ ابن كَثير: إسنادُه صَحِيحٌ وَلم يُخرِجُوه][1].

وَمنَ العُقُوبَاتِ التِي رَآهَا رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيلَة الإسْرَاء: عُقُوبَة الخُطَبَاء الذِين يَأمُرونَ النَّاس بِالبِرِّ وَينْسَونُ أَنْفُسَهم.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي الحَديثِ الذِي رَواهُ الإمَامُ أحْمَد، وأبُو دَاود الطَّيَالِسي، وَعَبدُ بن حُميد، وابْنُ حِبَّان في «**صَحِيحه**»، وابْنُ أبِي حَاتم، وابْنُ مَرْدَويه، والبَغَوي، عنْ أَنَس بن مَالِك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَال رسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأيْتُ لَيلَة أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيض مِنْ نَارٍ، فَقُلتُ: مَنْ هَؤُلاءِ يَا جِبرِيلُ؟ فَقَالَ: الخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ الذِين يَأمُرُونَ النَّاسَ بِالبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُون**». وَفِي رِوَايَة لابْنِ مَردَويه: «**تُقرَضُ شِفَاهُهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِن نَارٍ**».

وَرَوَاه أبُو نُعَيم فِي «**الحِلْية**» بِنَحوه. وَفِي رِوَايَة لَه: أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**أَتَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ كُلَّمَا قُرِضَتْ وَفَّتْ. قُلتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيل؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِك الذِينَ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ، وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ بِهِ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٥٧) (٢٣٢٤)، وغيره من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. وانظر: «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٧)، وقد تعقب الألباني قول ابن كثير كما في «الإسراء والمعراج وذكر أحاديثهما» (ص٧٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٠) (١٢٢٣٢)، وأبو داود الطيالسي في «المسند» (٣/ ٥٣٩) =

وَرَوىٰ ابن جَرِير وَالبَيْهَقِي فِي «**دَلَائِل النُّبُوَّة**»، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ حَدِيثًا طَوِيلًا فِي الإِسْرَاء، وفِيهِ: «**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **أَتَىٰ عَلَىٰ قَومٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لَا يَفْتُرُ عَنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ، فَقَالَ: «مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟» فَقَال: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ الفِتْنَةِ**»[(١)].

ومنَ العُقُوبَات التِي رُوِي أَنَّ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **رَآها فِي لَيلَة الإِسرَاء**: مَا جَاء فِي الحَدِيثِ الطَّوِيل الذِي رَوَاه البَيْهَقِي فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**» بِإسنَاد ضَعِيف، عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَقَد جَاء فِيه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَأىٰ آدَمَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا تُعْرَضُ عَلَيهِ أَرْوَاحُ ذُرِّيَّته، فَذَكَر الحَدِيثَ وَفِيه: «**ثُمَّ مَضَيتُ هُنَيَّة**[(٢)] **فَإذا أَنَا**

=

(٢١٧٢)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٢٢٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١/ ٢٤٩) (٥٣)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/ ١٠٠) (٤٧٢)، وابن مردويه كما عزاه له ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٤٨)، والبغوي في «تفسيره» (١/ ٨٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٨٦-٢٤٩)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وحسنه الألباني في «الصحيحة» (٢٩١)، وفي «صحيح الجامع» (١/ ٨٨) (١٢٩).

(١) أخرجه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/ ٤٢٤)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٧) من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أي: قليلًا من الزمان، ويقال: هُنَيْهَة أيضًا. قاله ابن الأثير، وابن منظور في «لسان العرب» (١٥/ ٣٦٦).

بَأَخْوِنَة[1] عَلَيهَا لَحْمٌ مُشَرَّحٌ لَيسَ يَقرَبُهَا أَحَدٌ، وَإِذَا أَنَا بِأَخْوِنَةٍ أُخْرَىٰ عَلَيهَا لَحمٌ قَدْ أَرْوَحَ وَنَتِنَ عِنْدَها أُنَاسٌ يَأكُلُونَ مِنْهَا. قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِك يَتْرُكُونَ الحَلَالَ وَيَأْتُونَ الحَرَامَ، فَقَالَ: ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيَّة فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ بُطُونُهُم أَمْثَالُ البُيُوتِ كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُم خَرَّ، يَقولُ: اللَّهُمَّ لا تُقِم السَّاعَة، قَالَ: وَهُمْ عَلَىٰ سَابِلَةِ آلِ فِرْعَوْنَ، قَالَ: فَتَجِيءُ السَّابِلَةُ فَتَطَأهُمْ، قَالَ: فَسَمِعَهُمْ يَضِجُّونَ إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ، قُلْتُ: يَا جَبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ الذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الذِي يَتَخَبَّطُه الشَّيْطَانُ مِنَ المَسِّ.

قَالَ: ثُمَّ مَضَيتُ هُنَيَّة فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ مَشَافِرُهُم[2] كَمَشَافِرِ الإِبِلِ، قَال: فَتُفْتَحُ أَفْوَاهُهُمْ فَيُلْقَمُونَ مِنْ ذَلِكَ الجَمْرِ ثُمَّ يَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، فَسَمِعْتُهُم يَضِجُّونَ إِلَىٰ اللهِ عَزَّوَجَلَّ. فَقُلْتُ: يَا جِبرِيلُ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ مِنْ أُمَّتِكَ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠].

قَالَ: ثُمَّ مَضَيْتُ هُنَيْهَةً فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ يَعلَّقْنَ بَثُدِيِّهِنَّ فَسَمِعْتُهُنَّ يَضْجِجْنَ إِلَىٰ

---

(١) الأَخْوِنَة: جمع خِوان -بالكسر-: وهو ما يوضع عليه الطعام عند الأكل. قال الجوهري وغيره: معرَّب. انظر: «النهاية» (٢/ ٨٩)، و«لسان العرب» (١٣/ ١٤٦).

(٢) مشافرهم أي: شفاههم. قال في «لسان العرب» (٤/ ٤١٩): المشفر للبعير كالشفة للإنسان، وقد يقال للإنسان: مشافر، علىٰ الاستعارة. وقال اللحياني: إنه لعظيم المشافر، يقال ذلك في الناس والإبل.

اللهِ عَزَّوَجَلَّ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هَؤُلاءِ النِّسَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الزُّنَاةِ مِنْ أُمَّتِكَ. قَالَ: ثُمَّ مَضَيتُ هُنَيَّةً فَإِذَا أَنَا بِأَقْوَامٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُلْقَمُونَهُ فَيُقَالُ لَهُ: كُلْ كَمَا كُنْتَ تَأْكُلُ مِنْ لَحْمِ أَخِيكَ، قُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ، مَنْ هُؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الهَمَّازُونَ مِنْ أُمَّتِكَ اللَّمَّازُونَ»(١).

ومِنَ العُقُوبَات التِي رُوِي أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا فِي لَيلَة الإسْرَاء: مَا جَاءَ فِي الحَديثِ الطَّوِيل الذِي رَوَاه ابن جَريرٍ فِي «تفْسِيره»، والبَيْهقِي فِي «دلَائِل النُّبُوَّة»، عَن أَبِي هُريرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(٢).

فَقَد جَاءَ: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ تُرْضَخُ رُءُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ كُلَّمَا رَضَخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ لا يُفَتَّرُ عَنْهُ مِنْ ذَلِكَ شَيءٌ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيل، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قَالَ: هَؤُلاءِ الذِينَ تَتَثَاقَلُ رُءُوسُهُمْ عَنِ الصَّلاةِ المَكْتُوبَة. قَالَ: ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ عَلَىٰ أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ وَعَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الإِبِلُ وَالغَنَمُ، ويَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ وَالزَّقُّومَ وَرَضَفَ جَهَنَّمَ وَحِجَارَتَها، فَقَالَ: مَا هؤلَاءِ يَا جِبْرِيل؟ قَال: هَؤُلاءِ الذِينَ لا يُؤَدُّونَ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُم اللهُ شَيْئًا وَمَا اللهُ بِظَلَّامٍ لِلعَبِيدِ.

ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ بَينَ أَيدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيجٌ فِي قِدْرٍ، وَلَحْمٌ آخر نَيِّءٌ قَذِرٌ

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٠) وفيه عمارة بن جوين أبو هارون العبدي، متروك الحديث.

(٢) سبق تخريجه قريبًا.

خَبِيثٌ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ اللَّحْمِ النَّيِّءِ الخَبِيثِ وَيَدَعُونَ النَّضِيجَ الطَّيِّبِ، فَقَالَ: يَا جِبْرِيلُ، مَن هَؤُلَاءِ؟ فقَال: هَذَا الرَّجُل مِنْ أُمَّتِك تَكُون عِنْدَه المَرْأَة الحَلَال الطَّيِّبَة فَيَأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً فَيَبِيتُ عِنْدَها حتَّىٰ يُصْبِح، والمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلَالًا طَيِّبًا فتَأْتِي رَجُلًا خَبِيثًا فتَبِيتُ مَعَهُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ.

ثُمَّ أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَت لا يَفْتُر عَنهُم مِن ذَلِك شَيءٌ. قَال: مَا هَؤُلاءِ يَا جِبْرِيل؟ فَقَال: هَؤُلاءِ خُطَبَاءُ أُمَّتِك خُطَباءُ الفِتْنَةِ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ».

ومِنَ العُقُوباتِ التِي رُوِي أنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَآهَا فِي ليلَة الإِسْرَاء: عُقوبَةُ أَكَلةِ الرِّبَا.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي الحَديثِ الذِي رَوَاه الإِمَام أحْمَد، وابْنُ مَاجه، وابْنُ أَبِي حَاتِم، عن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَيتُ لَيْلَة أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَومٍ بُطُونُهم كَالبُيُوت، فِيهَا الحَيَّات تُرَىٰ مِنْ خَارِجِ بُطُونِهِمْ، فَقُلتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالُ: هَؤُلَاءِ أَكَلَةُ الرِّبَا»(١).

ومِنَ العُقُوبَات التِي رَآهَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِه: مَا جَاءَ فِي حَديثِ سَمُرَة بن جُنْدُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٣) (٨٦٢٥)، وابن ماجه (٢٢٧٣)، وغيرهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٣٣).

وقَدْ رَواه الإمَام أحمَد، والبُخَارِي، وفِيهِ أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّه أَتَانِي اللَّيْلَة آتِيَان، وإِنَّهُمَا ابْتَعَثَانِي وَإِنَّهُما قَالَا لِي: انْطَلِقْ. وَإِنِّي انطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وَإِنَّا أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ وَإِذَا آخَر قَائِمٌ عَلَيهِ بِصَخْرَةٍ وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ فَيُثْلَغُ رَأْسُهُ فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذَهُ فَلا يَرْجِعُ إِلَيهِ حَتَّىٰ يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيهِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْل مَا فَعَلَ بِهِ المَرَّةَ الأُولَىٰ. قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انطَلِقْ.**

فَانْطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيهِ بِكَلُّوبٍ مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّي وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمِنْخَرَه إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَينهُ إِلَىٰ قَفَاه. قَال: ثُمَّ يَتَحَوَّل إِلَىٰ الجَانِب الآخَرِ فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْل مَا فَعَل بِالجَانِبِ الأَوَلِ، فَمَا يَفْرُغُ مِنْ ذَلِكَ الجَانِبِ حَتَّىٰ يَصَحَّ ذَلِك الجَانِبُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيهِ فَيَفْعَلُ مِثْل مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَىٰ. قَال: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ.

فانْطَلَقْنَا فَأَتَينَا عَلَىٰ مِثْلِ التَّنُّورِ. قَالَ: وَأَحْسَبُ أَنَّه كَانَ يَقُولُ: فَإِذَا فِيهِ لَغَطٌ وَأَصوَاتٌ. قَالَ: فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فَإِذا فِيهِ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسَفَلَ مِنْهُم فَإِذَا أَتَاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوُا(١)**، قَالَ: قَلْتُ لَهُمَا: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انطَلِقْ انطَلِقْ.**

---

(١) قوله: «ضوضوا»؛ أي: ضجُّوا وصاحوا. انظر: «لسان العرب» (١٤/ ٤٨٨).

قَالَ: فَانطَلَقْنَا فَأَتَيْنَا عَلَىٰ نَهْرٍ -حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَحْمَر مِثْل الدَّم-، وإِذَا فِي النَّهْرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَىٰ شَطِّ النَّهْرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَة، وإذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الذِي قَدْ جَمَعَ عَنْدَهُ الحِجَارَةِ فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمَهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيهِ كَمَا رَجَعَ إِلَيهِ فَغَر لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتَ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالا لِي: انْطَلِقْ انْطَلِقْ - وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَفِيهِ- قَالَ: قُلتُ لَهُمَا: فَإِنِّي قَدْ رَأَيتُ مُنْذُ اللَّيْلَةِ عَجَبًا، فَمَا هَذَا الذِي رَأَيتُ؟ قَالَ: قَالا لِي: أَمَا إِنَّا سَنُخْبِرُكَ.

أَمَّا الرَّجُلُ الأَوَّلُ الذِي أَتَيْتَ عَلَيهِ يُثْلغُ رَأْسُهُ بِالحَجَرِ فَإِنَّه الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرْآنَ فَيَرْفُضُهُ وَيَنَامُ عَنِ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ. وَأَمَّا الرَّجُلُ الذِي أَتيتَ عَلَيهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ وَمِنخَرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ فَإِنَّه الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكَذِبَة تَبْلُغُ الآفَاقَ. وَأَمَّا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ العُرَاةُ الذِينَ فِي مِثْلِ بِنَاءِ التَّنُّورِ فَهُمُ الزُّنَاةُ وَالزَّوَانِي. وَأَمَّا الرَّجُلُ الذِي أَتيتَ عَلَيهِ يَسْبَحُ فِي النَّهْر وَيُلْقَمُ الحَجَرَ فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا».

[وَقَد رَوَاه ابن أَبِي شَيْبَة، وابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحه» بِنَحوه، وَرَواه الإِمَام أَحمَد والبُخَاري أَيْضًا مِن طَرِيقٍ آخر بِنحْوِه، وفِيهِ أَنَّ اللَّذَينِ أَتَياه قَالا لَه: «أَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيل»[1].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٨) (٢٠١٠٦)، والبخاري (٧٠٤٧)، وغيرهما من حديث سمرة بنِ

ومِنَ العُقُوباتِ التِي رَآهَا النَّبيُّ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي مَنامِهِ أيضًا: مَا جَاء فِي حدِيثِ أَبِي أُمَامة البَاهِلِيِّ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، الذِي رَواه الطَّبَرانِي فِي «الكبير»، أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «إِنِّي رَأَيْتُ رُؤْيَا هِيَ حَقٌّ فَاعْقِلُوهَا، أَتَانِي رَجُلٌ فَأَخَذَ بِيَدِي فَاسْتَتْبَعَنِي حَتَّىٰ أَتَىٰ بِي جَبَلًا وَعْرًا طَوِيلًا، فَقَالَ لِي: ارْقَهْ، فَقُلْتُ: إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: إِنِّي سَأُسَهِّلُهُ لَكَ، فَجَعَلْتُ كُلَّمَا رَقِيْتُ قَدَمِي وَضَعْتُها عَلَىٰ دَرَجَةٍ حَتَّىٰ اسْتَوَيْنَا عَلَىٰ سَوَاءِ الجَبَلِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَعْلَمُونَ.

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُسَمَّرَةٍ أَعْيُنُهُمْ وَآذَانُهُمْ، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يُرُونَ أَعْيُنَهُمْ مَا لَا يَرَوْنَ، وَيُسْمِعُونَ آذَانَهُمْ مَا لَا يَسْمَعُونَ. ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِعَرَاقِيبِهِنَّ مُصَوَّبَةٍ رُءُوسُهُنَّ تَنْهَشُ ثُدَيَّاتِهِنَّ الحَيَّاتُ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَمْنَعُونَ أَوْلَادَهُنَّ مِنْ أَلبَانِهِنَّ.

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ مُعَلَّقَاتٍ بِعَرَاقِيبِهِنَّ مَصَوَّبَةٍ رُءُوسُهُنَّ، يَلْحَسْنَ مِنْ مَاءٍ قَلِيلٍ وَحَمَأٍ، فَقُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الذِينَ يَصُومُونَ وَيُفْطِرُونَ قَبْلَ تَحِلَّةِ صَوْمِهِم. ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِرِجَالٍ وَنِسَاءٍ أَقْبَحُ شَيْءٍ مَنْظَرًا وَأَقْبَحُهُ لُبُوسًا وَأَنْتَنُهُ رِيحًا كَأَنَّمَا رِيحُهُمُ المَرَاحِيضُ، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ:

=

جندب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

هَؤُلَاءِ الزَّانُونَ وَالزُّنَاةِ.

ثُمَّ انْطَلَقْنَا فَإِذَا نَحْنُ بِمَوْتَىٰ أَشَدُّ شَيْءٍ انْتِفَاخًا وَأَنْتَنُهُ رِيحًا، قُلْتُ: مَا هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ مَوْتَىٰ الكُفَّارِ. ثُمَّ انْطَلَقْنَا وَإِذَا نَحْنُ نَرَىٰ دُخَانًا وَنَسْمَعُ عُوَاءً، قُلْتُ: مَا هَذا؟ قَالَ: هَذِهِ جَهَنَّمُ فَدَعْهَا...» وذَكَر تَمام الحَدِيث.

[قَالَ الهَيْثَمِي: رِجَالُه رِجَال الصَّحِيح. وَقَال الحَافِظُ ابن حَجَر: سَنَدُه جَيِّدٌ. وَقَد رَوَىٰ ابن خُزَيمَةَ وَابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحَيْهما»، وَالحَاكِم فِي «مُستَدْرَكِه» طَرفًا مِن أَوَّل الحَدِيثِ، وَقَال الحَاكِم: صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرطِ مُسلِم، ووَافَقهُ الذَّهَبي فِي «تلخِيصِه». وَرَواه البَيهَقِي فِي كِتابِ «إِثْبَات عَذَاب القَبْر» بِنحْو رِوَاية الطَّبَراني][1].

* * *

فصل

وَأَمَّا عُقُوبَة الأَفْرَاد مِن المَعْروفِين وَغيرِ المَعْرُوفينَ بَعد المَوتِ فَهِي عَلَىٰ ثَلَاثَة أَقْسَام:

الأَوَّلُ مِنْها: مَا أَخْبر بِهِ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنْ بَعْضِ المُعَذَّبِين.

---

(١) سبق، وأخرجه ابن خزيمة في «صحيحه» (٣/ ٢٣٧) (١٩٨٦)، وابن حبان في «صحيحه» أيضًا (١٦/ ٥٣٦) (٧٤٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢٨) (٢٨٣٧)، وغيرهم. وانظر: «مجمع الزوائد» (١/ ٤٥٠)، و«الفتح» (١٢/ ٤٤١).

وَالثَّانِي: مَا اطَّلَعَ عَليهِ بَعضُ النَّاس بِالمُشاهَدَة أو السَّمَاع.

والثَّالِث: مَا وَقَعت رُؤيَتُهم لَهُ فِي المَنَام.

فَمِن الأَوَّل: مَا رَآهُ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فِي صَلاةِ الكُسُوفِ مِن تَعذِيبِ صَاحِبَةِ الهِرَّة وَسارِقِ الحَاجِّ، وَعَمْرو بن لُحَي الخُزَاعِي، وغَيْرهم.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي عِدَّة أحَادِيث، مِنهَا حَديثُ أَسماءَ بنتَ أَبي بَكر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا: أنَّ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ صَلَّىٰ صَلاةَ الكُسُوفِ -الحَدِيث وَفِيه-: ثُمَّ انْصَرَفَ فقَال: «**قَدْ دَنَتْ مِنِّي الجَنَّةُ حَتَّىٰ لَوِ اجْتَرَأْتُ عَلَيهَا لَجِئْتُكُمْ بِقِطَافٍ مِنْ قِطَافِهَا، وَدَنَتْ مِنِّي النَّارُ حَتَّىٰ قُلْتُ: أَيْ رَبِّ وَأَنَا مَعَهُمْ، فَإِذَا امْرَأَةٌ - حَسِبْتُ أَنَّه قَالَ- تَخْدِشُهَا هِرَّةٌ، قُلْتُ: مَا شَأْنُ هَذِهِ؟ قَالُوا: حَبَسَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ جُوعًا لا أَطْعَمَتْهَا وَلا أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**». [رَوَاهُ الإمَامُ أَحْمَد والبُخَارِيُّ وَابْنُ مَاجه](١).

وَمِنْها: حَدِيثُ جَابِر بن عَبد اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قالَ: كَسَفَتِ الشَّمسُ عَلَىٰ عَهْد رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -فَذَكَر الحَدِيث وَفِيه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَالَ: «**إِنَّه لَيسَ مِن شَيءٍ تُوعَدُونَهُ إِلَّا قَدْ رَأَيْتُهُ فِي صَلاتِي هَذِهِ، وَلَقَدْ جِيءَ بِالنَّارِ فَذَلِكَ حِينَ رَأَيْتُمُونِي تَأَخَّرْتُ مَخَافَةَ أَنْ يُصِيبَنِي مِنْ لَفْحِهَا، حَتَّىٰ قُلْتُ: أَيْ رَبِّ**

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٥٠) (٢٧٠٠٨)، والبخاري (٧٤)، وابن ماجه (١٢٦٥)، وغيرهم عن أسماء رَضِيَٱللَّهُعَنۡهَا.

وَأَنَا فِيهِمْ، وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنِ يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِنْ فُطِنَ بِهِ قَالَ: إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي، وَإِنْ غُفِلَ عَنْهُ ذَهَبَ بِهِ، وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَةَ الهِرَّةِ التِي رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَتْرُكْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ حَتَّىٰ مَاتَتْ جُوعًا». [رَوَاهُ الإِمَامُ أَحمَد وَمُسلِم والبَيهَقِي][(١)].

وَرَواه الإِمَامُ أَحْمَدُ ومُسْلِم أيضًا، وفِيهِ: أَنَّ رسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «وَعُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ فَجَعَلْتُ أَتَأَخَّرُ رَهْبَةَ أَنْ تَغْشَاكُمْ، فَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً حِمْيَرِيَّةً سَوْدَاءَ طَوِيلَةً تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تُسْقِهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَةَ عَمْرَو بنَ مَالِكٍ يَجُرُّ قَصَبَهُ فِي النَّارِ». [هَذِهِ رِوَايَة أَحْمَد][(٢)].

وفِي رِوَايَة مُسلِم: «وَعُرِضَت عَلَيَّ النَّارُ فَرَأيتُ فِيها امْرَأَةً مِن بَنِي إِسْرَائيل[(٣)] تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ لَهَا رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، وَرَأَيْتُ أَبَا ثُمَامَة عَمْرو بن مَالِك يَجُرُّ قَصبَهُ فِي النَّارِ».

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣١٧، ٣٧٤) (١٤٤٥٧، ١٥٠٦٠)، ومسلم (٩٠٤)، والبيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٣/ ٤٥٥) (٦٣٢١)، وغيرهم، من حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٧٤) (١٥٠٦٠)، ومسلم (٩٠٤).

(٣) قوله: «امرأة من بني إسرائيل»: كذا جاء في رواية مسلم. وفي رواية أحمد أنها امرأة حميرية. وجاء مثل ذلك في حديثي عبد الله بن عمرو والمغيرة بن شعبة المذكورين بعد حديث جابر. ولعل هذا هو الصواب؛ لاتفاق الأحاديث الثلاثة عليه، والله أعلم.

وَمِنها: حَديثُ عَبد اللهِ بن عَمْرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَال: كَسَفت الشَّمْس عَلىٰ عَهْد رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -فَذَكر الحَديثَ وَفِيه-: أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قَال: «**فَوَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ عُرِضَتْ عَليَّ الجَنَّةُ حَتَّىٰ لَوْ أَشَاءُ لَتَعَاطَيْتُ بَعْضَ أَغْصَانِهَا، وَعُرِضَتْ عَليَّ النَّارُ حَتَّىٰ إِنِّي لَأُطْفِئُهَا خَشْيَةَ أَنْ تَغْشَاكُمْ، وَرَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِن حِمْيَر سَوْدَاء طَوَّالَة تُعَذَّبُ بِهِرَّةٍ لَهَا تَرْبِطُهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا وَلَا تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، كُلَّمَا أَقْبَلَتْ نَهَشَتْهَا وَكُلَّمَا أَدْبَرَتْ نَهَشَتْهَا. وَرَأَيْتُ فِيهَا أَخَا بَنِي دَعْدَع، وَرَأَيْتُ صَاحِبَ المِحْجَنِ مُتَّكِئًا فِي النَّارِ عَلَىٰ مِحْجَنِهِ، كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ فَإِذَا عَلِمُوا بِهِ قَالَ: لَسْتُ أَنَا أَسْرِقُكُمْ إِنَّمَا تَعَلَّقَ بِمِحْجَنِي**».

[رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسائي وابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِهِ»، وَهَذا لَفْظ أَحْمَد].

وَفِي رِوَايَة النَّسَائِي: أَنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قالَ: «**وَلَقَدْ أُدْنِيَتِ النَّارُ مِنِّي حَتَّىٰ لَقَدْ جَعَلْتُ أَتَّقِيهَا خَشْيَةَ أَنْ تَغْشَاكُمْ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا امْرَأَةً مِنْ حِمْيَر تُعَذَّبُ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ، فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَلَا هِيَ سَقَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ، فَلَقَدْ رَأَيْتُهَا تَنْهَشُهَا إِذَا أَقْبَلَتْ وَإِذَا وَلَّتْ تَنْهَشُ أَلْيَتَهَا، وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ السَّبْتِيَّتَيْنِ أَخَا بَنِي الدَّعْدَاعِ يُدْفَعُ بِعَصًا ذَاتَ شُعْبَتَينِ فِي النَّارِ، وَحَتَّىٰ رَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنْ الذِي كَانَ يَسْرِقُ الحَاجَّ بِمِحْجَنِهِ مُتَّكِئًا عَلَىٰ مِحْجَنِهِ فِي النَّارِ يَقُولُ: أَنَا سَارِقُ المِحْجَنِ**».

وَفِي رِوَايَة ابن حِبَّان: «وَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ بَدَنَتَي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَا بَنِي دَعْدَع يُدْفَعُ فِي النَّارِ بِقَضِيبَةٍ ذِي شُعْبَتَيْنِ»، [وَبَقِيَّة رِوَايَته بِنَحو رِوَاية أَحْمَد](١).

وَمِنْهَا: حَدِيث المُغِيرة بن شُعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا انْصَرف مِنْ صَلاة الكُسُوف قالَ: «إِنَّ النَّارَ أُدْنِيَتْ مِنِّي حَتَّىٰ نَفَحْتُ حَرَّهَا عَنْ وَجْهِي، فَرَأَيْتُ فِيهَا صَاحِبَ المِحْجَنِ، وَالذِي بَحَّرَ البَحِيرَةَ، وَصَاحِبَةَ حِمْيَر صَاحِبَةَ الهِرَّةِ». [رَواهُ الإمَامُ أَحْمَد](٢).

وَرَوىٰ الإِمَام أَحْمَد والبُخَارِي ومُسلِم وابْنُ حِبَّان فِي «صَحِيحِه»، عَن أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَال: قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأيتُ عَمرو بنَ عَامِرِ الخُزَاعِي يَجُرُّ قَصبَهُ فِي النَّارِ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبِ».

وَفِي رِوَايَة لأَحْمَد: «وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّائِبَةَ وَبَحَّرَ البَحِيرَة»(٣).

وَرَوىٰ البُخارِي وَمُسلِم أَيْضًا والنَّسَائي عَن عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالتْ:

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩) (٦٤٨٣)، والنسائي (١٤٨٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٩٧) (٢٨٣٨)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الإرواء» (٢/ ١٢٤) (٣٩٦).

(٢) أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٥) (١٨١٦٧)، وغيره من حديث المغيرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/ ٢٧٥، ٣٦٦) (٧٦٩٦، ٨٧٧٣)، والبخاري (٤٦٢٣)، ومسلم (٢٨٥٦)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

خَسفَت الشَّمْسُ -الحَدِيث وَفِيه-: أنَّ رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ فِيهَا عَمْرَو بنَ لُحَيٍّ وهُوَ الذِي سَيَّبَ السَّوَائِبَ**».

وَفِي رِوَايَة لِلبُخَارِي: «**رَأَيْتُ جَهَنَّمَ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَرَأَيْتُ عَمْرًا يَجُرُّ قَصَبهُ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ**»(١).

وَرَوَىٰ الإمَامُ أحْمَد، عَن عبد اللهِ بن مَسْعُود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَال: «**إنَّ أَوَّلَ مَنْ سَيَّبَ السَّوَائِبَ وَعَبَدَ الأَصْنَامَ أَبُو خُزاعَةَ عَمْرُو بنُ عَامِر، وَإِنِّي رَأَيْتُهُ يَجُرُّ أَمْعَاءَهُ فِي النَّارِ**»(٢).

وَمِن العُقُوبَات التِي أَخْبرَ بِها رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُقُوبة النَّمام، والذِي لا يَسْتَنْزِهُ مِن بَوْله.

وقَد جَاء ذَلكَ فِي حَديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: مَرَّ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقبرَين فَقَال: «**إِنَّهُما لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَنْزِهُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٢٤)، ومسلم (٩٠١)، والنسائي (١٤٧٢)، وغيرهم من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٤٦) (٤٢٥٨)، وغيره من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

[رَوَاه الإمام أحْمَد والبخَارِيُّ ومُسلِم وَأهلُ السُّنَن، وقَالَ التِّرمِذِي: هَذا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ. قَال: وَفِي البَاب عَن أَبِي هُرَيرَة، وَأبِي مُوسَىٰ، وَعبد الرَّحمَن بن حَسَنة، وَزَيد بن ثَابت، وَأَبي بَكرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. انتهىٰ].

وَفِي رِوَايَة لأحْمَد عنِ ابن عَبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: «مَرَّ رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بحَائِطٍ مِن حِيطانِ المَدينَةِ، فَسمِع صَوتَ إنْسَانَينِ يُعذَّبَان فِي قَبرِهِما -فذَكره-».

وفِي رِوَاية للبُخاري قَال: مرَّ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِحائِطٍ مِن حِيطانِ المَدينَة -أو مَكَّة- فَسَمع صَوتَ إنْسَانينِ يُعذَّبَان فِي قُبورِهِما، فقَال النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يُعذَّبَانِ وَمَا يُعذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ -ثُمَّ قَالَ-: بَلَىٰ**» وذكَر تَمامَ الحَديثِ. ورَوَاه النسائِي بِنحوِه.

وَجاءَ فِي رِوَاية ابن مَاجَه قَال: «مَرَّ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِقبرَينِ جَديدَينِ فقَال... -وَذكر الحَدِيث-»(١).

وَروَىٰ ابن مَاجَه أيْضًا عَن أَبِي بَكرَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: مرَّ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِقَبْرينِ فَقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ وَمَا يُعذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ. أَمَّا أَحَدُهُمَا فَيُعَذَّبُ فِي البَوْلِ،**

(١) أخرجه أحمد (١/ ٢٢٥) (١٩٨٠)، والبخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢)، وأبو داود (٢٠)، والترمذي (٧٠)، والنسائي (٣١)، وابن ماجه (٣٤٧)، وغيرهم من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

وَأَمَّا الآخَرُ فَيُعَذَّبُ فِي الغِيبَةِ»[١].

[ورواه الإمَام أحْمَد بِنحوِه. ورَوىٰ أيْضًا مِن حَدِيث أبِي أُمامَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَحوَ حَديثِ ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَروَاهُ الطَّبَراني فِي «**الكَبِير**» بِنَحْوِه أيضًا][٢].

وَرَوَىٰ ابن حِبَّان فِي «**صَحِيحه**»، عَن أبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: كُنَّا نَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَرَرْنَا عَلَىٰ قَبْرَينِ فقَامَ فَقُمْنَا مَعهُ، فَجعَلَ لَوْنُهُ يَتَغَيَّرُ حَتَىٰ رَعَدَ كُمُّ قَمِيصِهِ، فَقُلْنَا: مَا لَكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**مَا تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ**»، فَقُلْنَا: وَمَا ذَاكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**هَذَانِ رَجُلَانِ يُعَذَّبَانِ فِي قُبُورِهِمَا عَذَابًا شَدِيدًا فِي ذَنْبٍ هَيِّنٍ**»، قُلْنَا: مِمَّ ذَلِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**كَانَ أَحَدُهُمَا لا يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَكَانَ الآخَرُ يُؤْذِي النَّاسَ بِلِسَانِهِ وَيَمْشِي بَيْنَهُمْ بِالنَّمِيمَةِ**»[٣].

وَمِن العُقُوباتِ التِي أَخبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عُقُوبَة العَبْد الذِي غَلَّ الشَّمْلَةَ.

وَقَد جَاء ذلِكَ فِي حدِيثِ أَبِي هُريرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «افْتَتَحْنَا خَيبرَ وَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً إِنَّمَا غَنِمْنَا البَقَرَ وَالإِبِلَ وَالمَتَاعَ وَالحَوَائِطَ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا مَعَ

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٤٩)، وغيره من حديث أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٤٧٩) (٢٤٤١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٦) (٢٢٣٤٦)، والطبراني في (٨/ ٢١٦) (٧٨٦٩)، وغيرهما من حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف جدًّا».

(٣) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ١٠٦) (٨٢٤) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِلَىٰ وَادِي القُرَىٰ وَمَعَهُ عَبْدٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ: مِدْعَم، أَهْدَاهُ لَهُ أَحَدُ بَنِي الضَّبَّابِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَحُطُّ رَحْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ سَهْمٌ عَائِرٌ حَتَّىٰ أَصَابَ ذَلِكَ العَبْدَ، فقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الشَّهَادَة، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**كَلَّا وَالذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَمْلَةَ التِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيبَرَ مِنَ المَغَانِمِ لَمْ تُصبْهَا المَقَاسِمُ لتَشْتَعِلُ عَلَيهِ نَارًا**». [رَوَاه مَالك والبُخَاري ومُسْلِم وأبُو داود والنَّسَائي وابْنُ حِبَّان في «**صَحِيحه**»](١).

وَمِن العُقُوبات التِي أخْبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: عُقُوبة السَّاعِي الذِي غَلَّ النَّمِرَة.

وَقَد جَاء ذَلِك فِي حدِيثِ أَبِي رَافِعٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «كَانَ رَسُول اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ إذَا صَلَّىٰ العَصْرَ رُبَّمَا ذَهَبَ إِلَىٰ بَنِي عَبد الأَشْهَل فَيَتَحَدَّثُ حَتَىٰ يَنْحَدِر لِلمَغْرِبِ. قَالَ أَبُو رَافِعٍ: فَبَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُسْرِعًا إِلَىٰ المَغْرِب إِذْ مَرَّ بِالبَقِيع فقَالَ: «**أُفٍّ لَكَ، أُفٍّ لَك**» مَرَّتَيْنِ، فَكَبُرَ فِي ذَرْعِي وَتَأَخَّرْتُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي، فقَالَ: «**مَالَكَ امْشِ**»، قَالَ: قُلْتُ: أَحْدَثْتَ حَدَثًا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ؟**» قُلْتُ: أَفَّفْتَ بِي، قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ هَذَا قَبْرُ فُلَانٍ بَعَثْتُهُ سَاعِيًا عَلَىٰ بَنِي فُلَانٍ فَغَلَّ**

---

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٥)، والبخاري (٤٢٣٤)، ومسلم (١١٥)، وأبو داود (٢٧١١)، والنسائي (٣٨٢٧)، وابن حبان في «صحيحه» (١١/ ١٨٧) (٤٨٥١)، وغيرهم من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

نَمِرَةً فَدُرِّعَ الآنَ مِثْلَهَا مِنْ نَارٍ». [رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَد والنَّسَائِي][(١)].

ومِنَ العُقُوباتِ التِي أَخْبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عُقُوبَة الذِي غَلَّ بُرْدَةً أَوْ عَبَاءَةً.**

وَقَد جَاء ذَلِكَ فِيمَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَد وَمُسلِم والدَّارِمي، مِن حَدِيث ابن عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: حَدَّثَني عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: «لَمَّا كَانَ يَومُ خَيبَر أَقْبَل نَفَرٌ مِن أَصْحَابِ النَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالوا: فُلانٌ شَهيدٌ، فُلانٌ شَهيدٌ، حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ فقَالُوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فَقَال رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُه فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**». [وَرَواهُ ابنُ حِبَّان فِي «**صَحِيحِه**»][(٢)].

ومِنَ العُقُوبَات التِي أَخْبَر بِهَا رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا جَاء فِي الحَدِيث الذِي رَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد عَن عَبد اللهِ بن شَقِيق، أَنَّه أَخْبَره مَنْ سَمِع النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهُو بِوَادي القُرَىٰ وَهُو عَلَىٰ فَرَسٍ وَجَاءَهُ رَجلٌ فَقَال: اسْتُشْهِدَ مَولَاكَ، أَوْ قَال: غُلَامُك فُلانٌ. قَال: «**بَلْ يُجَرُّ إِلَىٰ النَّارِ فِي عَبَاءَةٍ غَلَّهَا**»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٩٢) (٢٧٢٣٦)، والنسائي (٨٦٢)، وغيرهما من حديث أبي رافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٠٨٣)، والنَّمِرَة: بُردةٌ مِن صُوف تلبسُها الأعراب. «فدُرِّع»: دُرِّع كذا وكذا، أي: أُلْبِس، يعني جعل له دِرْعًا.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٣٠) (٢٠٣)، ومسلم (١١٤)، والدارمي (٣/ ١٦١٦) (٢٥٣٢)، وابن حبان (١١/ ١٨٥) (٤٨٤٩)، وغيرهم من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٣٢) (٢٠٣٦٦).

وَرَوَىٰ الإِمَام أَحْمَد أيْضًا، عَن أنَس بن مَالك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: قَالُوا: يَا رَسُول اللهِ، اسْتُشْهِد مَولَاكَ فُلانٌ، قَال: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُ عَلَيهِ عَبَاءَةً غَلَّهَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا**»(١).

وَرَوىٰ الإمَامُ أحْمَد والبُخَارِيُّ وابْنُ ماجَه، عن عَبْد اللهِ بن عَمْرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ عَلَىٰ ثقل النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: كَرْكَرَة، فَمَاتَ، فَقَالَ النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**هُوَ فِي النَّارِ**»، فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيهِ فَوَجَدُوا عَلَيهِ كِسَاءً أَوْ عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا»(٢).

ومِنَ العُقُوباتِ التِي أَخْبَر بِها رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: مَا جَاء فِي الحَدِيث الذِي رَواهُ الإمَامُ أحْمَد، عَن أَمِّ مُبَشِّر امْرَأة زَيْد بن حَارِثَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَعَنْهَا قَالَتْ: «دخَل عَليَّ رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأنَا فِي حَائِطٍ مِن حَوائِط بَنِي النَّجَّار، فِيهِ قُبورٌ مِنهُم قَد مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّة، فَسِمَعَهُم وَهُم يُعَذَّبُون، فَخَرج وَهُو يَقُول: «**اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**»، قَالتْ: قُلتُ: يَا رَسولَ اللهِ، وَإِنَّهُم لَيُعذَّبُون فِي قُبورِهِم؟ قَال: «**نَعَمْ، عَذَابًا تَسْمَعُهُ البَهَائِمُ**». [رِجالُه رِجَال الصَّحِيح. وَقدْ رَواه ابن حِبَّان فِي «**صَحِيحِه**»، والطَّبَرانِي فِي «**الكَبِير**»، والبَيهَقِي

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١) (١٢٥٥٠). من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الأرنؤوط: «صحيح لغيره».

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٠) (٦٤٩٣)، والبخاري (٣٠٧٤)، وابن ماجه (٢٨٤٩)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا.

فِي كتَاب «**إثْبَات عَذاب القَبْر**» بِنحوِه مُختَصرًا](١).

ورَوىٰ الإمَامُ أحْمَد أيْضًا بإسْنَاد صَحيحٍ عَن أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: أخْبرَني مَن لَا أتَّهِمُه مِن أصْحَاب النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «بينَما رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وبِلالٌ يَمشِيانِ بِالبَقيعِ فقَال رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**يَا بِلال، هَلْ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَسْمَعُهُ، قَالَ: «**أَلَا تَسْمَعُ أَهْلَ هَذِهِ القُبُورِ يُعَذَّبُونَ؟**» -يَعنِي قُبورَ أَهْل الجَاهِلِيَّة-». [وقَد رَوَاه البَيهَقي فِي كِتَاب «**إثْبَات عَذاب القَبْر**» بِنحوِه وَقالَ: إسْنَاده صَحيحٌ](٢).

وَرَوىٰ الإمَام أحْمَد أيْضًا وَالنَّسائِي وابْنُ حِبَّان فِي «**صَحيحِه**»، عَن أنَسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «دَخَل النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حَائِطًا مِن حِيطَانِ المَدينةِ لِبَني النَّجار، فَسَمِع صَوتًا مِنْ قَبرٍ فَسَأَل عَنهُ: «**مَتَىٰ دُفِنَ هَذَا؟**» فقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، دُفِنَ هَذَا فِي الجَاهِلِيَّة، فَأَعْجَبهُ ذَلكَ وَقالَ: «**لَولَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ**». [وَرَواه الإمَامُ أحْمَد أيْضًا وَمُسلِمٌ وَابنُ حِبَّان مُختَصَرًا

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ٣٦٢) (٢٧٠٨٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/ ٣٩٥) (٣١٢٥)، والطبراني في «الكبير» (٢٥/ ١٠٣)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٩٥)، وغيرهم من حديث أم مبشر رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٤٤٤).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٩) (١٣٧٤٥)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٩٦)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وصحح إسناده الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٣١٨).

لَيْسَ فيهِ قِصَّة دُخُول الحَائِط].

وَرَوَاه الإِمَامُ أَحْمَدُ أَيْضًا وَأَبُو دَاود مُطَوَّلًا. وأَوَّلُه: «أَنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَل نَخْلًا لِبَنِي النَّجَّارِ فَسَمِعَ صَوْتًا فَفَزِعَ فَقَال: «**مَنْ أَصْحَابُ هَذِهِ القُبُورِ؟**» قَالوا: يَا نَبِيَّ اللهِ، نَاسٌ مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّة، قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ وَعَذابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» الحديث.

وفِي رِوَايَة لأَحْمَد، عَن أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَل النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِربًا لَبَنِي النَّجَّار وَكَانَ يَقْضِي فِيهَا حَاجَةً، فَخرجَ إِلَينَا مَذعُورًا أَوْ فَزِعًا وَقَال: «**لَوْلا أَنْ لا تَدافَنُوا لَسَأَلْتُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَهْلِ القُبُورِ مَا أَسْمَعَنِي**».

وَفِي رِوَايَة لأَحْمَد أَيْضًا، عنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَسُول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَىٰ بَغلَتِه الشَّهْبَاء بِحَائطٍ لِبَني النَّجَّارِ فَسَمِع أَصْواتَ قَومٍ يُعذَّبُون فِي قُبورِهم، فَحَاصَتِ البَغْلَةُ، فقَال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَولا أَنْ لا تَدَافَنُوا لَسَأَلْتُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُسْمِعَكُم عَذَابَ القَبْرِ**». [وَرَوَاه الإِمَامُ أَحْمَد أَيْضًا بِنحوهِ مِن عِدَّة طُرُق كُلُّها صِحَاح][1].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٠٣، ١١١) (١٢٠٢٦، ١٢١١٧)، ومسلم (٢٨٦٨)، وأبو داود (٤٧٥١)، والنسائي (٢٠٥٨)، وابن حبان (٧/ ٣٩٦) (٣١٢٦)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وروىٰ الإمَامُ أحْمَد أيْضًا بإسْنَاد صَحِيحٍ، عَن جَابِر بن عبد اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: دَخَل النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يومًا نَخلًا لِبَني النَّجَّار فَسَمعَ أصْوَات رِجَال مِن بَنِي النَّجَّار مَاتُوا فِي الجَاهِلِيَّة يُعذَّبُون فِي قُبورِهم، فَخَرج رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فزِعًا، فَأَمر أصْحَابَه «**أَنْ يَتَعَوَّذُوا مِنْ عَذَابِ القَبْرِ**». [وَرَوَاه البَزَّار بِنَحوِه](١).

وَرَوىٰ الإمَامُ أحْمَد أيْضًا وَمُسلِمٌ، عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْري، عَن زَيد بن ثَابت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَعَن أَبِي سَعِيد قَال: «كُنَّا مَع رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي حَائِطٍ مِن حِيطانِ المَدِينَة فِيه أَقْبُرٌ، وَهُو عَلىٰ بَغْلَتِه فَحَادَت بِهِ وَكَادتْ أَن تُلْقِيَه، فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الأَقْبُرِ؟**» فَقَالَ رَجلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، قُومٌ هَلَكوا فِي الجَاهِلِيَّة، فَقال: «**لَولا أَن لَا تَدَافَنُوا لَدعَوْتُ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **أَنْ يُسمِعَكُمْ عَذَابَ القَبْرِ**». الحديث. [وَهذَا لَفظُ أحْمد وإسْنَادُه صَحيحٌ](٢).

وَرَوىٰ الإمَامُ أحْمَد أيْضًا بِإسنَاد صَحيحٍ، عَن أَنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «بَينَما نَبِيُّ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي نَخلٍ لَنا لِأَبِي طَلحَة يَتبرَّز لِحَاجتِهِ قَال: وَبلالٌ يَمشِي وَراءَه يُكرِمُ نَبِّي اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَنْ يَمْشِي إِلىٰ جَنبِه، فَمَرَّ نَبيُّ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بِقبرٍ

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٩٥) (١٤١٨٥)، والبزار في «مسنده» (١/ ٤١٢) (٨٧١) كشف، وغيرهما من حديث جابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٩٠) (٢١٧٠١)، ومسلم (٢٨٦٧)، وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

فَقَام حتَّىٰ لَمَّ إِليهِ بِلالٌ فَقالَ: «**وَيْحَكَ يَا بِلَالُ! هَلْ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟**» قَالَ: مَا أسْمَع شَيئًا، قَال: «**صَاحبُ القَبر يُعذَّبُ**»، قَال: فَسُئِل عَنهُ فَوُجِد يَهوديًّا». [وقَد رَوَاه البيهَقِي فِي كتَاب «**إثْبَات عَذاب القَبر**» بنحوه](١).

وَرَوىٰ الإمَام أحْمَد أيْضًا والبُخَاري ومُسلِم والنَّسَائي وابْنِ حِبَّان في «**صَحيحِه**» والطَّبَراني فِي «**الكَبير**»، عَنِ البرَاء بن عازِبِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَن أَبِي أيُّوب الأنْصارِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: «خَرجَ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بعْدَما غَربتِ الشَّمْسُ فَسَمِع صَوْتًا فَقَال: «**يَهُودٌ تُعذَّب فِي قُبُورِهَا**».

وفِي رِوَاية للطَّبَرانِي عَن البَرَاء بن عَازِب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، عَن أبِي أيُّوب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قالَ: خَرجتُ مَع رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ غَربتِ الشَّمْس أو اصْفرَّت للمَغِيبِ، ومَعِي كُوزٌ مِن مَاءٍ، فانْطَلَق رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِحَاجَتِه وقَعَدتُ أنْتَظِرُه حتَّىٰ جَاءَ فوضَّأتُه فقال: «**يَا أَبَا أَيُّوب، أَتسْمَعُ مَا أَسْمَعُ؟**»، قُلتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**أَسْمَعُ أَصْوَاتَ اليَهُودِ يُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ**». [فِي إسْنَاد هَذه الرِّوايَة ضَعفٌ، وَلكنَّ الرِّوايَة الصَّحِيحة قَبلَها تُؤيِّدها وَتَشهَدُ لَها](٢).

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥١) (١٢٥٥٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (٩٤) من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. قال الأرنؤوط: «إسناده صحيح».

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٤١٧) (٢٣٥٨٦)، والبخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩)، والنسائي (٢٠٥٩)، وابن حبان (٧/ ٣٩٤) (٣١٢٤)، والطبراني في «الكبير» (٤/ ١٢٠) (٣٨٥٧)، وغيرهم.

وروى الطَّبَرانِي أيْضًا فِي «**الأَوْسَط**» عَن أَبِي سَعيدٍ الخُدْرِي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «كُنتُ مَع رَسُولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فِي سَفرٍ وَهُو يَسيرُ عَلَىٰ رَاحِلتهِ فنفرَتْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا شَأنُ رَاحِلتِكَ نَفرَتْ؟ قَال: «**إِنَّهَا سَمِعَتْ صَوْتَ رَجُلٍ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ فَنَفرَتْ لِذَلِكَ**». [قَال الهَيْثَمِي: فِيه جَابِر الجُعْفِي وَفِيه كَلامٌ كَثيرٌ وَقد وُثِّقَ](١).

وَروىٰ الطَّبَرانِي أيْضًا فِي «**الكَبِير**»، عَن عبدِ اللهِ بن مَسْعُود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَن النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قَال: «**إِنَّ المَوتَىٰ لَيُعَذَّبُونَ فِي قُبُورِهِمْ حَتَّىٰ إِنَّ البَهَائِمَ تَسْمَعُ أَصْوَاتَهُم**». [قالَ الهَيثَمِي: إِسْنَادُه حَسَن](٢).

* * *

فصل

وأمَّا القِسْم الثَّانِي -وَهُو مَا اطَّلَع عَليهِ بَعضُ النَّاسِ مِن تَعذِيبِ الأمْوَاتِ- فهُوَ علىٰ قِسمَين:

الأوَّلُ: مَا رَأوهُ بالمُشَاهدَة.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٣٤٨) (٣٣٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٦).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٠٠) (١٠٤٥٩) من حديث ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وانظر: «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٦).

والثَّانِي: مَا سَمِعُوه مِن القُبُورِ.

وقَد جَاء فِي كُلٍّ مِن القِسمينِ قَصَصٌ كَثِيرة، وَسَأذْكُر مِنها مَا تَيَّسر إنْ شاءَ اللهُ تَعَالىٰ.

فَمِن قَصَص المُشَاهدَة: قَصَص الذِينَ لَفِظَتْهُم الأَرْضُ بَعدَما دُفِنوا، وَهِي خَمْس قَصَص:

الأُولَىٰ: قِصَّة الذِي ارْتدَّ عِن الإِسْلَام.

وَقدْ رَوَىٰ هذِه القِصَّة الإمَامُ أحْمَد والبُخَاري ومُسلِم والبَيهَقِي فِي «**دلائِل النُّبُوَّة**»، عَن أنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: «كانَ مِنَّا رَجلٌ مِن بَنِي النَّجَّار قَد قَرأَ البَقرَة وَآلَ عِمرَان، وكَانَ يَكتُبُ لِرسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، فَانْطَلَق هَاربًا حتَّىٰ لحِقَ بأهْلِ الكِتَاب، قالَ: فَرفعُوه وقَالوا: هَذا كَان يَكتُبُ لِمحمَّد وأُعْجِبوا بهِ، فمَا لَبِث أنْ قَصَم اللهُ عُنقهُ فِيهم، فحَفَروا لَه فوارَوْهُ، فأصْبَحتِ الأَرْضُ قَد نَبَذَتْه علىٰ وَجهِهَا، ثُمَّ عَادوا فَحفَروا لَهُ فَوارَوْهُ، فَأصبحَتِ الأَرْضُ قَد نَبَذَتْه علىٰ وَجْهِهَا، ثَمَّ عَادُوا فَحفروا لَه فَوارَوْهُ، فَأصْبحَتِ الأَرْض قَد نَبذَتهُ علىٰ وَجهِهَا، فَترَكُوه مَنبُوذًا». [هذا لفْظُ أحْمَد ومُسْلم].

ولفْظ البُخَاري قالَ: «كَان رَجلٌ نَصْرَانِيًّا فَأسْلَم وَقَرأ البَقرَة وَآلَ عِمرانَ، فَكانَ يكتُبُ للنَّبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فَعاد نَصرَانِيًّا، فَكان يَقُول: مَا يَدرِي مُحمد إلا مَا كَتَبتُ لَه، فَأماتَهُ اللهُ فَدفنُوهُ، فَأصبَحَ وَقدْ لَفظَتهُ الأَرْضُ، فَقالوا: هَذا فِعلُ

مُحمَّد وأصَحَابُه لمَّا هَرَب مِنهُم نبَشوا عَن صَاحِبنا، فَألقَوا فَحفَروا له فَأعمَقُوا فَأصْبح وقَد لَفِظَتْه الأَرضُ، فقالُوا: هَذا فِعلُ مُحمَّدٍ وَأصْحَابه نبَشوا عَن صَاحِبنَا لَمَّا هَرَب مِنهُم، فألقَوه خارجَ القَبرِ فَحَفروا له وأعْمَقُوا لَه فِي الأرْضِ مَا اسْتطاعُوا فَأصبَح قَد لَفِظَتْه الأرضُ، فَعلمُوا أنَّه لَيس مِن النَّاس فَألْقَوْه».

وفِي رِوَايَة البَيهَقي: «فعَلِمُوا أنَّه لَيسَ مِنَ النَّاس، وأَنَّه مِن اللهِ عَزَّوَجَلَّ». ثم قال البيهقي: «ورواه حُمَيد الطَّوِيل، عن أَنَس بن مَالِك بِمعْنَاه يَزِيد وَيَنقُص. ومما زَادَ: فقال نَبِي اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيهِوَسَلَّمَ: «**لَا تَقبَلُهُ الأَرْضُ**»، فَذَكر أنَّ أَبَا طَلحَة أَتَىٰ الأَرْضَ التِي مَات فِيهَا فَوجَدَه مَنبُوذًا، فقالَ: مَا بَالُ هَذا؟ قَالُوا: دفَنَّاه مِرارًا، فَلم تَقْبَلْهُ الأرْض».

[وقَد أخْرَج البَيهَقِي هَذه الرِّوَاية فِي كِتَابِهِ «**إثْبَات عَذابِ القَبْر**»، مِن حَديثِ حُميد الطَّوِيل، عنْ أَنَس بن مَالك رَضِيَٱللَّهُعَنهُ، فَذَكر الحَديث بِنحْو مَا فِي هَذهِ الرِّوَاية الأَخِيرَة][(١)].

القِصَّة الثَّانِيَة: قِصةُ الرَّجُل الذِي قَتَل رَجُلًا بَعدَما قَال: أَشْهَد أَن لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ إِنِّي مُسلِم.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٢٢٢) (١٣٣٤٨)، والبخاري (٣٦١٧)، ومسلم (٢٧٨١)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٢٦)، وفي «إثبات عذاب القبر» (٥٣)، وغيرهم من حديث أنس رَضِيَٱللَّهُعَنهُ.

وقَد رَوىٰ هَذه القِصَّةَ الإمَامُ أحْمَد وابْن مَاجَه والبيهَقِي فِي «**دَلائل النُّبُوَّة**»، عَن عِمرَان بن حُصَين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قالَ: شَهِدتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وَقَد بَعَث جَيشًا مِنَ المُسلِمِين إلَىٰ المُشرِكِينَ، فَلَمَّا لَقُوهُم قَاتَلُوهم قِتَالًا شَديدًا فَمَنَحُوهم أَكتَافَهم، فَحَمل رَجُلٌ مِن لُحْمتي[1] عَلىٰ رَجُلٍ مِنَ المُشْرِكين بِالرُّمْح فلمَّا غَشِيه قَال: أَشهَدُ أَنْ لَا إِلهَ إلا اللهُ، إِنِّي مُسلِم، فطَعنَه فقَتلَه، فَأتَىٰ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقَال: يَا رَسولَ اللهَ، هَلكتُ، قَال: «**وَمَا الذِي صَنعْتَ؟**» مرَّة أو مَرَّتَين.

فَأخْبَره بِالذِي صَنَع، فقَالَ لَه رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**فَهلَّا شَقَقْتَ عَن بطْنِه فعَلِمتَ مَا فِي قَلبِه؟!**»، قَال: يَا رَسُول اللهِ، لَو شَقَقتُ بَطنَه لَكُنتُ أعْلَمُ مَا فِي قَلبِه، قَال: «**فَلا أَنْتَ قَبِلْتَ مَا تَكلَّمَ بِهِ وَلَا أَنْتَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِهِ**»، قَالَ: فَسَكَت عَنهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَلَم يَلبَثْ إلَّا يَسيرًا حَتَّىٰ مَات فَدَفَنَّاه فَأصْبَح عَلىٰ ظَهر الأرْض. فَقَالوا: لَعَلَّ عَدوًا نَبَشه، فَدفنَّاه، ثُمَّ أَمَرنَا غِلمَانًا لَنَا يَحرُسُونَه، فأصْبَح عَلىٰ ظَهرِ الأرْضِ، فقلْنا: لَعَلَّ الغِلْمانَ نَعِسُوا، فَدَفَنَّاه ثُمَّ حَرَسْنَاه بِأنْفسِنا فَأصْبَح عَلىٰ ظَهرِ الأرْضِ، فألقَينَاه فِي بَعضِ تِلكَ الشِّعَاب».

[هذا لفظ ابن ماجه. وَزَاد فِي رِوَاية لَهُ أخْرَىٰ: «فَنَبذتهُ الأرْضُ فَأُخبِر النَّبيُّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَقَالَ: «**إِنَّ الأَرْضَ لَتَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْهُ، وَلَكِنَّ اللهَ أَحَبَّ أَنْ يُرِيكُم**

---

(١) قال الجوهري، وصاحب «لسان العرب»: اللُّحمة -بالضم-: القرابة. انظر: «اللسان» (١٢/ ٥٣٨).

تَعْظِيمَ حُرْمَةِ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ». قالَ في الزَّوائِد: إِسْنَاده حَسنٌ][١].

القِصَّة الثَّالِثَة: قِصَّة مُحلِّم بن جَثَّامة اللَّيْثِي مَع عَامر بن الأضْبَط.

وقدْ رَوىٰ هَذه القِصَّة ابن جَرير فِي «**تفْسِيرِه**»، عَن ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَال: «بَعَث النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ مُحلِّم بن جثامة مَبْعثًا، فَلَقِيَهم عَامرُ بن الأضْبَط فَحَيَّاهُم بِتحِيَّة الإسْلامِ، وكَانتْ بَينَهُم إِحْنَة[٢] فِي الجَاهلِيَّة، فَرماه مُحلِّم بِسَهْم فَقَتلَه، فَجاءَ الخَبَر إِلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فتكلَّم فِيه عُيينَة والأقْرَع، فَقالَ الأقْرعُ: يَا رسُولَ الله، سُنَّ اليوم وغَيِّر غدًا، فَقالَ عُيينَة: لَا وَاللهِ حَتَّىٰ تَذُوق نِساؤُه مِن الثُّكْل مَا ذَاقَ نِسَائي. فجَاء مُحلِّم فِي بُردَين فَجَلس بَينَ يَدي رَسُول اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لِيستَغْفِر لَهُ، فقَال لَه النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**لا غَفَرَ اللهُ لَكَ**».

فَقَام هُو يَتلَقَّىٰ دُموعَه بِبُردَيهِ، فَما مَضتْ بِه سَابِعة حتَّىٰ مَاتَ وَدفَنُوه، فَلفِظَته الأرْض، فَجاءُوا إِلَىٰ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فَذكروا ذَلِك لَه فَقَال: «**إِنَّ الأَرْض تَقبَلُ مَن هُوَ شَرٌّ مِن صَاحِبِكم، وَلَكِنَّ الله عَزَّوَجَلَّ أَرَادَ أَنْ يَعِظَكُمْ**»، ثُمَّ طَرَحُوه بَينَ صَدَفي جَبَل وَألقَوا عليهِ مِن الحِجَارة، وَنَزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ [النساء: ٩٤] الآيَة».

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣٨) (١٩٩٥١)، وابن ماجه (٣٩٣٠)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٧/ ١٢٧)، وغيرهم. قال الأرنؤوط: «إسناده ضعيف».

(٢) قال أهل اللغة: الإحنة الحقد وإضمار العداوة. انظر: «اللسان» (١٣/ ٨).

وقال ابن إسْحَاق: حدَّثَني مَن لا أَتَّهِم عَن الحَسَن البَصرِي قَال: «قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ حِينَ جَلس بَينَ يَدَيهِ: «**أَمَّنْتَهُ بِاللهِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ!**»، ثُمَّ قَال لَه المَقَالة التِي قَال. قَالَ: فَواللهِ مَا مَكَثَ مُحلِّم بن جَثَّامة إِلَّا سَبْعًا حتَّىٰ مَاتَ فلَفِظَتْهُ -وَالذِي نَفسُ الحَسنِ بِيدِهِ- الأرْضُ، ثُمَّ عَادُوا لَه فَلَفِظَتْه الأرْضُ. ثُمَّ عَادوا لَه فَلَفِظتْهُ الأرْضُ. فلَمَّا غُلِب قَومُه عَمَدُوا إِلَىٰ صُدَّين[1] فَسطَّحُوه بينَهُما ثُمَّ رَضموا عَليه الحِجَارة حتَّىٰ وَارَوه.

قَال: فَبَلغ رَسُولَ اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ شَأنُه فَقال: «**وَاللهِ إِنَّ الأَرْضَ لَتطَّابق عَلىٰ مَن هُوَ شَرٌّ مِنهُ، وَلَكنَّ اللهَ أَرَادَ أَنْ يَعِظَكُم فِي حُرَم مَا بَيْنَكُمْ بِمَا أَرَاكُمْ مِنْهُ**»[2].

القِصَّة الرَّابِعة: ذَكَرها البَيهَقِي فِي «**دَلائِل النُّبُوة**»، مِن حَديثِ أُسامَة بن زَيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: «قَالَ رَسُول اللهِ صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»، وَذَلِك أَنَّه بَعَث رَجُلًا فَكَذب عَليهِ فَدَعا عَليهِ رَسُولُ الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فَوُجِد مَيتًا قَد انْشَقَّ بَطنُه وَلَمْ تَقبَلْهُ الأرْضُ»[3].

---

(١) قال أهل اللغة: الصَّدُّ والصُّدُّ: الجبل، والصُّدَّان: الجبلان. انظر: «تاج العروس» (٨/ ٢٦٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «تفسيرِه» (٧/ ٣٥٣) وإسناده ضعيف، فيه سفيان بن وكيع ضعيف، ومحمد بن إسحاق بن يسار صدوق يدلس، ولم يصرح بالتحديث.

(٣) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٦/ ٢٤٥) من حديث أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وفي

القِصَّة الخَامِسة: ذَكَرها ابن عذاري المَرَاكِشي فِي صفحة (٢٨٤ - ٢٨٥) مِنَ الجُزْء الأوَّل منْ كِتابهِ المُسمَّىٰ بـ«**البَيَان المُغرب فِي أخْبَار الأنْدَلُس والمَغْرب**»(١): «فَقَد ذَكر أنَّ الحَجَر الأسْوَد أرْسَله اللَّعِين الجِنَابي إلَىٰ عُبيدِ اللهِ الذِي تسَمَّىٰ بِالمَهدي. أرْسَله إلَيهِ بِالمَهدِيَّة، فَلم يَلبَث عُبيدُ اللهِ إلا أيَّامًا وَهَلك، فلمَّا دُفِن طَرحَتْه الأرْضُ، ثُمَّ دُفنَ فَطرحَتْه الأرْضُ -ثلاثًا- فَقِيل لابْنه أبِي القَاسِم: إنَّ هذا لأجل هَذا الحَجَر فَارْدُدْه حَيثُ كَان، فَأمرَ بإخْرَاجهِ وردَّه إلَىٰ مَوضِعه فَعندَ ذلِك اسْتقرَّ عُبيد اللهِ فِي قبْره»؛ انتهىٰ.

وَمِن قَصَص المُشاهدة للمُعَذَّبين: مَا ذكَره ابن أبِي الدُّنيا فِي «**كِتَاب القُبُور**»، عَن الشَّعْبي: أنَّ رَجُلًا قَال للنَّبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنِّي مَررْتُ بِبَدرٍ فرَأيتُ رَجُلًا يَخْرج مِن الأرْضِ فيضرِبُه رَجُلٌ بِمقْمَعةٍ مَعهُ حتَّىٰ يَغيبَ فِي الأرْضِ، ثُم يَخرُج فيُفعَلُ بهِ مثلُ ذَلك. قَال ذَلكَ مِرارًا. فقَال رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ذَاكَ أَبُو جَهْلِ بن هِشَام يُعَذَّبُ إلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**».

[وقَد رَوَاه البَيهَقي في «**دَلائل النُّبُوة**» مِن طَريق ابن أبِي الدُّنْيا.

وَرَوىٰ الأُمَوي فِي «مَغَازيهِ» عَن أَبِيه قال: حدَّثَنا المُجَالد بن سَعِيد، عَن عَامِر -يَعنِي الشَّعْبي- قالَ: جَاءَ رَجُلٌ إلَىٰ رَسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقَال: إنِّي

=

إسناده الوازع بن نافع متروك الحديث. انظر: «لسان الميزان» (٨/ ٣٦٧).

(١) (١/ ٢٨٤).

رأيْتُ رَجُلًا جَالسًا فِي بَدرٍ وَرَجلٌ يَضرِبُ رَأسهُ بِعَمودٍ مِن حَديدٍ حَتَّىٰ يَغيبَ فِي الأرْضِ، فقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ذَاكَ أَبُو جَهْل، وُكِّلَ بِهِ مَلَكٌ يَفْعَلُ بِهِ كُلَّمَا خَرَجَ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِيهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»](١).

وَرَوىٰ الطَّبَرانِي فِي «**الأَوسَط**»، عَن ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا قالَ: بَينَا أَسيرُ بِجنبَاتِ بَدرٍ إذْ خَرَج رَجلٌ مِن حُفْرَةٍ فِي عُنُقِه سِلسِلَة فَنادانِي: يَا عَبد اللهِ، اسْقِنِي، فَلا أَدْرِي أَعرَف اسْمِي أو دَعَاني بِدِعَايَة العَرَب، وخَرَج رَجُل فِي ذَلك الحَفِير فِي يَدِه سَوط فَنَادَاني: لَا تُسقِهِ فَإِنَّه كَافرٌ، ثُمَّ ضَربهُ بِالسوْطِ حتَّىٰ عادَ إِلَىٰ حُفرَته؛ فَأتيتُ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مُسْرعًا فَأخبرْتُه فَقَال لِي: «**أَوَقَدْ رَأَيته؟**»، قُلتُ: نَعم، قَال: «**ذَاكَ عَدُوُّ اللهِ أَبُو جَهلِ بن هِشَام، وَذَاكَ عذَابُهُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**». [وَقَدْ رَوَاهُ اللالكائي فِي «**شرْح السُّنَّة**» بِنَحوِه](٢).

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره البَيهَقي فِي «**دَلائِل النُّبُوَّة**»، عن الوَاقِدِي قَال: كَان ابن عُمرَ رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا يَقُول: «مَاتَ أُبَي بن خَلف بِبِطنِ رَابغ،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٢)، ومن طريقه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٨٩)، وغيرهما، وفي إسناده مجالد بن سعيد ضعيف. وانظر: «البداية والنهاية» (٣/ ٢٩٠) لابن كثير.

(٢) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٣٥) (٦٥٦٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٤) (٢١٤٨)، وغيرهما من حديث ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا. وفي إسناده عبد الله بن محمد بن المغيرة متروك.

فَإِنِّي لأَسِير بِبطْنِ رَابغٍ بَعْد هَوِيٍّ مِن الليلِ إذَا نَارٌ تَأَجَّجُ فَهِبْتُها، وإذَا رَجُلٌ يَخرُج مِنهَا فِي سِلسِلَة يِجتَذِبُها يَصِيح: العَطَش، وَإِذا رَجلٌ يَقُول: لَا تُسْقِه، فَإِنَّ هَذا قَتِيل رَسُول اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذا أُبي بن خَلَف»(١).

وَمِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا روَاه ابن أَبِي الدُّنْيا فِي كِتابِ «**مَن عَاش بَعْد المَوْت**»، عَن الحُوَيْرِث بن الرِّئَاب قالَ: «بَينَا أَنَا بِالأَثَايَة إِذْ خَرجَ عَلينَا إِنسانٌ مِن قَبرٍ يَلتهِبُ وَجهُه وَرأسُهُ نَارًا وهُو فِي جَامعَةٍ مِن حَديدٍ، فقَالَ: اسْقِني اسْقِني مِن الإدَاوَة، وَخَرج إنْسانٌ فِي أثَرِه فَقال: لا تُسقِ الكَافِرَ لا تُسْقِ الكَافِرِ، فَأدْركه وأخَذَ بِطرفِ السِّلسِلَة فَجذبه إلَيهِ فكبَّه، ثُمَّ جرَّه حتَّىٰ دَخلا القَبر جَميعًا.

قالَ الحُويرثُ: فَضَربتْ بِيَ النَّاقةُ لَا أقْدِر مِنهَا عَلىٰ شِيءٍ حتَّىٰ التَوَتْ بِعِرق الظبية فَبركَت، فَنَزَلْتُ فصلَّيتُ المَغربَ والعشَاءَ ثُمَّ رَكبتُ حَتَّىٰ أصبَحتُ بِالمدِينةِ، فأتَيتُ عُمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فأخْبَرته فقال: يَا حُويرِثُ، واللهِ مَا أَتَّهِمكَ، ولَقد أخْبرتنِي خَبرًا شَديدًا.

ثُمَّ أرسَل عُمرُ إلىٰ مَشيَخةٍ مِن كنفي الصَّفْراء قَد أدْركوا الجَاهِلِية، فَقَال: إنَّ هذا أخْبَرَني حَديثًا وَلستُ أَتَّهمه. حدِّثهم يَا حويرث مَا حدَّثْتَنِي.

فَحدَّثهم فَقَالوا: قَد عَرفنا هذا يَا أَمِيرَ المُؤمنين. هَذا رجُل مِن بَني غِفَار

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٥٩) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا. وفيه الواقدي، تقدم بيان حاله.

مَات فِي الجَاهِليَّة، فَحَمَد اللهَ عُمرُ وسُرَّ بِذلكَ؛ حَيثُ أخْبروه أنَّه مَات فِي الجَاهليَّة، ثُمَّ سَألهُم عنه فَقَالوا: كَان رَجُلًا مِن رِجَال الجَاهلية وَلَمْ يَكن يَرَىٰ للضَّيفِ حَقًّا». [قالَ الحَافظُ ابن حَجر فِي «**الإصَابة**»: الحُويْرِث بن الرِّئَاب لَه إدْراكٌ وجَرَت لَه قِصَّة مَع عُمر تَقتَضي أنَّه كَان فِي زَمانِه رَجُلًا مَقبولَ القَول. ثُمَّ ساقَ ابن حَجَر هَذهِ القِصَّة فِي تَرجمتِه][(١)].

وَمِن القَصَص فِي هَذا البَابِ أيضًا: مَا رَوَاه ابن أَبِي الدُّنيا، عَن هِشَام بن عُرْوة، عَن أبِيهِ قَال: «بَينَما رَاكبٌ يَسيرُ بَينَ مكَّة والمَدينَة إذْ مَرَّ بمَقبَرةٍ، فَإذا بِرجلٍ قَد خَرَجَ مِن قَبر يَلتَهبُ نَارًا مُصَفدًا فِي الحَديدِ فَقَال: يَا عبدَ اللهِ انْضَح، يَا عبدَ اللهِ انْضَح. قَال: وَخَرج آخرُ يَتلُوه فقَال: يَا عبدَ اللهِ لا تَنضَح، يَا عبدَ اللهِ لا تَنْضَح.

قَال: وغُشِي عَلىٰ الرَّاكِب وَعَدَلتْ بِه رَاحلَتُه إلِىٰ العرج. قَال: وَأصْبَح قَد ابْيَضَّ شَعرُه، فَأخْبر عُثمانَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بِذلكَ، فنَهىٰ أنْ يُسَافر الرَّجُل وحْدَه». [وَقد ذَكَر هذِه القِصَّة العَلامَة ابن القَيِّم فِي كِتابِ «**الرُّوح**» وَذَكر نَحوَها عَن ابن عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا][(٢)].

وَمِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه هِشَام بن عَمَّار فِي كِتَاب «**البَعثِ**»، عَن يَحيَىٰ بن حَمْزة قالَ: حدَّثني النُّعمَان، عَن مكْحُول: «أنَّ رَجُلًا

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١١٤)، وانظر: «الإصابة» (٢/ ١٥٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٣)، وانظر كتاب«الروح» (ص٦٧).

أَتَىٰ عُمَر بن الخطَّاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَقَد ابْيَضَّ نِصفُ رَأْسِه ونِصفُ لِحيَتِهِ، فقَال لَه عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: مَا بَالُك؟ فقَال: مَرَرتُ بِمقْبَرة بَني فُلانٍ ليلًا فَإذا رَجلٌ يَطلبُ رَجلًا بِسوطٍ مِن نَارٍ، كُلمَا لَحِقه ضَربهُ فاشْتَعل مَا بَين قَرنِه إِلىٰ قَدمِه نَارًا، فَلاذَ بِي الرَّجلُ وَقال: يَا عبدَ اللهِ أغِثنِي، فَقال الطَّالِب: يَا عبدَ اللهِ لا تُغِثه فَبئس عبدُ اللهِ هُو. فقَال عُمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لَذلِكَ كَرِهَ لَكمْ نَبيُّكم صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أنْ يُسافِرَ أحدُكمْ وحْدَه».

[ذَكَر هذِه القِصَّة ابن رَجب فِي كتابِ «**أهْوال القُبُور**»](١).

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا روَاه ابن أَبِي الدُّنيَا فِي كِتاب «**مَن عَاش بَعْد المَوْت**»، عنْ مُجَاهد قَال: «أَرَدْتُ حَاجةً فَبينَما أنَا فِي الطَّرِيق إذْ فَجَأَني حِمارٌ، قَد أخْرجَ عُنقَهُ مِن الأرضِ فَنَهَقَ فِي وَجهِي ثَلاثًا ثُم دَخلَ، فأتيتُ القَومَ الذِينَ أرَدتُهم فَقالوا: مَا لنَا نَرىٰ لَونَك قَد حَال؟ فَأخْبَرتُهم الخَبَر، فقالوا: ذَلكَ غُلامٌ مِن الحَي، وتِلكَ أمُّه فِي ذَلكَ الخِبَاء، وَكانتْ إذا أمَرَتْه بِشيءٍ شَتَمها، وَقال: مَا أنْتِ إلا حِمار ثمَّ نَهَقَ فِي وَجهِهَا وقَال: هَا ها ها، فَماتَ يَوم مَات فَدفنَّاه فِي ذَلكَ الحَفيرِ، فَما مِن يَوم إلا وَهُو يُخرِج رَأسَه فِي الوَقت الذِي دفنَّاه فِيه فَينْهَق إلَىٰ نَاحِية الخِبَاء ثَلاث مَرَّات ثُم يدخُل»(٢).

---

(١) كذا عزاه صاحب «كنز العمال» (٦/ ٧٢٨) (١٧٥٩٩). وانظر: «أهوال القبور» (ص٨٨) لابن رجب.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٢٧).

[وَرَوىٰ ابن أَبِي الدُّنيا أَيضًا قِصَّة تُشبِه هَذه القِصة. وسَيأتِي ذِكرُها مَع القَصصِ التِي سُمِعَت مِن الأمْواتِ الذِين يُعذَّبُون فِي قُبورهِم].

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكرَه الحَافظُ المُنذِري فِي كتَابه «**التَّرغيب والتَّرْهِيب**»[1]، فقد ذَكر فِي «**التَّرهِيب مِن عُقوق الوَالِدَين**»، عَن العَوَّام بن حَوشَب قَال: «نَـزلتُ مرَّة حَيًّا وَإلىٰ جَانبِ ذَلكَ الحَي مَقبرةٌ، فلمَّا كَان بَعدَ العَصرِ انْشقَّ مِنها قَبرٌ فَخرج رَجلٌ رأسُهُ رأسَ حِمارٍ وجَسدُه جَسدُ إنسَانٍ، فَنَهَق ثَلاث نَهَقَات ثُمَّ انْطبَق عَليهِ القَبرُ، فَإذا عَجوز تَغزِل شَعرًا أو صُوفًا، فقَالت امْرأةٌ: تَرىٰ تِلك العَجُوز؟ قُلت: مَا لَها؟ قَالتْ: تِلك أُمُّ هَذا، قُلتُ: وَما كَان قِصَّتُه؟

قَالتْ: كَان يَشربُ الخَمرَ فَإذا رَاح تَقولُ لهُ أمُّه: يَا بُنَي اتقِ اللهَ، إلَىٰ متَىٰ تَشرَبُ هَذه الخَمرَ، فيَقول لَها: إنَّما أَنتِ تَنهَقين كَما يَنهَق الحِمَار. قَالت: فَمَات بعدَ العَصرِ، قَالت: فَهُو يَنْشقُّ عَنهُ القَبرُ بَعد العَصرِ كُل يَومٍ فيَنهَقُ ثَلاثَ نَهَقات ثُمَّ يَنطَبقُ عَليهِ القَبر». [قَال المُنْذِري: رَواه الأَصْبَهَاني وغَيرُه. وقَالَ الأَصْبهَاني: حدَّث بِه أَبُو العبَّاس الأَصَمِّ إملاءً بِنيسَابور بِمشهَدٍ مِن الحُفَّاظ فَلم يُنكِرُوه].

قُلتُ: قَد رَوىٰ ابن أَبِي الدُّنيا هَذِه القِصَّة مُختَصَرة فِي كِتابِ «**مَن عَاش بَعدَ المَوْت**»، رَوَاها عَن العوَّام بن حَوشَب، عنْ عَبد اللهِ بن أَبِي الهُذَيل.

---

(١) (٣/ ٣٣٢)، وحسنه الألباني موقوفًا، انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٥١٧).

وَسَيأتِي -إنْ شَاءَ اللهُ تعَالىٰ- فِي الفَصْل الذِي بَعد هَذا الفَصلِ، قِصَّة شَبيهةُ بِهذهِ القِصةِ والتِي قَبلَها، إلا أنَّ الاطِّلاعَ عَليهَا كَان مِن بابِ السَّماع لا مِن بَاب المُشاهدَة، فَلذَلكَ لَم أذْكُرها فِي هذا المَوضِع.

ومِن القَصصِ فِي هذَا البابِ أيضًا: مَا ذكَره ابن القَيم رَحِمه اللهُ تَعالىٰ فِي كِتاب «**الرُّوح**»(١) قَال: «حدَّثني صَاحبُنَا أبُو عبدِ اللهِ مُحمَّد بن الرَّزِيز الحَرَّاني، أنَّه خَرج مِن دَارهِ بَعدَ العَصرِ بِآمِد إِلىٰ بُستَانٍ، قَال: فَلمَّا كانَ قبلَ غُروبِ الشَّمسِ تَوسَّطتُّ القُبُور فَإذا بِقبرٍ مِنهَا وَهو جَمرَة نَارٍ مِثل كِير الحَدَّاد والمَيِّت فِي وَسَطهِ، فَجعَلتُ أمْسَح عَينِي وأقُول: أنَائمٌ أنَا أمْ يَقظَان؟ ثُمَّ التَفتُّ إِلَىٰ سُور المَدينَة وقُلتُ: واللهِ مَا أنَا بنَائِم، ثُمَّ ذَهبتُ إِلَىٰ أهْلي وأنَا مَدهُوش فَأتَونِي بِطعامٍ فلَم أسْتَطعْ أنْ آكُل، ثُمَّ دخلْتُ البَلدَ فَسألتُ عَن صَاحبِ القَبرِ فَإذا بِهِ مَكَّاس قَد تُوُفِّي ذَلكَ اليَوم».

قالَ ابنُ القَيم رَحِمه اللهُ تعَالَىٰ: «رُؤيَة هَذهِ النَّار كَرؤيَةِ المَلائِكةِ وَالجِنِّ تقَعُ أحيانًا لِمَن شَاء اللهُ أنْ يُريَهُ ذلك»؛ انتهىٰ.

ومنَ القَصَص فِي هَذا البَاب: مَا حدَّثَنا بِه الثِّقَة مِن إخْوَاننا فِي اللهِ -وَكان رَئيسًا لِديوَان الرَّسَائل عِند المَلكِ سُعود بن عبْدِ العَزيزِ آل سُعُود- قال: «أرْسَلَني المَلِكُ سُعود بِصدَقَات إِلَىٰ بَعضِ قُرىٰ البَادِيَة فِي أعَالي نَجد. قَال:

---

(١) (ص٦٦).

فَبينَمَا نَحنُ فِي قَريَة الدَّاثِ وَقد قَرُبَ غُروبُ الشَّمسِ إذْ ارْتَفَعت نَارٌ مِن بَعيدٍ، فَسألتُ الحَاضرينَ عنْهَا فَقالوا: هذهِ النَّار تَرتَفعُ فَوقَ قَبر شَابٍّ مِن أهلِ الدَّاث. قال: وأخبَروني أنَّ هَذه النَّار لا تَزالُ تُرىٰ كُل يَوم علىٰ قَبْره إِذَا اقْتربَ غُروبُ الشَّمسِ».

وَقد سَألتُ الثقة المُشَار إِليهِ عَن طُولِ النَّار فَقال: مِثل قَامة الرَّجل أو أطوَلَ. فَأمَّا أعْمالُ الشَّابِّ التِي قَد تكُون سَببًا فِي تَعذيبِه وَظُهور النَّار فَوق قَبره كُل يَوم، فَلم نَقِف عَلىٰ شَيء مِنْها. ولَعلَّه كَان مُصِرًّا علَىٰ كَبيرَةٍ مِن الكَبَائر إِلَىٰ حِين مَوتِه، والله أعلم.

ومِنَ القَصصِ فِي هَذا البابِ أيضًا: مَا حدَّثني بهِ الشَّيخ إسْمَاعيل بن مُحمَّد الأنْصاري قالَ: «كانَتْ عِندَنَا فِي صَحراء مَالِي مِن إفْرِيقيا امْرَأة نَشَزَت علىٰ زَوجِها وَمَاتتْ وهِي نَاشزٌ، فَكان يَظهرُ عَلىٰ قبْرِها نَارٌ عَظيمَةٌ فِي كُلِّ لَيلَة جُمُعَة، وكَانَت هذِه النَّار تُرىٰ مِن بَعيد، فَحَصل لأهْلِ تِلك النَّاحيةِ قَلقٌ عَظيمٌ مِن رُؤيَة تِلكَ النَّار، فَجاءَ أحَدُ المَشايخِ الكِبارِ مِنهُم إلَىٰ زَوجِ المَرأةِ وطَلبَ مِنهُ أنْ يَجعلَ زوجَتهُ فِي حِلٍّ مِن حَقِّه عَليهَا فَأبَىٰ، فأعطاه سِتَّ بَقرات فَأبىٰ وقال: لا أفْعل إلا بِشرْط أنْ تُعطِيَني مَع البَقرَات مُصحَفًا مَكتوبًا بِاليدِ.

وحَدَّد لذَلكَ مُدة يَسيرَة -وإنَّمَا قَال ذَلكَ عَلىٰ سَبيلِ التَّعجِيز- فَذَهب ذَلك الشَّيخُ إلَىٰ أُنَاس مِن طَلَبة العِلمِ وأعْطَاهم أوْرَاقًا يَكتُبونَ فِيها المُصحَف

فكَتَبوه قَبل مُضِي المُدَّة التِي حدَّدَها زَوجُ المَرأة. فأَعْطاهُ الشَّيخ المُصحفَ وَسِتَّ بَقرات، فَعفا عَن زَوجَته وجَعلها فِي حِلٍّ مِن حَقِّه علَيها، وإِنَّما فَعل ذَلكَ حَياءً مِن الشَّيخ وتَكْرُمَة لَه».

قَال الشَّيخ إسْمَاعيلُ: فَلم تُرَ تِلك النَّار بَعد ذَلكَ. وقَد أَخْبَرنِي الشَّيخُ إسْماعيلُ أَنَّه قَد رَأىٰ تِلك النَّار.

ومن القصَصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا حدَّثَني بِه الثِّقة صَالح بن مُحمَّد المُقَيطِيب: «أَنَّه خَرج إلَىٰ المَقبَرة الكَبيرَة فِي مدِينةِ الرِّياض -وَهيَ التِي تُسمَّىٰ مَقبَرة العُود- وَذلكَ فِي يومِ الجُمُعة المُوافقِ لليَومِ السَّابع عشَرَ مِن شَهرِ المُحرَّم مِن سَنةِ اثْنَتَينِ وتِسعِين وثَلاثمِائة وَألفٍ مِن الهِجرة. خَرج إلَيها بَعد صَلاة الجُمُعة بِقليل لِيزورَ بَعض المَيِّتينَ مِن أَقَارِبه وأَصْحَابه.

قال: فَبينَما أنا فِي المَقبَرة إذْ جَاء أَهْل سَيارة مَعَهم امْرَأة مَيِّتة، قَال: فأَعنْتُهم عَلىٰ دَفنِها، فلَمَّا أَهَلْنَا التُّرابَ فِي القَبرِ وَبَقيَ قَدرُ أَربعِ أَصَابعَ عَن مُساواة تُراب القَبر بِالأرضِ قالَ أَبُو المَرأة المَيِّتة -وَكان شَيخًا كَبِيرًا-: لَقد سَقَطت مِنِّي مَفاتيحُ الصُّندُوقِ التَّجُوري[1] وَمَعها دَرَاهم كَثيرة، ثُمَّ جعَل يَنبِش تُرابَ القَبر قَال: وَكانَ الذينَ معَهُ لا خَيرَ فِيهم، فَقد تَنحَّوا عَنهُ ولَمْ يُعينُوه، فلَمَّا رأَيت ذَلكَ مِنهم جَعلتُ أعِينُه عَلىٰ نبْشِ التُّراب وإِخْرَاجُه مِن القَبر، وكلما أخرجنا قليلًا منَ

(١) هو الصندوق المُعدُّ لحفظ الدراهم.

التُّرابِ فَتَّشناهُ حتَّىٰ فرَغْنا مِن تُرابِ القَبر ولمْ نَجد المَفاتِيحَ وَلا الدَّرَاهم، ولمَّا لَم يَبقَ سِوىٰ اللَّحد خَرَجتُ مِن القَبر لأذْهب إلَىٰ زِيارَة بَعضِ القُبور.

وكُنت قَد تَأَذيتُ من رَائِحة وَالِدِ المَرأةِ حِين عَرَقَ مِن التَّعب فِي نَبشِ التُّراب وإخْرَاجه مِن القَبر؛ لأنَّه كَان يَشربُ الدُّخَان الخَبيثَ المُسَمَّىٰ بالجَراك، ففَاحتْ رَائحَتُه الخَبيثَة مِن فَمِهِ وتَأذَّيتُ مِنها فَخرجتُ عَنه.

ولمَّا ذَهبت عنْه بِقدر بَاعينِ أو نَحوهِما سَمعتُ صَوتًا يُشبهُ صَوت الحَجر إذَا رُمي بهِ فِي طِين لَيِّن. وتَلا هَذا الصَّوتَ صَرخةٌ عظِيمةٌ مِن الرَّجل، فَرجعتُ إليْه فَإذا هُو قَد سَقَط فِي القَبر مُستَلقيًا علَىٰ قَفاه، رَأسُه إلَىٰ جِهة الجَنوبِ ورِجلاهُ إلِىٰ جِهة الشَّمَال، وَهُو يَفرُك رَقبتَه وَنحرَه بِيدَيه وَيصيحُ ويقولُ: أطفِئُوا عَنِّي النَّار.

قَال: فأخَذتُ سَطلًا فيهِ ماءٌ فَصببْتُه عليهِ فَشَهَق شَهقةً ثُمَّ خَمَد بَعدَها، فأخْرَجناه مِن القَبرِ وهُو لا يَتحرَّك مِنه شَيءٌ، فلا أدْري أهُو مَيِّتٌ أمْ لا، فحَمله أصْحابُه عَلىٰ النَّعش فِي السَّيارة التِي جاءُوا فِيها بابْنَته وذَهبوا بِه إلَىٰ بَيتهِ، ولَم يَبقَ مَعي فِي المَقبرَة سِوىٰ اثْنَين مِن الذينَ جَاءُوا مَع المَيِّتة، أحدُهما شيْخٌ والآخرُ شابٌّ حَدَثٌ، فَرجَعنا إلَىٰ القَبر فَإذا أبُو المَرأةِ قَد أخَّر اللَّبنة التِي تَلي الرَّأس عَن مَوضِعها، فَنَزلت فِي القَبر لأرُدَّ اللَّبنةَ في مَوضعِها، فَإذا الكَفن الذِي فَوق رَأس المَرأةِ قَد اسودَّ حتَّىٰ صَار كالفَحم، وهذَا القَدرُ هو الذِي بَدا لِي مِن

الكَفن ولا أدْري عنْ حَال بَقية الكَفن لأنَّه مسْتور عنِّي باللبِن.

قال: وإذَا فِي اللَّحد مِمَّا يُقابل رَقبةَ المَرأةِ مِن جِهة القَفا خطَّان أزْرقانِ يَشوبُ زُرقتَهُما قَليلٌ منْ صُفرة، وعَرضُهما ومَا بَينَهما مِن الفَاصِل قَريبٌ مِن ثَلاث أصابِع. قال: فأصَابني رُعبٌ شديدٌ مِن هوْل مَا رأيْتُ، وبُلْتُ فِي ثِيابِي ولم أشْعُر بِذلك حتَّىٰ أحسَسْت بالبَولِ يَجري علَىٰ فَخذيَّ وساقيَّ.

قالَ: فَسوَّينا التُّراب عَلىٰ القَبر، وسَألتُ الرَّجلَ الكَبير عَن المَرأة الميِّتة وعَن أهْلها فأبَىٰ أنْ يُخبرَني، فأخَذتُ بِيد الشَّاب وذَهبت بهِ إلَىٰ نَاحيةٍ مِن المَقبَرة فَسألتُه فأخبَرَني أنَّ المَيِّتة عَمَّته، وَقال: إنَّها مُستَحقَّةٌ لِما أصَابَها مِن العذابِ، فَقُلت: مَا شأنُها؟ فَقال: إنَّها كَانت تَجلِس عِندَ التِلفزْيُون ولا تُصلِّي حتَّىٰ تنتَهي بَرامجُ التِّلفِزيون، وكَانتْ أمُّها تنهَاها عَن تَأخير الصَّلاة عَن وقْتها فلا تَنتَهي.

وَقد جَاءت أمُّها مرَّة وهِي قَد أخَّرت الصَّلاة عَن وقْتِها، فَضرَبت التلفزيون بِرجْلِها فَسَقط وانْكَسر مفْتَاحه، فَقامت إلىٰ أمِّها وهِي غَضبىٰ تخَاصمُهَا وتُؤنِّبُها علَىٰ مَا فعَلت، وأرَادت أنْ تَذهَبَ بِالتلفِزيُون إلَىٰ مَن يصْلِحه فَأخذَه أبُوها وذَهب بِهِ إلىٰ مَن أصْلَحه.

قال صَالح: **فَسألته**: هَل للمَيِّتة أوْلاد؟ فقَال: لا، إنَّها قَد تَزوَّجت وَطُلِّقت مُنذ أكْثر مِن سَنَة ولمْ تَتزوجْ بَعد ذلك. انتهىٰ ما حدثني به صالح.

وهَذِه المَرأة قَد جمَعت بَين ثَلاثَة أمُور مُحرَّمة:

أحدُها: التَّهاون بِالصلاة وتَأخيرُها عَن وقْتِها، وإيثار الحُضور عنْد آلَة اللَّهو عَليها.

والثَّاني: مَعصِية أمِّها فيمَا تأمُرُها بِهِ مِن أداءِ الصَّلاةِ فِي وقتْها.

والثَّالِث: اسْتِحلالِ المَلاهِي وتَقديمِها علىٰ طاعَةِ اللهِ تعالىٰ.

وقَد أصَاب العَذابَ أبَاها لأنَّه قَد أقَرَّها علَىٰ أفْعَالهَا السَّيِّئة وسَعىٰ فِي إصْلاح مَا فَسَد من آلَة اللَّهو التِي قدْ صدَّت ابنتَه عَن ذكْر اللهِ وعن الصَّلاة.

وأيْضًا، فإنَّه كانَ يشْربُ الدُّخانَ الخَبيثَ المُسمَّىٰ بالجراك، وهُو مِن المُسكرَات. ومَا أسْكر فَهو خَمر، وقَد رَوىٰ ابن حبَّان فِي «**صَحِيحه**» عَن ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَال: قَال رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**مَن لَقيَ اللهَ مُدمنَ خَمرٍ لَقيَه كَعَابِدِ وَثَن**»(١).

فلْيَعتَبر الذِين يَتَهاونونَ بِالصَّلاة ولا يُبالون بِتأخِيرِها عَن وَقتِها بِما حلَّ بهَذِه المَرأة مِن العَذابِ فِي قبرِها. وليَعتَبِر بِذلك الذِين يَستحِلُّون سَمَاع المَلاهي والعُكُوف عَلىٰ آلاتِ اللُّهو التِي تصدُّ عنْ ذِكر اللهِ وعن الصَّلاة، فَما العُقوبةُ من العَاصينَ بِبعيد.

وِمن القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا حدَّثني بهِ صَالح بن مُحمد

---

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٢/ ١٦٧) (٥٣٤٧) من حديث ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وصححه الألباني في «الصحيحه» (٦٧٧).

المُقيطِيب قَال: «لمَّا شَاعت قِصَّة المَرأةِ التِي عُذِّبت فِي قَبرها -بِما تقَدَّم ذِكرُه آنفًا- جَاء إليَّ رَجلٌ مِن البَاكسْتَانيينَ الذِين يَعملُون فِي إحْدىٰ المُؤسَّسات التِّجَارية فِي الرِّياض، فسَألنِي عنْ قِصَّة المَرأة، فأخْبرتُه بِها، فقَال: إنَّه قَد وقَع عِندنَا فِي البَاكسْتَان قِصَّة قَريبة مِن هذِه القِصَّة.

وهِي أنَّ أحَدَ التُّجَّار الكِبار مِن الشِّيعَة أوصَىٰ عنْد المَوت أنْ يُنقَل إلَىٰ النَّجف ويدُفْنَ فِيه، فَلمَّا مَات جَعلوه فِي تَابوت وَوضَعوا التَّابُوت فِي ظِلِّ شَجر فِي حَديقَة بَيتِه، ونَصَبوا حَولَه مُكيِّفات الهَواء وَوَجَّهُوها إلَىٰ التَّابوتِ لِكَي يَبقَىٰ المَيِّت عَلىٰ حَالِه إلَىٰ حِين مَجيءِ الطَّائِرة التِي تَنقِلُه إلَىٰ النَّجفِ، فَتأخر مجيء الطائرة أيامًا، ولمَّا جَاءت وَأرَادوا نَقلَه إلَيهَا كَشَفوا غِطَاء التَّابُوت لِينْظُروا إلَىٰ المَيِّت هَل تَغيَّر أمْ لا، فَخَرج مِن التَّابوتِ شُعلَةٌ مِن نَارٍ فأحْرَقتْ مَا فوقَها مِن أغْصانِ الشَّجر. وأمَّا المَيِّت فَإنَّهم وَجدُوه عَلىٰ حَاله التِي وضَعُوه علَيها».

قُلتُ: لَا شكَّ أنَّ المَيتَّ كَان يُعذَّبُ بالنَّار التِي خَرجتْ مِن تَابوتهِ وَإنْ كَان الأحْيَاء لَم يَروا لَها أَثَرًا فِيه، فَإنَّها مِن نَار الآخِرَة، ونَار الآخِرَة قَد لا يُحِس بِهَا أهْل الدُّنيا ولا يَرون لَها أثَرًا فِي الأمْوَات، وإنْ كَانتْ أشَدُّ حَرًّا مِن نَار الدُّنيا بأضعَافٍ مُضَاعفة.

وقَد قالَ ابن القَيِّم فِي كِتابِ «الرُّوح»(١): «إنَّ النَّار التِي فِي القَبرِ

---

(١) (ص٦٦).

والخُضْرة لَيستْ مِن نَارِ الدُّنْيَا وَلا مِن زُروع الدُّنيا فَيُشاهِده مَن شَاهد نَار الدُّنيا وخُضَرَها، وَهِي أَشَدُّ مِن نَار الدُّنيا فَلا يُحسُّ بِها أهْل الدُّنيَا، فَإنَّ اللهَ تَعالىٰ يُحْمي علَيهِ ذَلكَ التُّرابُ والحِجارةُ التِي عَليهِ وتَحتَه حتَّىٰ يَكون أعْظَم حَرًّا مِن جَمْر الدُّنيا وَلو مَسَّها أهلُ الدُّنيا لَم يُحسُّوا بذلك.

بَل أعْجَب مِن هَذا أنَّ الرَّجلينِ يُدفَنانِ أحدُهما إلَىٰ جَنبِ الآخَر، وهَذا فِي حُفرَةٍ مِن حُفرِ النَّار لا يَصِل حَرُّها إلَىٰ جَاره، وَذَلك فِي رَوضَة مِن رِياض الجَنَّة لا يَصِل رَوْحُها وَنعِيمُها إلَىٰ جَاره، وقَدرة الرَّبِّ تَعالىٰ أوْسَع وأعْجَب مِن ذلك.

وقدْ أرَانا اللهُ منْ آيَات قُدرتِه فِي هَذه الدَّار مَا هُو أعْجَب مِن ذَلكَ بِكثيرٍ، ولكنَّ النُّفوس مُولَعة بِالتَّكذِيب بِما لَم تُحطْ بِه عِلمًا إلا مَن وَفَّقه اللهُ وعَصَمه، فَيفرش الكَافر لَوحَان مِن نَار فَيشتَعِل عَليهِ قَبرُه بِهما كَما يَشتَعِلُ التَّنُّور، فَإذا شَاء اللهُ سُبحانه أنْ يُطلِع عَلىٰ ذَلك بَعض عَبيدِه أطْلَعه وَغَيَّبه عَن غَيرِه، إذْ لَو اطَّلعَ العِباد كُلُّهم لَزالتْ كَلمَة التَّكليفِ والإيمَان بِالغَيبِ، وَلَما تَدَافنَ النَّاس كَما فِي «الصحيحين»[(١)] عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ مَا أَسْمَعُ**».

ولَمَا كَانَتْ هَذِه الحِكْمَة مَنْفِيَّة فِي حَقِّ البَهَائِم سَمِعت ذَلك وأدْرَكته، كَما

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ عند البخاري. وأخرجه مسلم (٢٨٦٨)، وغيره من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

حَادَت بِرَسول الله صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بَغْلَتُه وَكادَت تُلقِيه لَمَّا مَرَّ بِمن يُعَذَّب فِي قَبره»؛ انتهىٰ كلامه.

ومِنَ القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه ابن أبِي الدُّنيا عَن عَمرو بن دِينار قَال: «كَان رَجلٌ مِن أهْل المَدينة لَه أُختٌ فَماتت فَجهَّزَها وحَملها إلَىٰ قَبرِها، فلمَّا دُفِنت ورَجع إلَىٰ أهْلِه ذَكر أنَّه نَسِي كِيسًا كَان معَه فِي القَبر، فاسْتَعان بِرَجل مِن أصحَابِه فأتَيا القَبرَ فنبَشَاه فَوجد الكِيسَ، فقَال للرَّجلِ: تَنحَّ حتَّىٰ أنْظر عَلىٰ أي حَال أخْتِي، فَرَفع بَعض مَا علىٰ اللَّحد فَإذا القَبر يشْتَعل نَارًا، فَردَّه وسَوَّىٰ القَبر ورَجع إلىٰ أمِّه فسَألها عنْ حالِ أخْتِه فَقالت: كَانتْ تُؤخِّر الصَّلاة عنْ وقْتِها ولا تُصلِّي فيما أظنُّ بوضُوء، وتَأتِي أبْوَاب الجِيران إذَا نَاموا فتَلقِم أذُنَها أبوَابَهم فتُخْرج حدِيثَهم»(١).

قلت: فِي هذه القِصَّة عِبرَة ومَوعِظَة للذِين يُؤخِّرون الصَّلاةَ عَن وقْتِها، ولِلذين لا يُبالُون بإسْبَاغ الوُضوء للصَلاة، وللذين يتجَسَّسُون علَىٰ النَّاس وَيَستَمِعون إلىٰ مَا يُخفُونه عنهُم مِن الأحَاديثِ التِي يكرَهون الاطِّلاع عليهَا. ومَا أكثَرَ هذِهِ الأصْنافِ الرَّديئةِ!

ومِن القَصص فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا ذكَره السَّفَّارِيني فِي كتَاب «البُحُور

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٧).

الزَّاخِرة»[1] قَال: حَكىٰ الحَافِظ ابن رَجب وغَيرُه: «أنَّ جماعَة منَ التَّابعينَ خَرجُوا لِزيارَةِ أَبِي سِنان، فَلمَّا دَخلُوا عليهِ وجَلسُوا عنْدَه قَال: قُومُوا بِنا نَزُور جَارًا لنا ماتَ أخُوه ونُعزيه فِيهِ، قَال مُحمَّد بن يُوسُف الفِريَابي: فَقُمنا مَعهُ ودَخلنَا عَلىٰ ذلِكَ الرَّجلِ فَوجدنَاه كَثير البُكاءِ والجَزعِ عَلىٰ أخِيهِ، فَجعلنَا نُعزِّيه ونُسلِّيه وَهو لا يَقبل التَّسْليَة وَلا عَزاء.

فَقُلنَا لَه: أمَا تَعلمُ أنَّ المَوتَ سَبيلٌ لابُدَّ مِنه؟ قَال: بَلىٰ، ولَكِن أبْكِي عَلىٰ مَا أصْبَح وأمْسَىٰ فيهِ أخِي مِن العذابِ، فَقلنَا لَه: قَد أطْلعَك اللهُ علَىٰ الغَيبِ؟ قَال: لا، ولكن لمَّا دفَنْته وسَوَّيت عَليهِ التُّرابَ وانْصرفَ النَّاس جَلستُ عنْد قَبرِه وإذَا صَوتٌ مِن قَبرِه يَقول: آه! أفْرَدُوني وَحِيدًا أقَاسِي العَذابَ، قَد كُنتُ أصلِّي قَد كُنتُ أصُوم، فأبْكَاني كَلامه، وَقلتُ: صَوتُ أخِي واللهِ أعْرِفه، فَقُلت: لَعلَّه خُيِّل إليك.

قَال: ثُمَّ سَكت فَإذا أنَا بِصَوتٍ يَقولُ: آه! ولا أدْرِي فِي الثَّانِية أوْ في الثَالِثة، فنَبَشْتُه حتَّىٰ بلَغتُ قَريبًا مِن اللَّبِن، فَإذا بِطوقٍ منْ نَار فِي عُنُقهِ وَفي وَسطِه، فأدْخَلتُ يَدي رَجاء أنْ أقْطَع ذَلكَ الطَّوق فَاحترَقتْ أَصَابعي فَبادرْت إخْراجَها، فإذَا يَدُه قدْ احترَقت أصَابِعُها، قَال: فَرددْتُ عليَهِ التُّرَاب وانْصَرفتُ، فكيفَ لا أبْكي عَلىٰ حَالِه وأحْزَن عَليهِ؟!

---

(١) (١/ ٢١٥).

فقُلنا: فَما كَان أخُوكَ يَعملُ فِي الدُّنيا؟ قال: كَان لا يُؤدِّي الزَّكاة مِن مالِه، فقُلنَا: هَذا تَصديقُ قَولِ اللهِ تعالىٰ: ﴿**وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ**﴾ [آل عمران: ١٨٠]، وأخُوكَ عُجِّل لهُ العَذابُ فِي قَبره، ثُمَّ خرجْنَا مِن عِندِه.

قال مُحمَّد بن يوسُف الفِريَابي: فَقلتُ للأوزَاعِي: هَؤلاء اليَهود والنَّصارىٰ يَموتُ المَيتُ مِنهم ولا نَرىٰ فِيهم ذَلك، أو لا نَسمعُ هَذا مِنهُم؟ فَقال: أولَئِك لا شَكَّ أنَّهم فِي النَّار، وإنَّما يُريكم اللهُ فِي أهْل الإيمَان لتَعتَبروا، أو نَحو هذا».

ومن القصص في هذَا البَابِ أيضًا: مَا ذَكره ابنُ حَجر الهِيتَمي فِي مُقدِّمة كِتاب «**الزَّوَاجِر عَن اقْتِرَاف الكَبَائر**»[1]، عنْ عَبد اللهِ بنِ زَيد قَال: «غَرَّني القَمرُ فَمررْتُ فِي المَقابر فَإذا أنَا بِرجُل قَد خَرج مِن قَبر يَجُرُّ سِلسلَة، فَإذا رَجلٌ آخِذٌ بالسِّلسلَةِ فَجذبهُ حَتَّىٰ رَدَّه إلَىٰ قَبرِه، قالَ: فسَمعْتُه يَضرِبُهُ وَهو يَقُول: ألَمْ أكُنْ أصَلِّي؟ ألَمْ أكُنْ أغْتَسِل مِن الجَنابَة؟ ألَمْ أكنْ أصُوم؟ قَال: بَلىٰ، ولَكنَّك كُنتَ إذَا خَلوتَ بالمَعاصِي لَم تُراقِب اللهَ تَعالَىٰ».

ومنَ القَصصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا تَقدَّم ذِكرُه فِي الفَصل الذِي ذُكِرتْ فيهِ العُقوباتُ بِما دُون المَوتِ.

وهَذهِ القِصَّة قَد ذكرَها ابنُ أبِي الدُّنيا فِي كتَابِ «**القبُور**»، عَنْ حُصين

---

(١) (١/ ٢٤).

الأسَدِي قَال: سَمعتُ مَرثَد بن حَوشَب قَال: «كُنتُ جَالِسًا عنْدَ يُوسف بن عُمَر وإلَىٰ جَنبِه رَجلٌ كأنَّ شِقَّة وَجهِهِ صَفحَة مِن حَديد، فَقالَ لَه يُوسف: حَدِّث مرثدًا بِما رَأيتَ، فَقَال: كُنتُ شَابًّا قَد أتيتُ هَذه الفَواحِشَ، فلَمَّا وَقع الطَّاعُون قُلتُ: أخْرُج إلىٰ ثَغر مِن هَذهِ الثُّغُور، ثُمَّ رأيتُ أنْ أحْفُر القُبورَ، فَإنِّي لَيلَة بَينَ المَغربِ والعِشاء قَد حَفرتُ قَبرًا وَأنَا مُتَّكِئ عَلىٰ تُرابِ قَبرٍ آخَر؛ إذْ جِيء بِجِنَازة رَجلٍ حتَّىٰ دُفِن فِي ذَلِك القَبرِ وسَوَّوا عليهِ التُّراب.

فأقْبَلَ طَائرَان أبْيَضانِ مِن المَغرِب مِثل البَعيرَينِ حَتَّىٰ سَقطَ أحدُهُما عنْدَ رَأسِه والآخَر عِندَ رِجلَيهِ، ثُمَّ أثَاراه ثُمَّ تَدلَىٰ أحدُهُما فِي القَبر والآخَرُ عَلىٰ شَفيرِه، فَجئتُ حتَّىٰ جَلستُ عَلىٰ شَفيرِ القَبرِ وكُنتُ رَجلًا لا يَملأ جَوفِي شَيءٌ، قَال: فَضَرب بِيَده إلىٰ حِقْوه فَسَمِعتُه يَقولُ: ألَستَ الزَّائرَ لأصْهَاركَ فِي ثَوبَين مُمَصَّرين تَسحَبْهُما كِبرًا تَمشي الخُيَلاء؟ فقَال: أنَا أضْعَف مِن ذَلكَ، قَال: فَضربَه ضَربَةً امْتلأَ القَبرُ حتَّىٰ فَاض مَاءً ودُهنًا.

قالَ: ثُمَّ عَاد فَأعَاد عَليهِ القَولَ مِثل الأوَّل حتَّىٰ ضَربَه ثَلاثَ ضَرَبَات، كُلُّ ذلكَ يَقُول ذَلكَ، ويَذكُر أنَّ القَبرَ يَفيضُ ماءً ودهنًا. قالَ: ثُمَّ رَفع رأسَهُ فَنظرَ إليَّ فَقال: انْظُر أيْن هُو جَالسٌ بَلَّسَهُ اللهُ. قَال: ثُمَّ ضَرب جَانب وَجهِي فَسقَطْتُ فَمكثْتُ لَيلتِي حتَّىٰ أصْبَحْت. قَال: ثُمَّ أخَذتُ أنْظرُ إلىٰ القَبرِ فَإذا هُو عَلىٰ حَالِه».

وقَد ذَكر ابن القيمِ هذِه القِصَّة فِي كتابِ «**الرُّوح**»، ثُم قالَ: «فَهذا المَاء

والدُّهن فِي رأي العَين لِهَذا الرَّائي هُو نَارٌ تَأججُ للمَيت، كَما أخبَر النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنِ الدَّجَّال أنَّه يَأتِي مَعه بِمَاء ونَارٍ، فالنَّار مَاءٌ بَاردٌ، والمَاء نَارٌ تأجَّجُ»؛ انتهىٰ(١).

وقَد أعَدْتُ ذِكر هَذه القِصَّة هَهُنا لِما فِيها مِن إخْبَار الحَفَّار بِما رَآه مِن تَعذيبِ المَيِّت.

ومِن القَصصِ فِي هذَا البَابِ أيضًا: مَا تقَدَّم ذِكرُه فِي الفَصل الذِي ذُكِرتْ فيهِ العُقُوباتُ بِما دُون المَوت. وهِي قِصَّة النَّبَّاش الذِي اشْترَىٰ منهُ قَاضي البَلَد هِتكَه فِي قَبرِه بِمائةِ دِينارٍ، فَعُوفِي القَاضِي مِن ذَلك المَرض ثمَّ مَرِض بَعد ذَلكَ فَماتَ، فَتوهَّمَ النَّبَّاش أنَّ العَطِيَّة للمَرض الأوَّل فَجاءَ فَنبشَه، قَال: «فَإذا فِي القَبر حِسٌّ عُقوبَة والقَاضِي جَالسٌ ثَائرُ الرَّأسِ مُحمرَّة عَيناه كالسُّكْرُجَتين(٢)، فوَجَدت زَمَعًا(٣) فِي رُكبَتِي، وإذَا بِضرْبَة فِي عينيَّ مِن أصْبَعينِ وقَائلٌ يَقول: يا عَدو اللهِ، تَطَّلِع علىٰ أسْرارِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ».

---

(١) سبق.

(٢) السُّكُرُّجَة بضم السين والكاف والراء المشددة وفتح الجيم، قال ابن الأثير في «النهاية»، وابن منظور في «لسان العرب»: هي إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم، وهي فارسية. وقال في «تاج العروس»: هي قصاع يؤكل فيها صغار، وليست بعربية. انظر: «تاج العروس» (٦/ ٤١).

(٣) قال في «لسان العرب» (٨/ ١٤٤): الزَّمَع رعدة تعتري الإنسان إذا هَمَّ بأمر.

وقَد ذَكر هَذه القِصَّة الحَافظُ ابنُ رَجب فِي كِتابِهِ «**أهْوَال القُبُور**»(١)، وذَكرَها السَّفَّاريني فِي كتَابِه «**البُحُور الزَّاخِرة**»(٢)، وقَد أعدتُ ذِكر بَعضِها هَهُنا لمَا فِيها مِن إخْبار النَّبَّاش بِما رَآه مِن تَعذيبِ المَيِّت فِي قبْره.

ومِن القَصصِ في هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكرَه السَّفَّاريني فِي كتَاب «**البُحور الزَّاخِرة**»(٣) قال: «ذكَر السُّيوطي عَن المَقرِيزي أنَّه قَدِم فِي سَنة سَبع وتِسْعين وسِتِّمَائة البَريدُ بِأنَّ رَجلًا مِن السَّاحِل مَاتتِ امْرَأتُه فَدفَنها، وعَاد فَذكرَ أنَّه نَسيَ فِي القَبر مِنديلًا فيهِ مَبلغ دَراهِم، فأخَذ فقيه القَريَة ونَبَش القبرَ ليأَخذَ المَال. والفَقيهُ عَلىٰ شَفيرِ القَبرِ.

فَإذا المَرأة جَالسَةٌ مَكتوفَةٌ بِشعرِها، ورِجْلاها قَد رُبطَتا بِشعْرِها، فَحاول حَلَّ كِتَافَها فلمْ يقدِر، فَأخذ يُجهِدُ نَفسَه فِي ذلِك، فَخُسفَ بِه وبِالمرأة حَيثُ لَم يُعلَم لَهما خَبرٌ، فَغُشيَ عَلىٰ فَقيهِ القَريَة مُدَّة يَوم ولَيلَة، فَبعث السُّلطان بِخَبر هَذه الحَادِثة إلَىٰ النَّاس ليَعتَبِروا بِذلك».

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا روَاه اللالكائي فِي كِتابِه «**شرح السُّنَّة**»، عَن صَدقة بن خَالد الدِّمَشقي عَن بَعضِ مَشايِخ أهْل دِمشْق قَال: «حَجَجنَا فَهلَك صَاحبٌ لَنا فِي بَعضِ الطَّريق عَلىٰ مَاءٍ مِن تِلكَ المِياه، فأتَينا أهْل

---

(١) (ص٧٠) ط: دار الغد الجديد.

(٢) (١/ ٢٢٨).

(٣) (١/ ٢٢٩).

المَاء نَطلُب شَيئًا نَحفُر بِه، فَأخرَجوا لنَا فَأسًا ومَجرَفة، فلمَّا وارَيْنَا صَاحبَنَا نَسينَا الفأسَ فِي القَبر، فَنبشنَاهُ فوَجدْنَاه قَد جُمِع عُنقَه ويَداه ورِجلاه فِي حَلقَة الفأسِ، فسَوَّينا علَيهِ التُّرابَ وأرْضَينا أصْحَاب الفَأس مِن الثَّمن، فلمَّا انْصرَفنَا جِئنا إلَىٰ امْرَأتِه فَسألناهاَ عنْه فقالت: صَحِبه رَجلٌ مَعه مَالٌ فَقتلَ الرَّجلَ وأخذَ المَال، فَكان مِنه يَحُجُّ ويَغزو»(١).

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا، عنْ أَبِي إسْحاق قال: «دُعِيتُ إِلَىٰ مَيِّت لِأُغسِّله فَلمَّا كَشفتُ الثَّوبَ عَن وَجهِه إذَا بِحيَّة قَد تَطوَّقَت عَلىٰ حَلقِه -فَذكرَ مِن غِلَظِها- قال: فَخرجْتُ فَلم أُغسِّله وَلم يَرها غَيري، فذَكروا أنَّه كَان يسُب الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ»(٢).

ومِن القَصصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: مَا رَواهُ ابن أَبِي الدُّنيا فِي كِتاب «**مَن عَاش بَعْد المَوت**»، عَن عَبد المَلِك بن عُمَير قَال: «كانَ بالكُوفَة رَجلٌ يُعطِي الأكْفَان، فَماتَ رَجلٌ فَقيلَ لَه، فَأخذَ كَفنًا وانْطَلق حتَّىٰ دَخل علَىٰ المَيِّت وَهو مُسَجًّىٰ، فَتنفَّسَ وألقَىٰ الثَّوب عَن وَجهِه وَقال: غَرُّوني، أَهْلَكُوني، النَّار، أَهْلكُوني، النَّار. فقلْنا لَه: قُل: لَا إِلَه إلّا اللهُ، قالَ: لا أَسْتَطِيع أنْ أَقُولَها، قِيل:

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٦) (٢١٥٤).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٩).

ولِمَ؟ قَال: بِشتْمِي أبَا بَكر وعُمر»[١].

ورَوَىٰ ابنُ أَبِي الدُّنيا أيْضًا عَن خلفِ بن حَوشب قالَ: «ماتَ رجلٌ بِالمدَائِن، فلمَّا غَطُّوا علَيهِ ثَوبَه قَام بَعضُ القَومِ وبَقِي بَعضُهم، فَحَرَّكَ الثَّوب فَقالَ بِهِ فكَشَفه عَنهُ فَقالَ: قَومٌ مُخضَّبة لِحاهم فِي هَذا المَسجِد -يَعنِي مَسجِد المَدائِن- يلعَنون أبَا بَكر وعُمَر ويَتبرَّءونَ مِنهُما: الذين جَاءوني يَقبِضون رُوحي يَلعنُونَهم ويَتبرءون مِنهُم، فقُلنا: يَا فُلان، لَعلَّك بُليتَ مِن ذَلكَ بِشيءٍ؟ فَقال: أسْتَغفِر اللهَ، أستْغفرُ اللهَ، ثُمَّ كان كأَنَّمَا كَانتْ حَصاة فَرُمِي بها»[٢].

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا فِي كتَابِ «**مَن عَاش بعْد المَوْت**»، عَن عَبد الرَّحْمن المُحَاربي قَال: ذَكر أَبُو الخَصِيب قَال: «كُنتُ بِخَازر وَكُنتُ لا أَسْمَع بِميِّت مَات إلَّا كَفَّنْته، قَال: فأتَاني رَجلٌ فَقالَ: إنَّ هَهُنا مَيتًا قَد مَات ولَيسَ عَليهِ كَفنٌ، قَال: فقُلتُ لِصاحِبٍ لِي: انْطلِقْ بِنا، فانْطَلقْنا فَأَتيْنَاهم فإذَا هُم جُلوسٌ وَبينَهم مَيِّت مُسَجَّىٰ وَعلىٰ بَطنِه لَبِنَة أَوْ طِينَة، فَقُلت: ألا تَأخُذون فِي غُسلِه؟ فَقالوا: لَيس لَه كُفنٌ.

فقُلتُ لِصاحبي: انْطَلق فَجِئْنَا بِكفنٍ، فَانطَلَق وَجلسْتُ مَع القَوم، فَبينَما نَحنُ جُلوسٌ إذْ وَثبت فألقَىٰ اللَّبِنة أو الطِّينَة عَن بطْنِه وجَلس وَهُو يَقول: النَّار،

---

(١) أخرجه ابن ابي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (١٦).

(٢) المصدر السابق (١٧).

النَّار، فقُلت: قُل: لا إِلَه إِلَّا اللهُ، فَقال: إِنَّها لَيست بنَافِعِي، لَعَن اللهُ مشيَخَة الكُوفَة غَرُّوني حتَّىٰ سَببتُ أَبَا بَكر وعُمر، ثُمَّ خَرَّ مَيتًا.

فقُلت: واللهِ لا كفَّنتُه، فقُمتُ وَلم أُكفِّنه، قَال: فأرْسَل إِليَّ ابن هُبيرة الأكْبَر فَسألنِي أَنْ أُحدِّثَه بِهذا الحَديثِ فَحدَّثته»[١].

ومنَ القَصصِ فِي هذَا البَاب أيضًا: ما رَواهُ ابن أَبِي الدُّنيا فِي كِتابِ «**مَن عَاش بَعد المَوت**»، عَن خَلف بن تَميم قال: حدَّثنا يسير أَبُو الخَصِيب قَال: «كُنتُ رَجلًا مُؤسرًا تَاجرًا، وكُنت أسْكُن مَدائن كِسرىٰ، وذَلكَ فِي زَمان طَاعون ابن هُبَيرة، فأتَاني أجيرٌ لِي يُدعَىٰ أشْرف، فَقال: إنَّ هَهنا فِي بَعضِ خَاناتِ المَدائنِ رَجلًا مَيتًا ليسَ يُوجد لَه كَفن.

قال: فَمضيتُ عَلىٰ دابَّتِي حتَّىٰ دَخلتُ ذلكَ الخَان فدُفعتُ إِلَىٰ رَجلٍ ميتٍ عَلىٰ بَطنِه لَبِنة وَحَوْلَه نفرٌ مِن أصْحابهِ، فَذكرُوا مِن عِبادتِه وفَضله.

قالَ: فَبعثْتُ إِلَىٰ كَفنٍ يُشترَىٰ له وبَعثتُ إِلَىٰ حَافرٍ يَحفرُ قَبرًا. قال: هَيأنا لَه لَبنًا وَجلسْنا نُسخِّن لَه المَاء لنُغَسِّله، فبَينَا نَحنُ كَذلكَ إذْ وَثب المَيِّت وثْبة أسْقَطت اللَّبِنة عَن بَطنِه وهُو يُنادِي بِالوَيل والثُّبُور، فلمَّا رَأىٰ ذَلك أصحَابُه تَصدَّع عنه بعضُهُم.

قال: فَدنوْتُ مِنه فَأخذتُ بِعَضُدِه فَهززْتُه فَقلتُ: مَا رأيتَ؟ وَما حَالُك؟

---

(١) المصدر السابق (١٨).

فَقال: صَحبْت مَشيخَة مِن أهلِ الكُوفَة فَأدخَلُوني فِي دِينِهم -أو قَال فِي رَأيهم أوْ أهْوَائِهم- عَلىٰ سَبِّ أَبِي بَكر وعُمَر والبراءَة مِنهُما.

قَال: قُلت: فاسْتغْفِر اللهَ ولا تَعُد، فقالَ: ومَا ينْفَعُني وَقد انْطُلِق بِي إلَىٰ مُدْخَلي مِن النَّار فَرأيْته، ثمَّ قيلَ لِي: إنَّك سَترجِع إلَىٰ أصْحابِك فتُحدِّثهم بِما رَأيتَ ثُمَّ تَعود إلَىٰ حَالتكَ الأولَىٰ، فمَا أدْري انقضت كَلمَتُه إذْ عَاد مَيتًا عَلىٰ حَالهِ الأوْلىٰ. فانْتظَرت حتَّىٰ أُتيتُ بالكَفنِ فأخَذتُه ثُمَّ قُلتُ: لا كَفَّنته ولا غَسَّلْته ولا صَلَّيتُ عَليه، ثُمَّ انصَرَفت.

قال خَلف: قُلت: يَا أبَا الخَصيبِ، هَذا الحَديث الذِي حدَّثتني بِمشهَد مِنك؟ قَال: نَعم، بَصرُ عَينيَّ وسَمْعُ أذُنيَّ، قَال خَلف: فَسألْتُ عَنه فَذكروا عَنه خَيرًا»(١).

[ثُمَّ رَوىٰ ابن أبِي الدُّنيا بإسْناده إلَىٰ خَلف بنِ تَميم قَالَ: رأيْتُ سفْيَان الثَّورِي يَسألُ هَذا الشَّيخ عَن هَذا الحَديثِ. وَقد رَوىٰ اللالكائي هَذِه القِصَّة فِي كِتابِه «**شرْح السُّنَّة**»(٢)].

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه التِّرمِذي والطَّبراني فِي

(١) المصدر السابق (١٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٠) (٢٣٦٧).

«**الكبير**»، عَن عِمارة بن عُمير قَال: «لَمَّا جِيء بِرأسِ عُبيد اللهِ بن زِيَاد وأصْحَابه نَضَدتُ فِي المَسجِد في الرَّحْبة فَانتَهَيتُ إليهِم وهُم يَقُولون: قَد جَاءتْ قَد جَاءتْ، فَإذا حَيَّة قد جَاءَت تَخلَّل الرُّءوسَ حتَّىٰ دَخلتْ فِي مِنخَرَي عُبيد اللهِ بن زِياد، فَمكَثتْ هُنيهَة ثُمَّ خَرجتْ فَذهبَت حتَّىٰ تَغيَّبتْ، ثُم قَالوا: قَد جَاءَت قَد جَاءَت، فَفَعلَت ذَلكَ مَرَّتينِ أو ثلاثًا». [قالَ التِّرمِذي: هَذا حَديثٌ حَسنٌ صَحيحٌ](١).

قُلت: لا يَبعُد أنْ يَكون دُخولُ الحيَّة فِي مِنخَرَي عُبيد اللهِ بن زِيَاد بَعد قَتله عُقوبةً لَه عَلىٰ مَا دَخل بِرأسِ الحُسينِ بن عَليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حِين أُتِي بِه إلَيهِ.

فقدْ رَوىٰ البَزَّار وغَيرُه، عنْ أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ عُبيد اللهِ بنِ زِياد لمَّا أُتِي بِرأسِ الحُسين جَعل يَنكُت بِالقَضيبِ ثَنَايَاه، فَقال لَه أَنسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنِّي رَأيتُ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلثُم حَيثُ يَقعُ قَضِيبُكَ»، قَالَ: «فانْقَبَض»(٢).

ورَوَىٰ الطَّبَراني عَن زَيد بن أرْقَم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَال: «أُتِي ابن زِيَاد بِرأسِ الحُسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجعَلَ يَجعَلُ قَضيبًا فِي يَدِه فِي عَينِه وأنْفِه، فقَال زَيد بن أرْقَم: ارْفَع القَضِيب، فَقَالَ: لِمَ؟ فقَال: رَأيتُ فَم رَسُول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَوضِعه»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٨٠)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ١١٢) (٢٨٣٢).

(٢) أخرجه البزار في «المسند» (١٣/ ١٨٤) (٦٦٣٢) بحر، وفي إسناده مفرج بن شجاع مجهول، وغسان بن الربيع ضعيف، وشيخه يوسف بن عبدة لين الحديث.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/ ٢١٠) (٥١٢١)، وفيه عبيد الله بن محمد العمري

ومِن القَصصِ فِي هَذا البابِ: مَا رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا، عَن يَزيد بن المُهَلب قَال: «اسْتَعمَلنِي سُليمانُ بن عَبد المَلك عَلىٰ العِراقِ وخُراسَان فَودَّعَني عُمر بن عبد العَزيز وَقال: يَا يَزيد، اتَّقِ اللهَ، فَإنِّي حِين وَضعتُ الوَليدَ فِي لَحده إذَا هُو يَركُض فِي أكْفانِه»(١).

ورَوىٰ ابن أَبِي الدُّنيا أيْضًا عن عَمرو بن مَيمُون بن مُهْران قَال: سَمعتُ عُمر بن عبد العَزيز يَقول: «كُنت فِيمن دَلَّىٰ الوَليد بنِ عبْد المَلك فِي قَبرِه، فَنظرْت إلَىٰ رُكبَتيه قَد جُمِعتا إلَىٰ عُنُقِه. فَقال ابنه: عَاش أَبِي وَربِّ الكَعبة، فقُلتُ: عُوجِل أبُوك ورَبِّ الكَعبة. قَال: فَاتَّعظ بِها عُمر بَعْدُ»(٢).

ومنَ القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أبي الدنيا، عنِ الفَضلِ بنِ يُونس: أنَّ عُمر بن عَبد العَزيزِ قَال لِمَسلَمة بن عَبد المَلك: «حدَّثني مَولاكَ عَن فُلان أنَّه لمَّا دَفَن أبَاكَ وَالولِيدَ فَوضَعَهما فِي قَبريْهِما وَذَهب لِيَحلَّ العُقَد عنهمَا وَجد وُجوهَهُما قَد حُوِّلت فِي أقَفِيتِهما»(٣).

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا، ما ذكَرَه الحَافظُ ابن رَجب فِي كِتَابه

=

كذبه النسائي، وضعفه الدارقطني. وفي إسناده أيضًا حرام بن عثمان ترك الناس حديثه.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٢٧).

(٣) المصدر السابق (١٢٣).

«**أهْوَال القُبُور**»(١)، قال: أنْبأنَا الحَافظُ أبُو مُحمَّد القَاسم بن مُحمَّد البِرْزالي فِيما ذَكره فِي «**تَاريخه**»، عَن عبد العزِيزِ بنِ عَبد المُنعِم بن الصَّيْقل الحرَّاني قَال: «حَكىٰ لِي عَبد الكَافي أنَّه شَهِد مَرَّة جِنازة فَإذا عَبدٌ أَسودُ مَعنَا. فلمَّا صَلَّىٰ النَّاس لَم يُصلِّ، فَلما حَضرنا الدفْن نَظَر إليَّ، ثُمَّ قَال: أنَا عَملُه، ثُمَّ ألقَىٰ نَفسَه فِي القبر، قال: فنَظرْتُ فَلم أرَ شَيئًا».

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أبِي الدُّنيا، عن عَبد الحَميد بن مَحمُود المِعْوَلي قالَ: «كُنتُ جَالسًا عِندَ ابن عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا فَأتاه قَومٌ فَقالوا: إنَّا خَرجنا حُجَّاجًا وَمعنا صَاحبٌ لنَا حتَّىٰ أتينَا ذَات الصِّفَاح فمَات، فَهيأنَاه ثُمَّ انطَلقْنَا فَحفرنَا لَه قَبرًا ولَحَّدْنا لَه لَحدًا، فلمَّا فَرغْنا مِن لَحدِه إذَا نَحن بِأسْوَد قَد مَلأ اللَّحدَ، فَحفرنا غَيره، فَلمَّا فَرغنا مِن لَحدِه إذَا نَحنُ بالأسْوَد قَد مَلأ اللَّحدَ، فتَركنَاه وحفَرنَا لَه مَكانًا آخَر، فلمَّا فَرغنَا مِن لحدِه إذا نَحن بالأسْود قَد مَلأ اللَّحد فَتركنَاه وأتينَاك.

فقَال ابنُ عبَّاس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: ذَلكَ عَملُه الذِي كَان يَعملُ بِه، انْطلقُوا فَادفِنُوه فِي بَعضِها، فوَالذِي نَفسِي بِيده، لَو حَفرْتُم الأرْضَ كُلَّها لَوجدْتُموه فِيه، فانْطَلقْنا فَدفَنَّاه فِي بَعضِها، فلمَّا رَجعنَا قُلنا لامْرَأتِه: مَا كَان عَملُه وَيحَكِ؟ قَالت: كَان يَبيعُ الطَّعامَ فيأخُذُ كُل يَوم مِنه قُوتَ أَهلِه ثُمَّ يُقرِض القَصبَ مِثله فُيلقِيه فِيهِ».

---

(١) (ص٦٩).

[وَقَد رَواه اللالكائي فِي «شَرْح السُّنَّة» بنحوه][1].

ومِنَ القَصصِ فِي هذا البَاب أيْضًا: مَا ذكَره الحافِظُ ابن رَجب فِي كِتَابه «**أهْوَال القُبُور**»[2]؛ حَيث قَال: رَوىٰ الهَيثَم بن عَدِي قال: حدَّثَنا أبَان بن عَبد اللهِ البَجَلي قَال: «هَلك جَارٌ لَنا، فشَهِدنا غُسلَه وكَفَنه وحَملَه إلَىٰ قَبره، وإذَا فِي قَبره شَيءٌ شَبيه بِالهرَّ، فزجَرنَاه فَلم يَنزَجِر، فَضرب الحفَّار جَبهَته ببيرمة[3] فَلم يَبرحَ، فتحَوَّلنا إلَىٰ قَبر آخَر، فلمَّا لَحَّدوا إذَا هُو فِيه، فَصنعوا بهِ مِثل مَا صَنعوا أوَّلًا فَلم يَلتفِت، فَرجعُوا إلَىٰ قَبر ثَالث فلمَّا لَحَّدوا إذَا ذَلك الهِرُّ فيهِ فَصنعُوا بهِ مثل مَا صَنعوا أوَّلًا فَلم يلتَفت.

فقَالَ بَعضُ القَومِ: يَا هؤلاءِ، إنَّ هَذا لأمرٌ مَا رأينَا مِثلَه، فَادفنوا صَاحِبكم، فدَفَنوه، فَلمَّا سُوِّي عليهِ اللَّبن سمِعُوا قَعقَعةً عظِيمةً، فَذهبوا إلَىٰ امْرَأتهِ فقَالوا: يَا هذهِ، مَا كانَ يَعملُ زَوجُك؟ وَحدَّثوها بِما رَأوا، فقالَت: كَان لا يَغتَسِل مِن الجَنَابة».

ومِنَ القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: ثَلاثُ قَصَص ذكَرها ابن حَجر الهَيتَمي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٢٨)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٥) (٢١٥١).

(٢) (ص٦٦).

(٣) البيرمة: العتلة. قال ابن منظور في «لسان العرب» (١٢/ ٤٥): البيرم العتلة، فارسي معرَّب، وخَصَّ بعضُهم به: «عتلة النجار».

فِي مُقَدِّمة كِتابه «الزَّوَاجر عَن اقْتِرَاف الكبَائر»[(١)]، فقدْ ذَكر فِي قِصَّة سيأتِي ذِكرُها -إنْ شَاء الله- فِي الفَصل الذِي بَعد هَذا الفَصل: «أنَّه سَمِع تأوُّهًا عَظيمًا وأنينًا مِن بَعض القُبور، وأنَّه مرَّ بِه إنْسَانٌ فسَألهُ عَن صَاحبِ القَبر فأخبَره بِه، ولما قال ذلك لبَعضِ أهْلِ بَلدِه قَال لَه: أعَجبُ مِنهُ عَبد الباسِط رَسول القَاضِي فُلان.

قال الهَيتَمي: وهَذا الرَّجُل أعْرِفه، كَان رَسولًا للقُضاةِ أوَّلَ أمْرِه ثُمَّ صَار ذَا ثَروة. فَقلتُ: وما شَأنُه؟ قَال: لمَّا حَفرنَا قَبرَه لِنُنزِل عَليه مَيتًا آخر رأيْنَا فِي رقَبتِه سِلسِلةً عَظيمة، ورأيْنَا فِي تِلكَ السِّلسِلة كَلبًا أسْوَد عَظيمًا مَربُوطًا مَعه فِي تِلك السِّلسِلة، وهُو وَاقفٌ علىٰ رأسِه يُريدُ نَهشَه بِأنيابِه وأظْفارِه، فَخِفناه خَوفًا عَظيمًا وبَادرْنا بِردِّ التُّراب في القبر».

قالوا: «وحَفرنا عَن فُلان فَخرجَت لنَا حيَّة عَظيمَة مِن قَبره ورَأيناها مُطوِّقةً بِه، فأرَدْنا دَفعَها عَنه، فَتنفَّست عَلينا حتَّىٰ كِدنا كُلُّنا نَهلِك عَن آخِرنا».

قالوا: «ورَأينَا فُلانًا لمَّا حَفرنا قَبرَه لَم يَبقَ مِنهُ إلا جُمجُمَة رَأسِه، فَإذا فِيها مَسامِير عَظيمَة القَدر عَريضَة الرُّءوسِ، مَدقُوقة فِيها كأنَّها بَاب عظِيمٌ، فَتعجَّبْنا مِنه وَرَددْنَا عَليه التُّراب».

ومن القَصص في هَذا البَاب أيضًا: ما ذَكره ابن أبِي الدُّنيا قَال: حدَّثنا عبد المؤمِن بن عَبد اللهِ القَيسي قال: «قِيل لنبَّاش قَد تَاب: مَا أعجَبُ مَا رأيْتَ؟ قَال:

---

(١) (١/ ٢٥).

نَبشتُ رَجلًا فَرأيتُه مَسَمَّرًا بِالمَسامِير فِي سَائِرِ جَسدهِ ومِسمَار كَبير فِي رَأسهِ وآخَر فِي رِجلَيه. وَقيل لِنبَّاش آخَر: مَا أعجَبُ مَا رأيت؟ قَال: رَأيت جُمجُمةَ إِنسانٍ مَصبُوبٌ فِيها رَصَاصٌ»(١).

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره ابن رَجب فِي كِتابِه «**أَهْوَال القُبُور**»(٢)، عَن ابن الفَارس اليَمَني صَاحب ابن الجَوْزِي، أَنَّه ذَكر فِي «تاريخه»: «أَنَّه فِي سَنة تِسعِين وخَمْسِمَائَة وُجِد مَيِّت بِبغدَاد بِظاهِرِ بَابِ البَصرَة وقَد بَلِي وَلم يَبْق غَيرُ عِظامِه، وَفِي يَدَيهِ ورِجليهِ ضِبَاب مِن حَديد، وقَد ضُرب فِيها مَسامِير فِي قَصب يَديهِ ورِجلَيه.

وقَد وُضِعت ضِبَّة حديدٍ عَلىٰ بَطنِه، وضُرِب فِيها مِسْمَاران أحدُهما فِي سُرَّته والآخَر فِي جَبهَته. وَكان هَائلَ الخِلْقَة غَليظَ العِظام، وكَان سَببُ ظُهورِه زِيادَة المَاء، فَكشف جَانب تَلٍّ كَان يُعرف بالتَّلِّ الأحْمر عَلىٰ مِيلين مِن سُور بَاب البَصرة القديم».

ومن القَصص فِي هذا البَاب أيضًا: مَا ذكرَه ابن القَيم رَحِمه اللهُ تَعالىٰ فِي كِتاب «**الرُّوح**»(٣)، قَال: حدَّثني صَاحبُنا أَبُو عبدِ اللهِ مُحمَّد بن مُثنَّىٰ السُّلامي التَّاجر -وكَان مِن خِيار عِباد الله، وكَان يَتحَرَّىٰ الصِّدقَ- قَالَ: «جاءَ رَجلٌ إِلَىٰ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٠).

(٢) (ص٦٨).

(٣) (ص٦٩).

سُوق الحَدَّادين بِبغدَاد فبَاع مَسامِير صِغارًا، المِسمَار بِرأسَين، فَأخَذها الحدَّاد وجَعل يَحمِي عَليها فَلا تَلينُ مَعه حتَّىٰ عَجزَ عَن ضَربِها.

فَطلبَ البَائعَ فوَجدَه، فَقال: مِن أيْنَ لَك هَذه المَسامِير؟ فَقال: لَقيتُها، فَلم يَزل بِه حتَّىٰ أخبَره أنَّه وجَد قَبرًا مَفتوحًا وفيهِ عِظام مَيت مَنظومَة بِهذه المَسامير، قَال: فعَالجْتُها علَىٰ أنْ أخرِجها فَلم أقْدر، فأخَذتُ حَجرًا فَكسرتُ عِظامَه وجَمعتُها.

قالَ أبُو مُحمَّد التَّاجر المَذكور: وأنَا رأيْت تلْكَ المَسامير، قَال ابنُ القَيم: فَقلت له: كيف صفتُها؟ قال: المِسمَار صَغيرٌ بِرأسين».

[وقَد نَقل ابنُ رَجب هَذه الحِكَاية فِي كِتابِه «**أهْوَال القُبُور**»(١)، عَن ابن القَيم، ثُمَّ قَال: هَذه الحِكَاية مَشهُورة بِبغدَاد، وَقد سَمِعتُها وَأنا صَبي بِبغداد، وَهي مُستَفيضَة بَين أهْلِها»].

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا قَال: حدَّثني أَبِي، عَن أَبِي الحُرَيش، عَن أُمِّه قالت: «لمَّا حَفر أبُو جَعْفر خَندَق الكُوفَة حَوَّل النَّاسُ مَوتَاهم، فَرأيتُ شَابًّا مِمَّن حُوِّل عَاضًّا علَىٰ يَدِه»(٢).

ومِن القَصصِ فِي هَذا البابِ أيضًا: مَا رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيَا قَال: حدَّثنا عبد

---

(١) (ص٦٩).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٠٢).

المُؤمِن بن عبْد اللهِ المَوصلي قال: حدَّثنِي رَجلٌ مِن أهْلِ الرَّمْلة قَال: «أصابَتنا رِيحٌ شَديدة كَشفتْ عَن القُبور، قالَ: فَنظرتُ إلىٰ جَماعَة مِنهُم قَد حُوِّلوا عَن القِبلة»[١].

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره ابن أبِي الدُّنيا قَال: «حدَّثني رجُلٌ أنَّه ماتَتْ لهُ ابنَةٌ فَأنزلَها فِي القَبر، فَذهبَ لِيصْلِح لَبِنة فَإذا هِيَ قَد حُوِّلت عَن القِبلة. قال: فاغْتَمَمت لِذلكَ غَمًّا شَديدًا، قَال: فَرأيتُها فِي النَّوم، فقَالت: يَا أبتِ، اغْتَممتَ لِما رَأيتَ، فإنَّ عَامَّة مَن حَولي مِن أهْل القُبور مُحوَّلُون عَن القِبلة. قال: كأنَّها تُريد الذِين مَاتوا مُصرِّين عَلىٰ الكَبائرِ»[٢].

وَقَال الحَافظُ ابنُ رَجب فِي كِتابِهِ «أهْل القُبُور»[٣]: «رَوينا مِن طرِيق أبِي إسْحَاق الفَزَارِي أنه سَأل نبَّاشًا قَد تَاب فَقلتُ: أخْبِرني عمَّن مَات عَلىٰ الإسْلام، أتُرِكَ وَجهُه علىٰ مَا كَان أمْ مَاذا؟ قَال: أَكثرُ ذَلك قَد حُوِّل وَجهُه عَن القِبلة. قال: فَكتَبتُ إلىٰ الأوزَاعِي فَكتب إليَّ: إنَّا للهِ وَإنَّا إليهِ رَاجعُون ثلاثَ مرَّات، أمَّا مَن حُوِّل وجْهُه عَن القِبلَة فإنَّه مَات عَلىٰ غَير السُّنَّة».

وَذكرَ ابنُ أبِي الدُّنيَا أنَّ رَجلًا سَأل أبَا إسْحَاق الفَزَاري عَن النَّبَّاش: هَل لَه تَوبةٌ؟ وقَال لَه الرَّجلُ: كُنت أَنبُشُ القُبورَ وكُنتُ أجِدُ قَومًا وُجوهُهم لِغَير

---

(١) المصدر السابق (١٢٤).

(٢) المصدر السابق (١٢٥).

(٣) (ص٦٨).

القِبلَة. فَلم يَكنْ عِندَ الفَزارِي فِي ذَلك شيءٌ، فَكَتَبَ إِلَىٰ الأَوْزَاعي يُخبِرُه بِذلك فَكتبَ إِليهِ الأَوْزاعي: تُقبَل توبَتُه إِذَا صَحَّت نيَّتُه وَعَلم اللهُ الصِّدقَ مِن قَلبِهِ، وأَمَّا قَولُه: إِنَّه كَان يَجدُ قَومًا وجُوهُهم لِغَير القِبلة فأولَئك قَومٌ مَاتوا عَلىٰ غَير السُّنَّة»(١).

قُلتُ: وَكثيرًا مَا يَقَع الصَّرف عَن القِبلَة للمُصرِّين عَلىٰ شُرب الدُّخانِ الخَبيثِ إذا مَاتوا مِن غَيرِ تَوبة. وسأَذْكُر عَن ذَلكَ عِدَّة قَصَص إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ.

فمِن هَذه القَصَص: مَا أَخبَرَني بِهِ الثِّقةُ مِن إخْوَانِنَا فِي الله تَعالىٰ. قَال: «مرَّ بنَا مُسافِرٌ مَريضٌ فأَقَامَ عِندنَا أَيَّامًا ثمَّ حَضره المَوتُ، فَجعلتُ أَوَجِّههُ إِلَىٰ القِبلةِ فيُصرَف عَنها، وكُلَّما وجَّهتُه إليْها صُرفَ عَنها في الحَال، وقَد فَعلتُ ذَلكَ مَعه مِرارًا، وَفي آخِر الأَمْر صَعُب عليَّ توجيهُهُ إِلَىٰ القِبلَة وجعَلتُ أَلْوِي رَأسه بِجَهدِي لأوَجِّهُه إِلَىٰ القِبلَة فَلا يتوجَّه إليهَا، فتَركتُه علىٰ حَاله وخَرجت رُوحُه وَوجُهه إِلَىٰ غَير القِبلَة، فجعَلت أَتعجَّب مِن شَأنِهِ، ثمَّ إِنِّي فَتَّشتُ مَتاعَه فَوجدْتُ فِيه صُرَّةً مِن التتن والآلة التي تُستَعمَل فِي شُربهِ».

وَمِن قصَصِ أَهْل الدُّخَان أَيْضًا: مَا أَخْبَرني بِهِ الثِّقة المُشارُ إِليهِ فِي القصَّة الأولَىٰ، عنْ بعْض القُضاةِ فِي نَواحي القَصيمِ: «أَنَّه حَضر عِندَ رَجلٍ قَد حَضره المَوتُ وكانَ مِمَّن يشرَبُ الدُّخَان، قال: فَجعلْتُ أَوَجِّهُه إِلَىٰ القِبلَة فَيُصرف عَنها

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٩٩).

حتَّىٰ خَرجَت رُوحه وهُو إلَىٰ غير القِبلة».

ومِن قَصص أهْل الدُّخان أيضًا: مَا حدَّثني بهِ بَعضُ المَشايخ، عن الشَّيخ مُحمَّد بن عبد اللَّطِيف رَحِمه اللهُ تَعالىٰ أنَّه حدَّثَهم: «أنَّهم سَافروا مِن مكَّةَ إلَىٰ المَدينَة ومَعهُم رَجلٌ مِن أهْل قَطر، كَان كَثيرَ الصَّلاة وأفْعَال الخَير إلا أنَّه كانَ يشربُ الدُّخَان، قَال: فمَاتَ فِي الطَّريق فَصُرِف عَن القِبلَة. قَال: وكُلَّما وَجَّهْناه إلَىٰ القِبلَة صُرِف عَنها».

وَمِنْ قَصصِ أَهلِ الدُّخَان أيضًا: مَا حدَّثني بِه بَعضُ المَشايخِ: «أنَّ رِجالًا مِن أهل البَادِية حدَّثوه، قَال: وَكانُوا أهلَ دِينٍ وَصلاحٍ، أنَّهم كَانوا فِي سَفَر ومَعهُم رَجلٌ يَشربُ الدُّخَان، فمَات فوَضعُوه فِي غارٍ وسَدُّوا بَاب الغَار، قَالوا: وكُنَّا نَسمع أنَّ شارِب الدُّخان يُصرَف عَن القِبلَة إذَا مَات. فَلمَّا رَجعنَا من سَفرِنا وَمررْنا بِالغارِ الذِي وضَعنا المَيتَ فِيه فَتحْنَا بابَه فَوجدْنا المَيتَ مَصروفًا عَن القِبلة».

ومِن قَصصِ أهْل الدُّخَان أيضًا: مَا حدَّثَني بهِ بَعضُ المَشايخِ، عنْ الشَّيخ عُثمان بن بِشر -وكَان قَاضيًا فِي بَعضِ نَواحِي القَصيم- أنَّه حدَّثه: «أنَّ رَجلًا ماتَ عندَهم وكانَ كثيرَ الصَّلاةِ ولا يُعابُ بشيءٍ إلا أنَّه كَان يَشرب الدُّخان. قَال الشَّيخ عُثمان: فَنزلتُ فِي قبْره ووضَعتُه في اللَّحدِ مُوجَّهًا إلىٰ القِبلة، فَلمَّا أخَذت اللَّبنَةَ لأضَعَها علَىٰ اللَّحد إذَا هُو قدْ صُرفَ عَن القِبلَة، فَجُعلَ ظَهرُه إلَىٰ القِبلة

وَوجْهُه إلىٰ الجِهةِ الأخْرىٰ، فوجَّهْته إلَىٰ القِبلَة مرَّةً أخرىٰ ثُمَّ ذَهبتُ لآخُذ اللَّبِن، فَإذا هُو قَد صُرف عَن القِبلَة، فوجَّهْته إلَىٰ القِبلة مرَّة ثالِثة فصُرف عنْها، فتَركتُه علَىٰ حَاله مصْرُوفًا عَن القِبلة».

ومِن قَصَص أهْلِ الدُّخَان أيضًا: مَا حدَّثَني بهِ غَيرُ وَاحدٍ مِن الثِّقات، عنِ الشَّيخ عُثمَان بن بِشر أيضًا: «أنَّ العَاملينَ عَلىٰ الزَّكاةِ مَرُّوا بِهم ومعَهُم رَجلٌ كَثيرُ الصَّلاةِ وأفْعالِ الخَير إلا أنَّه كَان يَشربُ الدُّخَان، فلمَّا انْتهىٰ العامِلُون مِن عَملِهم وَمَروا بِهم فِي رُجُوعِهم إذَا الرَّجُل لَيس مَعهم، فَسألُوهم عَنه فَأخْبَرهم العَاملُون أنَّه ماتَ علَىٰ بَعضِ المِياه، وأنَّهم أخَذوا فَأسًا مِن بَعضِ الأعْراب فَحَفروا لَه قَبرًا وَدَفنُوه.

فلمَّا فَرغوا مِن دَفنهِ وجَدوا عُود الفَأسِ ولَم يَجِدوا الفَأس، فقَالوا للأَعْرابي: إنَّا قَد وجَدنا عُودَ الفَأسِ وَلم نَجدِ الفَأسَ وَلا شَكَّ أنَّه قَد سَقطَ فِي القَبر حِين وَضعنَا المَيتَ فِيه.

وطَلبوا مِن الأعْرابي أنْ يَأخُذ مِنهُم قِيمة الفَأسِ فَأبىٰ إلا أنْ يَنْبِشوا عَن المَيت ويَأخذوا الفَأسَ مِن القَبر، فَنَبشوا القَبر فَوجَدوا المَيتَ قَد جُمِع رأسُه وَيَداه ورِجْلاه فِي حَلقَة الفَأس».

ومِن قَصصِ أهْل الدُّخَان أيضًا: مَا كَتب بهِ إليَّ أحَدُ أئِمَّة المَساجدِ فِي مَدينةِ الرِّياض -وكُنتُ إذْ ذَاك فِي المُجَمَّعة- قَال: «إنَّ رَجلًا مِن السُّكان فِي

مَدينةِ الرِّياض مَرضَ وَطال بهِ المَرضُ، فخرجَ بِهِ أَصْحابُه إِلَىٰ البَرِّ رَجاء أَنْ تَحصُل لَه رَاحةُ النَّفس، فَماتَ الرَّجل في البَر.

ولمَّا دَفنه أصحَابُه ذَكروا أنَّه كانَ عليه أسْنان مِن الذَّهب، فنبشُوا القبْر لِينزِعوا عَنه الأسْنَان فَوجدوا حيَّة عَظيمَة تَمصُّ لسَانَه وقَد انْطَوت عَلىٰ رِجلَيه، فَفَزعوا مِن ذَلك فَزعًا شَديدًا وَرَدُّوا التُّراب في القَبر.

ثُمَّ أَتوا إِلَىٰ إمَام المَسجدِ وَقد اسْتَولىٰ علَيهمُ الرُّعبُ، فأخْبَروه بِما كانَ مِنْ أمرِ الحيَّة مَع المَيت، فكَتبَ إمَام المَسجدِ إليَّ يَسألُني عَن هذِه القِصَّة.

فَذَكرْت لَه أنَّ الحَيَّة التِي رَأوهَا مَع المَيتِ هِي عَملُه السَّيء، وقُلت فِي كِتابي إلَيهِ: لَعلَّه يَسأل أصْحاب المَيتِ عَن أعْمَاله التِي يُخشىٰ عَليهِ العذَاب بِسبَبِها، فسَألهم فَذكر لهُ أحدُهم أنَّه كانَ يشربُ الدُّخان، قالَ: ومَا نعْرف عَنه شَيئًا غَير ذَلك مِن الأعْمال السَّيئة».

وَمِن قَصص أهْل الدُّخان أيضًا: مَا حدَّثني بِهِ الثِّقة صَالح بن محمَّد المُقَيطيب قال: «كُنت جَالسًا فِي دُكَّاني ضُحىٰ يَوم الجُمُعة، فمرَّ عَليَّ فُلانٌ -وَقد سمَّاه وَلكنِّي نَسيتُ اسْمَه- قالَ: فَأغلقتُ الدُّكَّان وذَهبتُ بِهِ إِلَىٰ بَيتِي وأصْلحتُ لهُ الشَّاي والقَهوة، فلمَّا أَرَاد أنْ يَشرب الشَّاي أخْرَج الدُّخان مِن جَيبِهِ لِيشرَب مِنه مَع الشَّاي، فَمنعتُه مِن شُرب الدُّخان فِي بَيتي وقُلت له: إِذَا خَرجتَ مِن بَيتي فَشأنُك ومَا تُريد.

فلمَّا انْتهىٰ مِن شُرب الشَّاي والقَهوةِ خَرج مِن بَيتي، وَبَعد خُروجِه بِزمنٍ يَسيرٍ جَاء إليَّ أحدُ المُواطِنين وقالَ: إنَّ فُلانًا -يَعني الذِي خَرج مِن عنْدِي- قُد تُوفِي فَجأة.

قالَ صَالح: فذَهبتُ فَغسَّلتهُ وكَفنتُه وَصَلينا عليهِ بَعد صَلاة الجُمعَة وَخرجنا بِهِ إلَىٰ المَقبرَةِ، ونَزلتُ فِي قَبره، فلمَّا وضعتُه فِي اللَّحد صُرف عَن القِبلَة، وقَد رَأىٰ ذَلك بَعضُ الحَاضرين عنْدَ القَبر وأَخْبَرني أنَّه رَآه حِين صُرف عَن القِبلة».

ومِن قَصص أهْل الدُّخان أيضًا: مَا ذكرَه السَّفاريني فِي كِتابهِ «**البُحُور الزَّاخِرة**»(١) قال: «أخبَرنِي الشَّيخ التَّقي المُتعبِّد وهُو غَير متَّهم بَل ثِقة صَدوقٌ - أعْني الشَّيخ صَالح ابن الشَّيخِ محمَّد جراح، سَنة سَبع وثَلاثين بعَد المَائة والألْفِ فِي شهْر رَجب فِي خَلوتِي بدِمَشق الشَّام فِي مدْرَسة الشَّيخ مُراد فِي رحْلَتي في طَلَبِ العِلم- وكَان الشَّيخ صَالح يَتردَّد عليَّ يقْرأ فِي علم العَروض.

قال: أخْبرني والدِي الشَّيخ محمَّد جراح العَجْلُوني قال: ذَكَر لِي جَماعَة مِن أهلِ بَلدةٍ -وسَمَّاها- قالوا: كَان عِندَنا رَجلٌ يُظن بهِ الخَيرُ غَير أنَّه يَشرب التَّتن، فتُوفِّي فِي يَوم شَديد الشِّتاء والبَرد فَلم يستَطِيعوا أنْ يحفُروا له قَبرًا مِن شِدَّة الثَّلج.

---

(١) (١/ ١٦٠).

فَقالوا: نَضعُه فِي خَشْخَاشة، فَفعلوا فَنزلَ عَليه رَجلٌ فَسواه ثُمَّ خرَج، فلمَّا كانَ بعْد العِشاء الآخِرة وأرَاد أنْ ينام تَذكَّر أنَّه كانَ معهُ صُرة دراهِم، وَظنَّ أنَّها إنَّما وَقعت فِي الخَشخَاشة، فَقال لأولادهِ وَكانوا ثَلاثة -أو قَال اثْنينِ-: قُوموا بِنا إلَىٰ الخَشْخَاشة وَذكر لَهم الخبَرَ، فقَالوا: غَدًا نذْهبُ إليهَا، فقالَ: بَل اللَّيلةَ لِئلا تَكون الدَّراهم فِيها فنَفتَضح غدًا.

وأمَّا الآنَ فإنْ لقينَا الدَّراهم فَبها ونِعْمَت، وإلا فَلا أحَد يَعلم خَبرَنا، قَال: فأخَذُوا ضَوءًا وَذهبُوا إلَىٰ المَحل، فَفَتح الرَّجل عَلىٰ المَيت فَلَقي القَبر مَلآنًا نَارًا عَليه، وإذا بِالميتِ جَالسٌ، وإذَا بِذَكرِه مَمدود، وَإذَا هُو وَاضعٌ رَأسَ ذَكره فِي فَمه ويُخرِج مِن فَمه دُخانٌ مُنتِن، والقَبر يَضطَرم عَليه نارًا.

قالَ: فَذُهل الرَّجلُ وَأولادُه وصَرخ بِأهل بَلدِه فَأتوا إلَيه ونَظروا حَالتَه، ولَم يقدِر الرَّجل أنْ يَهجم عَلىٰ القَبر لِينظُر الدَّراهِم لِشدَّة النَّار، قال: وهذِه قِصَّة مَعلومَة قَد أخْبرني والِدي أنَّه ذَكر هَذا جَماعَة مِن أهلِ تلكَ البَلدة، ومِن جمْلَتهم الرَّجل الذِي ضَاعت دَراهِمه، والله أعْلمُ بِحقيقة ذلك».

وَإذا عُلِم أنَّ المُصرِّين علَىٰ شُربِ الدُّخان يُعذَّبون فِي قُبورِهم ويُصرَفون عَن القِبلة إذَا مَاتوا مِن غيرِ تَوبة، فَليُعْلم أيْضًا أنَّ الإصْرار علَىٰ شُرب الدُّخان قَد يَكون سَببًا لِسوءِ الخَاتمة والعياذ باللهِ.

وقَد قَال مُحمَّد البرْزَنجي الشَّافِعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رَأيتُ مَن يتعَاطاه عِندَ النَّزع

يَقُولون لَه: قُل: لَا إِلَه إِلَّا اللهُ، فَيقُول: هَذا تَتَن حَارٌّ(١).

وذَكر بَعضُ المُؤلِّفين فِي تَحريم الدُّخان، عَن الشَّيخ مُحمَّد الفلَّاني المَغْربي -وكان من الصالحين- قالَ: «إنَّه أخْبَره أنَّ رَجلًا فِي المَدينَة المُنورَة أخْبَره أنَّ أخَاه احْتُضِر، فَجَعل يُلقِّنه الشَّهادةَ، فَقال لَه المُحتضر: يَا أخِي، إِن المَلَكَ قَد أمْسَك لِساني وَيقولُ لِي: لا أدَعْك تَنطِق بِالشَّهادة لأَنَّك كُنت تُؤذِيني بِالتَّتن».

ومِن مَضَار الدُّخان أَنَّه يَكون سَببًا لِمَوت الفجْأة، وَقد وَقع ذَلك لِغير واحِد مِمَّن أعْرِفُهم.

ومِن قَصص تعْذِيب الأمْوات فِي القُبور: مَا ذكَره السَّفارِيني فِي كتابه «**البُحُور الزَّاخِرة**»(٢) قال: «ذَكَر لِي رَجلٌ مِن أهْل القُرىٰ أنَّه سَأل حَفَّارًا عَن أعْجَب مَا رَأىٰ مِن أهْوالِ القُبورِ، قَال: كَشفتُ يَومًا عَن قبرٍ فَرأيتُ فيهِ جُثة إِنسانٍ وَفِي وَسَط تِلكَ الجُثَّة عقْرَب عَظيمٌ، وإِذَا زباناه مِثل المِرْود، وَإذا بِهِ يَضربُ تِلكَ الجُثَّة فَتنضم وتَنطَوي، فإذَا قَلع زباناه عنْها امْتَدت كَما كانْت وهكذا.

قالَ السَّفارِيني: والرَّجل الذِي أخْبرني اسْمُه محَمَّد، والحَفَّار عَطاء اللهِ. وهَذا سَمعته فِي سَنة اثْنَتين وثَلاثين عَلىٰ حَياتِه، ولَمَّا رَجعتُ مِن رِحلتِي مِن

---

(١) انظر: «الدرر السنية» (١٥/ ٦٤).

(٢) (١/ ١٦٢).

طَلب العِلم سَنة تِسع وَثلاثين سَألتُ وَلد عَطاء اللهِ عَن ذَلك فقال: وأنا واللهِ سَمعتُ ذَلك مِن وَالدي، وهذا عِندِي غَير مُتَّهم، وهَذا شَيء قَد عَاينه النَّاس وتَواتر وكثُرت الحِكاياتُ فِيه، وَهو ممَّا يَجب الإيمَان بهِ ولا يُنكرُه إلَّا ضَالٌّ».

* * *

فصل

وأمَّا مَا سَمِعه بعضُ النَّاس مِن تَعذِيب الأمْوَات فِي القُبور، فقدْ جَاء فيهِ قَصصٌ كثيرة.

منْها: مَا رَواه ابن أبِي الدُّنيا فِي كتَاب «**مَن عَاش بَعْد المَوت**»، عَن دَاود بن شَابور، عَن أبِي قَزعة -رَجل مْن أهْلِ البَصْرة- عَنه أو عَن غيرِه، قَال: «مَرَرْنَا فِي بَعض المِياه التِي بَيننا وبينَ البَصرَة، فسَمعْنا نَهيقَ حِمَار فَقلنا لَهم: مَا هذا النَّهيق؟ قالُوا: هَذا رَجلٌ كَان عِندنَا كَانت أمُّه تُكلِّمه بِالشيءِ فَيقول لَها: انْهقي نَهيقَك، وكَانتْ أمُّه تَقول: جَعلكَ اللهُ حِمارًا، فَلمَّا مَات كانَ يُسمَع هَذا النَّهيقُ عِند قَبرِه كُل ليلَة»(١).

ومِن القَصص في هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا فِي كتاب «**مَن عَاش بَعد المَوت**»، عَن يَحيىٰ المَدني، عَن سَالِم بن عَبد اللهِ، عَن أَبِيه رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٢٦).

قالَ: خَرَجتُ مَرة لِسفر -فَذكرَ القِصَّة وَفيها-: «ثمَّ أضَافَني اللَّيل إِلَىٰ بَيت عَجوزٍ إِلَىٰ جَانبِ بَيتِها قَبرٌ، فَسمعْت مِن القَبر صَوتًا يَقول: بَوْلٌ وما بَوْلٌ، شَنٌّ وما شَنٌّ؟ فَقلتُ للعَجُوز: مَا هَذا؟ قَالت: هَذا كَان زَوجًا لِي، وكَان إِذَا بَال لَم يُنَقِّ البَول، وكُنتُ أقُول لَه: وَيحكَ! إنَّ الجَمَل إذَا بَال تَفَاج، فَكان يَأبىٰ. فَهو يُنادِي مُنذُ يَوم مَات: بَول ومَا بَول؟

قلت: فما الشَّن؟ قَالت: جَاءه رَجلٌ عَطشان فَقال: اسْقِني، فَقال: دُونَك الشَّنَّ، فَإذا لَيس فِيه شَيءٌ، فَخرَّ الرَّجلُ مَيتًا، فَهو يُنادِي مُنذ يَوم مَات: شَنٌّ وما شَنٌّ؟ فَلمَّا قَدمتُ عَلىٰ رَسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخبَرتُه فَنهىٰ أنْ يُسافِر الرَّجل وحْده»(١).

ومن القَصَص فِي هَذا البَاب أيضًا: ما ذكَره الحَافظُ ابنُ رَجب فِي كِتابِهِ «**أهْوَال القُبُور**»(٢)، عَن أَبِي الحَسَن بن البَرَاء قَال: حدَّثني عَبد اللهِ بن مُحمَّد المَدني قال: «كانَ لِي صَديقٌ فَقال: خَرجتُ إِلَىٰ ضَيعَتي فأدْرَكتْني صَلاة العَصر إِلَىٰ جَانب مَقبَرة، فَصلَّيتُ العَصر قَريبًا منْها، فبَينَما أنَا جَالسٌ إذْ سَمعتُ مِن نَاحية القُبور صَوتًا وأنينًا، فدَنوتُ مِن القَبر الذِي سَمعت مِنهُ الأنِينَ فَإذا هُو يَقول: آهٍ! قَد كُنت أصُوم، قَد كُنت أصَلِّي، فأصَابتنِي قُشَعْريرَة، فدَعوتُ مَن

---

(١) المصدر السابق (٣٣)، وفي إسناده كلثوم بن جوشن ضعيف، وشيخه يحيىٰ المدني قال ابن رجب: «غير معروف»، انظر: «أهوال القبور» (ص٦٣).

(٢) (ص٦٧).

حَضَرني فَسمعَ مِثلَ مَا سَمِعت ومَضيتُ إلَىٰ ضَيعتِي.

ورَجعت في اليَوم الثَّاني فَصليتُ فِي مَوضِعي الأوَّل وصَبرتُ حتَّىٰ غابَت الشَّمس وصَليْت المَغرِب، ثُمَّ اسْتمعْت علَىٰ ذَلكَ القَبر فَإذا هُو يَئن ويَقول: آهٍ! قدْ كُنت أصُوم، قَد كُنت أصَلي. فرَجعت إلَىٰ أهْلي فَحُمِمتُ ومرِضْتُ شَهرين». [وَقد ذَكر هذِه القِصَّة السَّفَّاريني فِي كِتابِه «**البُحُور الزَّاخِرة**»[1] نَقلًا عَن ابن الجَوزي].

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا رَواه اللالكائي فِي كِتابِه «**شُرْح السُّنَّة**»، عَن يَحيىٰ بن مَعين قَال: «قالَ لِي حفَّار مَقابر: أعْجَب مَا رَأيتُ فِي هَذه المَقابرِ أنِّي سَمعتُ مِن قَبر أنينًا كَأنين المَريضِ»[2].

ورَوىٰ أيْضًا عَن الحَارث المُحاسبي قَال: «كنتُ فِي الجَبَّانة فِي البَصرَة عَلىٰ قَبر فَأسمَع مِن القَبر: أَوَّاه مِن عَذاب الله». [وَقد ذَكر ابنُ رَجب هَذه القِصَّة فِي كِتابِه «**أهْوَال القُبُور**»][3].

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره السَّفَارِيني فِي كِتابِه «**البُحور**

---

(١) (١/ ٢٢٩).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٦) (٢١٥٣).

(٣) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٦/ ١٢١٧) (٢١٥٥)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٦٧) لابن رجب.

الزَّاخِرة»(١) قَال: «لقَدْ سَمعَت أُذُنَاي وَوَعىٰ قَلبِي -وَعُمرِي إذْ ذاكَ نَحو تِسع سِنينَ- صُراخَ مَيت مِن خَشْخَاشة.

وذَلك أنِّي كُنت مَع أجيرٍ لنَا -يُدعىٰ حَمَدًا- نَاحية الجَبَّانة، وكانَ قَد دُفن رَجلٌ يُقال لَه: شَحادة الهَمشَري، فِي خَشْخَاشة فِي طَرَف الجَبَّانة، فلمَّا دنَوت مِن الجَبَّانة سَمعتُه يَتضجَّر ويَصيحُ تَضجُّر الذِي يُضربُ بالسِّياط وأبْلغ.

وسَمِع ذلكَ أجِيرُنا، فَفزِعْت لِذلكَ فَزعًا شَديدًا. وسَمع ذَلك مِن تِلك الخَشْخَاشة جَماعةٌ فِي مرَّات مُتعدِّدة، ومضَىٰ عَليَّ مُدةٌ طَويلةٌ لا أسْتَطيعُ أنْ أَهجم عَلىٰ الجَبَّانة بِسببِ ذَلك، حتَّىٰ منَّ اللهُ عليَّ بِقراءَة القرآنِ، وذَلك سَنةَ إحْدىٰ وثَلاثينَ ومائَة وألْف، وعُمري إذْ ذاك نَحو سِت عَشَرة سَنة».

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره السَّفارِيني فِي كِتابِه «**البُحور الزَّاخِرة**» قال: «أخْبَرني بَعضُ إخْواني -وهُو عنْدي غَير مُتَّهم- أنَّ رَجلًا مِن بَلدِهم مَاتتْ زَوجَته، قَال: وكانتْ تَتعاطَىٰ الرِّبا -بالباءِ المُوحَّدة- فَلمَّا كَان وَقت العِشاءِ سَمع زَوجُها صَريخًا مِن دَاخل القَبر، وكانَ جَالسًا فَي بَاب دَاره، فَلما سَمعهَا أَخذته الحُشُومة مِن أجْلِها، وكَان ذَا شِدَّة وبأس، فأخذَ سِلاحَه وذَهب إلَىٰ عِندِ قَبرهَا فَوقف عَليها وقَال لَها: لا تَخافي فإنِّي عِندك، زَعمًا مِنه أنَّه سَينقِذُها ممَّا هِي فيه لشِدَّة عُتوِّه وجَهله، وتَناول حَجرًا مِن القبر. قال: فَما رَفع

---

(١) (١/ ١٦١-١٦٢).

رَأسَه حتَّىٰ ضُرب ضَربةً أبْطلت حَرَكته وأرْخَت مفَاصِله وأدلع لِسانَه، فَرجع إلَىٰ حَالٍ قَبيحة وهَيئة فَضيحة.

قال: فواللهِ لقَد رأيتُه وهُو قَد رُضَّ حَنكُه وبُصاقُه ينـزِل عَلىٰ صَدره. قال: وَهذا خَبر اسْتَفاض عندَ أهلِ البَلد كلها».

قلتُ: هَذه القِصَّة قَد تقدَّم ذِكرُها فِي الفَصل الذِي ذُكِرَتْ فيه العُقوباتُ فِي الدُّنيا بِما دُون المَوت، وإنَّما ذَكرتُها هُناك لمَا جَاء فيهَا مِن عُقوبة زَوج المَرأة عَلىٰ عُتوِّه وجَهله، وأعدْتُ ذِكرَها هنا لمَا جَاء فيهَا من سَماع صُراخ المَرأة فِي قبرها».

ومِن القَصص فِي هذا البَاب أيضًا: ما ذَكَره ابن حَجر الهَيتَمي في مُقدِّمة كتَابِه «**الزَّواجِر عَن اقْتَرَاف الكبَائر**»[1] قَال: «كُنتُ وَأنَا صَغيرٌ أتَعاهدُ قَبر وَالدي، فخَرجتُ يَومًا بَعد صَلاة الصُّبح بَغلَس فِي رَمضان، فلمَّا جَلستُ عنْدَ قَبره -ولَم يَكن بِالمقْبَرة أحدٌ غَيري- إذَا أنَا أسْمَع التَّأوُّه العَظيم والأنِين الفَظيع بِـ(آهٍ آه آه)، وهَكذا بِصوت أزْعَجني مِن قَبر مَبني بالنورة والجَص لَه بَياضٌ عَظيم.

فاسْتَمعت، فَسمعْتُ صَوت ذلكَ العَذاب مِن دَاخلِه، وذلكَ الرَّجل المُعذَّب يَتأوَّه تَأوُّهًا عَظيمًا بِحيثُ يُقلقُ سَماعُه القَلبَ ويُفزِعُه، فاستمَعْت إلَيه زَمنًا.

فلمَّا وَقع الإسْفار خَفِي حِسُّه عَني، فَمرَّ بِي إنسانٌ فَقلت: قَبرُ منْ هَذا؟ قَال:

---

(١) (١/ ٢٥).

هَذا قَبر فُلان، لِرجلٍ أَدركْتُه وأَنَا صَغير، وكَان عَلىٰ غايَة مِن مُلازمَة المَسجدِ والصَّلواتِ فِي أوْقَاتها والصَّمتِ عَن الكَلام، وهَذا كُلُّه شَاهدتُه وعَرفتُه منْه.

فكَبُر عليَّ الأمْرُ جِدًّا لِمَا أعْلَمُه مِن أحوَال الخَير التِي كَان ذَلك الرَّجل مُتلبِّسًا بهَا فِي الظَّاهر، فسَألتُ واسْتَقصَيتُ الذِين يَطَّلعُون عَلىٰ حَقيقَة أحْوالِهِ فأخْبَروني أنَّه كَان يأكُل الرِّبا، فَأوقعه ذَلك فِي العَذاب الألِيم».

ومن القَصص فِي هَذا البَاب: مَا حدَّثني بهِ الشَّيخُ إسْماعِيل بن مُحمَّد الأنْصاري قالَ: «مَات عِندنَا فِي صَحراء مَالي مِن إفْريقِيَّا شَابٌّ عَاقٌّ، فكَان يُسمَع الأنِينُ مِن قَبره، فنَبشوه يَحسبُون أنَّه حَيٌّ فَوجدوه عَلىٰ حَاله التِي وضَعُوه عَليها ميتًا.

قالَ: وَلا يَزال يُسمَع الأنِين مِن قَبره بعْدَما رَدُّوا عَليه التُّراب. قال: وَقد أخْبَرني بِذلكَ مَن سَمعَ الأنِين مِن قَبره».

❋ ❋ ❋

فصل

وأمَّا القِسم الثَّالث: وهُو مَا وقَعَت الرُّؤية لَه فِي المَنام أو الإغمَاء مِن تَعذيب أهلِ البِدَع والمُصِرين عَلىٰ المَعاصي مِن الظَّلَمة وغَيرهم، فقدْ جَاء فِيهِ قصَص كَثيرةٌ.

منها: مَا رَواهُ ابنُ أَبِي الدُّنيا قَال: حدَّثني أحْمد بن جَميل، حدَّثنا عَبد اللهِ بنِ المُباركِ، أخبَرنا عَبد الرَّحمن بن عبد اللهِ بن دِينار، عَن زَيد بن أَسْلم قَال: «أغْمِي عَلىٰ المِسْور بن مَخرمَة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ثمَّ أفاقَ فقَال: أَشْهَد أنْ لا إلَه إلا اللهُ وَأنَّ محَمَّدًا رَسولُ اللهِ، أحَبُّ إليَّ مِن الدُّنيا ومَا فِيها: عبد الرَّحمن بن عَوف فِي الرَّفيقِ الأعْلىٰ مَع الذينَ أنْعَم اللهُ علَيهِم مِن النَّبيِّين والصِّدِّيقينَ والشُّهدَاء والصَّالِحين وحَسنَ أولَئكَ رَفيقًا، وَعبد المَلِك والحَجَّاج يَجُرَّان أمْعاءَهما فِي النَّار».

[وقَد ذَكر الحَافظ ابن حَجَر هَذه القِصَّة فِي تَرجَمة الحَجَّاج بن يُوسُف مِن «**تَهذيبِ التَّهْذِيب**»، ثمَّ قَال: هَذا إسْنَاد صَحيح، ولَم يَكن لِلحجَّاج حَينئذٍ ذِكر، ولا كَان عَبد المَلك وَلِي الخِلافة بَعْدُ، لأنَّ المِسْوَر مَات فِي اليَوم الذِي جَاء فيهِ نَعيُ يَزيد بنِ مُعاويَة مِن الشَّام، وذَلك فِي رَبيع الأوَّل سَنةَ أرْبع وسِتِّين مِن الهِجْرة. انتهىٰ][1].

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب: ما رَواه أبُو نُعيم فِي «**الحِليَة**» فِي تَرجَمة عُمر بن عَبد العَزيز رحِمَه اللهُ تَعالىٰ، عَن أبِي حَازم الخناصِري الأسَدِي. فقَد ذَكر أبُو نُعيم لَه قِصَّة طوِيلة مَع عُمر رَحِمَهُٱللَّهُ، وفيها: «أنَّ عُمر أُغمِي عَليه وَرأىٰ أنَّ القِيامَة قَد قَامتْ، وأنَّه أُوقِفَ بَين يَدَي اللهِ، وأنَّ اللهَ رَحمهُ وأمَر بِه إلىٰ الجَنَّة.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٣٥٧)، وانظر: «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢١١).

قال: فبيْنَا أَنَا مَارٌّ مَع المَلكَين المُوَكَّلينِ بِي إذْ مَررتُ بِجيفَة مُلقاةٍ عَلىٰ رَماد فَقلتُ: مَا هَذه الجِيفة؟ قَالوا: ادْنُ منهُ وسَلهُ يُخبِرك، فَدنوتُ منهُ فَوكزتُه بِرجْلي وقُلت لَه: مَن أنت؟ فقَال لِي: مَن أنْت؟ قُلت: أنَا عُمر بن عبد العَزيز، قَال لي: مَا فَعل اللهُ بِك وبِأصحابِك؟ قُلت: أمَّا أرْبعة فأُمِر بِهم ذَات اليَمين إلَىٰ الجَنَّة، ثُمَّ لا أدْري مَا فَعل اللهُ بِمن كَان بَعد عَلي.

فَقال لي: أنْتَ ما فَعل اللهُ بِك؟ قلتُ: تَفضلَ عَليَّ رَبي وتَداركني مِنه بِرحمَة، وقَد أمَر بِي ذَات اليَمين إلَىٰ الجنَّة، فقَال: أنَا كَما صَرت، ثلاثًا، قُلت: أنْت من أنْت؟ قال: أنَا الحجَّاج بن يُوسُف، قُلت لَه: حَجَّاج، أرْدُدها عَليه ثلاثًا، قُلت: مَا فَعل اللهُ بِك؟ قَال: قَدمتُ عَلىٰ ربٍّ شَديد العِقَاب، ذِي بَطشَة مُنتَقمٍ مِمَّن عَصاه، قَتلنِي بِكلِّ قِتلة قَتلتُ بِها مِثلها، ثُمَّ هَأنَذا مَوقوفٌ بَين يَدي رَبِّي أنْتَظر مَا يَنتظِرُ المُوَحِّدون مِن رَبِّهم، إمَّا إلَىٰ جنَّة وإمَّا إلَىٰ نَار». [وقد ذكَرَ هذِه القِصَّة ابنُ الجَوزِي فِي «سِيرة عُمر بن عَبد العَزيز» وذَكرهَا غَيرُه][١].

ومن القصَصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره ابن كَثير في «**البِدايَة والنِّهاية**»[٢]، عَن الأصْمَعي، عَن أبِيه قَال: «رأيتُ الحَجَّاج فِي المَنام فَقلتُ: مَا

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٢٩٩)، وغيره، وفي إسناده بقية بن الوليد يدلس ويسوي وقد عنعنه، وفيه أيضًا من لم يسم، والخناصري هذا لم أقف علىٰ من تكلم فيه بجرح ولا تعديل.

(٢) (٩/ ١٣٩).

فَعل اللهُ بِك؟ فَقال: قتَلني بِكل قِتلَة قَتلتُ بِها إِنْسَانًا، قَال: ثمَّ رأيتُه بعْد الحَول، فَقلتُ: يَا أبا مُحمَّد، مَا صَنع اللهُ بِك؟ فَقال: يَا مَاصَّ بَظْر أُمِّه! أمَا سَألتَ عَن هَذا عَامَ أول؟

وقالَ القَاضي أبُو يوسف: كُنتُ عِند الرَّشيد فَدخل علَيه رَجلٌ فقَال: يَا أميرَ المُؤمنِين، رَأيتُ الحجَّاج البَارحَة فِي النَّوم، قَال: فِي أي زِيٍّ رأيتَه؟ قالَ: فِي زي قَبيح، فَقلتُ: مَا فعلَ اللهُ بكَ؟ فَقال: مَا أنْتَ وَذاك يَا مَاصَّ بظرِ أُمِّه! فَقال هَارون: صَدق واللهِ، أنتَ رأيتَ الحجَّاج حقًّا. مَا كانَ أبو مُحمَّد ليَدعَ صَرامَته حيًّا وميتًا».

ورَوَىٰ حَنبلُ بن إسْحَاق بإسنَادِه عَن أشْعَث الحدَّاني قَال: «رأيْتُ الحجَّاج فِي المَنام فِي حالٍ سَيئة، فقلتُ: يَا أبَا مُحمَّد، مَا صَنع بِك رَبُّك؟ قَال: مَا قَتلتُ أحدًا قِتلةً إلا قَتلني بِها، قالَ: ثُمَّ أمَر بِي إلَىٰ النَّار، قُلت: ثُمَّ مَه؟ قَال: ثُمَّ أرْجُو مَا يَرجُو أهلُ لا إلَهَ إلا اللهُ». [وَقد رَواه عَبد اللهِ بنِ الإمَام أحْمَد فِي «**زوَائِد الزُّهد**» بِنحوه][1].

ومِن القَصَص فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه الخَطيب البَغدَادي في «**تَاريخِه**»[2]، عَن أحمد بن الدَّوْرَقي قَال: «ماتَ رجلٌ مِن جيرانِنا شَابٌّ فرَأيتُه

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» (١٢/ ٢٠١) لابن عساكر، و«البداية والنهاية» (٩/ ١٣٩) لابن كثير.

(٢) (٧/ ٥٣١).

فِي اللَّيلِ وَقد شابَ فَقلت: مَا قصَّتُك؟ قَال: دُفن بِشْرٌ فِي مقْبَرتِنا فزفَرت جَهنَّم زَفرَةً شَابَ مِنها كُلُّ من فِي المَقبرة».

ومِن القَصص فِي هَذا البَاب أيضًا: مَا روَاه الخَطيبُ فِي «**تَاريخِه**»وابْن الجَوزِي فِي «**مَناقِب أحْمَد**»، عَن عبد اللهِ بنِ المُبارك الزَّمِن قَال: «رأيْتُ زُبيدَة فِي المَنام فقُلت: مَا فعل اللهُ بكِ؟ قالَت: غَفر لِي بِأوَّل مِعول ضُرب في طَريق مَكَّة، قُلت: فَما هذِه الصُّفرة فِي وَجهك؟ قَالت: دُفنَ بينَ ظَهرانِينا رَجلٌ -يقَال لَه: بِشر المَريسي- زَفرت علَيه جَهَنَّمُ زفْرَةً فاقْشَعرَّ لَها جْلدي، فَهذه الصُّفرَة مِن تِلكَ الزَّفرة»(١).

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب: مَا رَواهُ الخَطيبُ أيضًا(٢)، عَن سُفيان بن وكِيع قَال: «رأيْتُ كَأنَّ جَهنَّم زَفرَت فخرَجَ مِنها اللَّهبُ، فَقلْت: مَا هذا؟ قَال: أُعدَّت لابن أَبِي دُؤاد».

ومِن القَصصِ فِي هَذا البَاب أيْضًا: مَا رَواه الآجُرِّي فِي كتَاب «**الشَّرِيعة**»، عَن بَقيَّة بن الوَليد قَال: حدَّثني أبُو غِيَاث قَال: «بينَا أنَا أُغسِّل رَجلًا مِن أهْلِ القَدر. قَال: فَتفرقُوا عنِي، فَبقيتُ أنَا وَحدي، فقُلت: ويْل للمُكذِّبين بِأقْدار اللهِ، قَال: فانْتَفض حتَّىٰ سَقط عَن دفه.

---

(١) انظر: «تاريخ بغداد» (١٦/ ٦١٩)، و«مناقب أحمد» (ص٦٢٧).

(٢) انظر: «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٣٣).

قَال: فلمَّا دفنَّاه عِند بَاب الشَّرقي رأيتُ فِي ليلَتِي تِلك فِي مَنامِي كأنِّي مُنصَرفٌ مِن المَسجدِ إذَا بِجنازَة فِي السُّوق يَحمِلها حَبشيَّان رِجلاهَا بَين يَديهِما، فَقلت: مَا هذا؟ قَالوا: فُلان، قُلت: سُبحانَ اللهِ! أليْس قَد دفنَّاه عِند بَاب الشَّرقي؟ قالَ: دَفنتمُوه فِي غيرِ موضِعه، فقلتُ: واللهِ لأتْبَعنه حتَّىٰ أنْظر مَا يصنع بهِ. فلمَّا أن خَرجوا بِه مِن بَاب اليَهودِ مَالوا بهِ عَلىٰ نَواوِيس النَّصارىٰ فَأتوا قَبرًا منْها فَدفنُوه فيه، فبدَت لِي رِجلاه، فَإذا هوَ أشدُّ سَوادًا مِن اللَّيل»(١).

ومنَ القَصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا، ما ذَكره ابن حَجر الهَيتَمي فِي مُقدِّمة كِتابه «الزَّواجر عَن اقْترافِ الكَبائر»(٢)، عنْ إبْراهِيم التَّيمِي قَال: «كُنت كَثيرَ التَّردُّد إلَىٰ المَقابر أذكُر المَوتَ والبِلىٰ. فبَينما أنَا ذاتَ ليلَة بِها إذْ غَلبتْني عينَاي فنِمتُ فَرأيت قَبرًا قد انْشقَّ، وسَمِعتُ قائلًا يقول: خذوا هَذه السِّلسلةِ فَاسلُكوها فِي فيهِ وأخْرجُوها مِن دُبرهِ، وإذَا المَيِّت يقُول: يَا ربِّ، ألمْ أكنْ أقرأ القُرآنَ؟ ألمْ أحُج بَيتك الحَرام؟ وجَعل يُعدِّد أفعَال البِر شيئًا بعْد شَيء، وإذَا قائل يَقول: كُنتَ تفْعَل ذَلكَ ظَاهرًا، فَإذا خلَوت بَارزْتَني بالمَعاصي ولَم تُراقِبني».

ومن القَصص فِي هذا البَاب أيضًا: مَا ذَكره اللالكائي فِي كِتابه «شَرح السُّنَّة»، عَن يُوسف بن الحَسن بن إبْراهيمَ الخَيَّاط، قَال: «كانَ فِي الجانِب

---

(١) أخرجه الآجري في «الشرِيعة» (٢/ ٩٦٣) (٥٦٢).

(٢) (١/ ٢٤).

الشَّرقي فِي وَقت أَبِي الحَسن بن بُويه رَجلٌ دَيلمِي مِن قُوَّاده يُسمىٰ (جبنة) مَشهور وَجه مِن وجُوه عَسكَره.

ويذكُر جَماعة مِن الحَاضرين لِهذه الحِكاية أنَّه كَان رَجلًا مَشهورًا لَه مَال ونَجدة وجَمَال، قَال: بَينَما هو وَاقفٌ يَومًا فِي مَوسِم الحَاج بِبغدَاد، وَقد أَخَذَ النَّاس فِي الخُروج إلَىٰ مكَّة، إذْ عَبر بِهِ رَجل يُعرف بِعلي الدَّقَّاق -معَافِري-.

قَال يُوسف: هُو حدَّثني بهذِه القِصَّة إذ هُو صَاحبُها والمُبتلىٰ بِها، وكُنت أسْمع غَيره مِن النَّاس يذْكرُونها لشُهرتِها إلا أنِّي سَمعتُه يقُول: عَبرت عَلىٰ جبنة، فقَال لي: يَا عَلي، هُو ذا تَحُج هَذه السَّنة؟

قلتُ: لَم تتفِق لِي حَجَّة إلَىٰ الآنِ، وأنَا في طلَبِها، فَقال لِي جَوابًا عَن كَلامي: أنَا أُعطيك حَجَّة، فَقلت لَه: مِن غَير أنْ يَصح فِي نَفسي كَلامُه، هاتِها.

فقال: يَا غُلام، مُرَّ إلىٰ عُثمانَ الصَّيرَفي وقُل لَه: يزنُ لكَ عِشرين دِينارًا، فمَررْت مَع غُلامه فَوزن لَه عُثمان عِشرين دِينارًا ورَجعتُ إليهِ، فقال لي: أصْلِح أمُورك، فإذَا عزَمتَ عَلىٰ الرَّحيلِ فأرِني وَجهَك لأوُصِيك بِوصيَّة.

فانْصرفتُ عَنه وهيَّأت أمُوري فَرجعت إلَيهِ فَقال لِي: أوَّلًا قَد وَهبت لكَ هَذه الحَجَّة وَلا حَاجة لِي فيهَا، ولَكن أحَمِّلك رِسالة إلَىٰ مُحمَّد، فَقلتُ: مَا هي؟ قالَ: قُل لَه: أنَا بَريء مِن صَاحبَيك أَبِي بكرٍ وعُمر اللذين هُما مَعك.

ثمَّ حَلَّفني بالطَّلَاق أنَّك لتَقولنَّها وَتُبلغنَّ هذِه الرِّسالة إلَيه. فَورد عَليَّ مَورد

عَظيم، وخَرجت مِن عِنده مَهمومًا حَزينًا، وحَججتُ وَدخلْت المَدينَة وزُرتُ قَبر رَسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وصِرت مُترَدِّدًا فِي الرِّسالة أبلِّغها أمْ لا، وفكَّرْت فِي أنِّي إنْ لَم أبَلِّغها طَلَّقت امْرأتي، وإنْ بَلَّغتُها عَظمت عليَّ ممَّا أواجِه بهِ رسَولَ الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

فاستَخَرتُ اللهَ تَعالىٰ فِي القَول، وقُلت: إنَّ فَلان بن فُلان يَقُول كَذا وكَذا، وأدَّيت الرِّسالة بِعينِها، واغْتَممتُ غَمًّا شَديدًا، وتنَحَّيت ناحِية فغَلبَتنِي عَينَاي، فرأيتُ النَّبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فقَال: قَد سَمعت الرِّسالَة التِي أدَّيتَها، فَإذا رَجعتَ إلَيهِ فَقل لَه: إنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ يقُول لَك: «أبشِر يَا عَدُوَّ اللهِ يَومَ التَّاسِع وَالعِشرِين مِن قُدُومِك بَغدَادَ بِنارِ جَهنَّم».

وقُمت وخَرجتُ ورَجعتُ إلَىٰ بغْدادَ، فَلمَّا عَبرتُ إلَىٰ الجانبِ الشَّرقي فكَّرت وقلتُ: إنَّ هَذا رجلُ سُوء، بَلَّغت رِسالَته إلَىٰ رَسول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أبلِّغ رِسالَته إلِيه، ومَا هُو إلا أنْ أُخبرُه بهَا حتَّىٰ يأمُر بِقتْلي أو يَقتُلني بِيده، وأخَذتُ أقَدِّم وأؤخِّر، فَقلت: لأَقولنَّها ولَو كانَ فِيها قَتلي، وَلا أكْتُم رِسالَته وأخَالِف أمرَه.

فدخَلتُ عَليه قَبل الدُّخول عَلىٰ أهْلي، فمَا هُو إلا أنْ وَقعت عَينُه عليَّ فَقال لي: يَا دقَّاق، مَا عِملتَ فِي الرَّسالَة؟ قُلتُ: أدَّيتُها إلَىٰ رَسول اللهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ولكن قَد حَمَّلني جوابَها، قَال: مَا هي؟ فَقصصتُ عَليه رؤياي.

فَنظر إليَّ وقالَ: إنَّ قَتل مِثلِك عَليَّ هيِّن -وسَبَّ وشَتَم- وكَان بَيدِه زوبين يهزُّه فَهزَّه فِي وَجهي، ولكِن لَأتْرُكنَّك إلَىٰ اليَوم الذِي ذَكرتَه ولأقتلنَّك بِهذا الزَّوبينَ -وأشَار إلَىٰ الزَّوبين- ولامني الحاضِرُون، وقالَ لغُلامِه: احْبِسه فِي الإصطَبل وَقيِّده.

فَحُبستُ وقُيدتُ وجَاءني أهْلِي وبَكوا عليَّ ورثَوا لِي وَلامُوني، فَقلت: قُضِي الذي كَان، وَلا مَوت إلا بِأجَل، ولَم تَزل تَمر بِي الأيَّام والنَّاس يتَفقَّدُوني ويَرحمُوني ممَّا أنَا فيهِ.

حتَّىٰ مضت سبعة وعشرِين يَومًا، فلمَّا كَانت الليلَة الثَّامِنة والعِشرون اتَّخذ الدَّيلمِي دَعوة عَظيمةً أحْضَر فيهَا عامَّة وَجوه قُوَّاد العَسكر وجَلس مَعهم للشُّربِ، فلمَّا كانَ نِصف الليلِ جَاءني السَّايس فقَّال: يَا دقَّاق، القَائد أخَذتْه حُمَّىٰ عَظيمَة وقَد تَدثَّر بجَمِيع مَا في الدَّار وَوقع عليهِ الغِلمانُ فَوق الثِّياب وَهو يَنتفضُ فِي الثِّياب نَفضًا عَظيمًا، وكانَ علَىٰ حاله اليَوم الثَّامن والعِشرين، وأتَت لَيلة التَّاسع والعِشرين، ودَخل السايس نصْف اللَّيلِ وَقال: يَا دقَّاق، مَات القَائد.

وحلَّ عَني القَيد، فَلمَّا أصْبحْنا اجْتمَع النَّاس مِن كُل وَجه وجَلس القُوَّاد للعَزاء وأُخرِجْت أنا. وكَانت قِصَّتي مَشهورة واستَعادوني فَقصصْت علَيهم، ورَجع جَماعةٌ كثيرَةٌ عَن مذاهبِهم الرَّدِيئة وخُلِّيت أنا»(١).

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٧/ ١٣٣٢) (٢٣٧٢).

ومنَ القصصِ فِي هَذا البَاب أيضًا: ما ذَكَره ابنُ أَبِي الدُّنيا قَال: حدَّثني أبُو بَكر الصَّيرفي قال: «ماتَ رَجلٌ كَان يشتِمُ أبَا بَكر وعُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، ويَرىٰ رَأي جَهم، فأُريه رَجلٌ فِي النَّوم كأنَّه عُريَان عَلىٰ رأسِه خِرقَة سَوداء وعَلىٰ عَورتِه أخْرىٰ، فقالَ: مَا فَعل اللهُ بِك؟ قَال: جَعلنِي مَع بَكر القَس وعَوْن بن الأعْسَر، وهذَان نصْرَانيان»(١).

[وقَد ذَكر هَذه القِصَّة ابنُ الجَوزِي فِي «**سيرَة عُمر بن الخَطَّاب** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ»].

ومِنَ القَصص التِي تَدخُل فِي هَذا البَاب: مَا ذَكرَه ابنُ أَبِي الدُّنيا، عَن سَعيد بن خالِد بن يَزيد الأنْصَاري، عَن رَجل مِن أهْل البَصرَة كَان يَحفُر القُبور قَال: «حفَرت قَبرًا ذاتَ يَوم وَوضعْتُ رَأسِي قَريبًا مِنه، فَأتتْني امْرَأتان فِي مَنامي فَقالت إحداهُما: يا عَبد اللهِ، نَشَدْتُك بِاللهِ إلا صَرفتَ عنَّا هَذه المَرأةِ ولَم تَجاوِرنَا بهَا، فاسْتَيقَظتُ فَزِعًا، فَإذا بِجنَازة امْرأةٍ قَد جِيء بِها، فقُلت: القَبر وَراءَكم، فَصرفْتُهم عَن ذَلك القَبر، فلمَّا كَان اللَّيل إذَا أنَا بِالمَرأتين فِي منَامي تَقول إحدَاهما: جَزاك اللهُ عنَّا خيرًا، فلقَد صَرفتَ عنَّا شَرًّا طَويلًا»(٢).

ومنَ القَصص التِي تَدخل فِي هَذا البَاب أيضًا، ما رَواه ابنُ أَبِي الدُّنيا، عَن عَمرو بن مُسلم، عَن رَجل حَفَّار للقُبور قَال: «حفرْتُ قَبرَين وَكنتُ فِي الثَّالث،

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (٢٢١).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (١٣٧).

فاشتدَّ عليَّ الحرُّ فَألقيْتُ كِسائِي عَلىٰ مَا حَفرت واستَظَلَلتُ فيهِ.

فبينا أنَا كَذلكَ إذْ رَأيتُ شَخصين عَلىٰ فَرسين أشْهبَيْن فوقَفَا عَلىٰ القَبر الأوَّل، فقَال أحدُهما لِصاحبِهِ: اكتُب. قَال: مَا أكتب؟ قال: فَرسَخ فِي فرسَخ.

ثمَّ تَحوَّلا إلَىٰ الآخر فقَال: اكْتب، قَال: وَما أكْتُب؟ قَال: مَدَّ البصر. ثمَّ تحَولَا إلَىٰ الآخَر الذِي أنَا فيهِ قال: اكْتُبْ، قَال: وَما أَكتُبُ؟ قَال: فِتْر فِي فِتْر.

فقعَدتُ أنْظُر الجَنائزَ فِجيء بِرجلٍ مَعه نَفرٌ يَسيرٌ فَوقفوا عَلىٰ القَبرِ الأوَّل، قُلتُ: مَا هَذا الرَّجل؟ قَالوا: إنْسانٌ قَرَّاب -يَعْنِي سَقَّاء- ذُو عِيَال ولَم يَكن لَه شَيء فَجمعْنَا لَه، فَقلتُ: رُدُّوا الدَّراهِم عَلىٰ عِيالِه، وَدفنته مَعَهم.

ثُمَّ أُتِي بِجنَازة لَيس مَعها إلا مِن يَحمِلُها، فَسألوه عَن القَبر الذِي قَال مَدَّ البصر، قُلت: مَن ذَا الرَّجل؟ قَالوا: إنْسانٌ غَريبٌ مَات عَلىٰ مَزبلَة وَلم يَكن مَعه شَيءٌ، فَلم آخُذ مِنهم شَيئًا، وصلَّيتُ عَليه مَعهم. وقَعدْت أنْتِظر الثَّالث فَلم أزل أنْتَظر إلَىٰ العِشاء، فَأُتِي بِجنَازة امْرأة لَبعضِ القُوَّاد فَسألتُهم الثَّمن فَضربُوا بِرأسِي ودَفنُوها فيهِ»(١).

ومنَ القَصَص التِي قَد اجْتَمع لِصاحِبها رُؤيَة عَمله الحَسن وعَمِله الخَبيثِ: مَا رَواه ابنُ أبِي الدُّنيا فِي كتابِ «**مَن عَاش بَعْد المَوْت**»، عَن أبِي مَسعود

---

(١) انظر: «أهوال القبور» (ص٢٠) لابن رجب، و«شرح الصدور» (ص١٥٦) للسيوطي، و«البحور الزاخرة» (١/ ١٥٩) للسفاريني.

الجُرَيرِي قَال: ذَكر شَيخٌ فِي مَسجدِ الأَشْيَاخ كَان يُحدِّثُنا عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَال: «بينَما نَحنُ حَول مَريضٍ لَنا؛ إِذْ هَدأ وسَكن حتَّىٰ مَا يَتحرَّك مِنه عِرق، فَسجَّيناه وأَغْمضْنَاه وأرْسلنَا إِلَىٰ ثِيَابِه وسِدره وسَريرِه.

فلمَّا ذهَبنا نحمِلُه لِنُغَسِّله تَحرَّك، فَقلنا: سبْحَان اللهِ! مَا كُنَّا نراكَ إلا قَد مِتَّ، قال: فَإنِي قَد مِتُّ وذُهبِ بِي إِلَىٰ قَبري، فإذَا إنْسانٌ حَسن الوَجه طَيبُ الرِّيح قَد وضَعَني فِي لَحدي وطَواه بِالقَراطِيس، إِذْ جَاءت إِنْسانَة سَوداء مُنتِنة الرِيح فقَالت: هَذا صَاحب كَذا، وهَذا صَاحبُ كَذا، أَشْياء واللهِ أستَحي مِنها، كأَنَّما أقلَعتُ عنْها سَاعتئِذ.

قَال: قُلتُ: أَنْشُدُك أَنْ تَدَعني وَهذِه، قَالت: انْطلِق نُخاصِمك، قَال: فانْطَلَقنا إِلَىٰ دَار فَيحاء وَاسِعة، فيهَا مَصطَبَة كأَنَّها مِن فِضَّة، فِي نَاحية مِنها مَسجدٌ وَرجلٌ قَائمٌ يُصلي، فَقرأ سُورةَ النَّحل، فتَردَّد فِي مَكان مِنهَا فَفتَحْتُ عَليه.

فانْفَتل فَقال: السُّورة مَعك؟ قُلت: نَعم، قَال: أَمَا إِنَّها سُورة النِّعَم، قَال: ورَفع وِسَادة قَريبة مِنه فأَخْرَج صَحيفة فَنظر فيهَا فَبدرته السَّودَاء فقالت: فَعل كَذا وفَعَل كَذا. قَال: وجَعل الحَسن الوَجْه يَقول: وَفعل كَذا وَفعل كَذا. يَذكُر مَحاسن.

قَال: فَقال الرجل: عبْدٌ ظَالم لِنفسِه، لَكن اللهَ عَزَّوَجَلَّ تَجاوز عَنه، لَم يَجئ أَجْل هَذا بَعْدُ، أَجل هَذا يَوم الإِثْنينِ، قَال: فَقال لَهم: انْظُروا، فَإنْ مِتُّ يَوم

الإِثْنينِ فَارْجُوا لِي مَا رأيتُ، وإنْ لَم أمُت يَوم الإِثْنينِ فَإنَّما هُو هَذيان الوَجَع. قال: فلمَّا كَان يَوم الإِثْنينِ صَحَّ حتَّىٰ بَعد العَصرِ، ثُمَّ أتَاه أجَله فَمات.

وفي هذا الحَديث: فلمَّا خَرجْنا مِن عنْد الرَّجل قُلتُ للرَّجل الحَسن الوَجه الطَّيب الرِّيح: مَا أنْت؟ قال: أنَا عَملك الصَّالح، قُلت: فَما الإِنْسانة السَّوداء المُنتِنَة الرِّيح؟ قَال ذَاكَ عَملُك الخَبيثُ، أو كَلام يُشبِه هَذا»(١).

ومنَ القَصص عَن إمَام القَائلينَ بِوَحدَة الوُجودِ: مَا ذكَره شَيخ الإسْلام أبُو العبَّاس ابن تَيمِية رَحِمَه اللهُ تَعالىٰ قَال: حدَّثني الفَقيهُ الفَاضِل تَاجُ الدين الزنبَاري، أنَّه سَمع الشَّيخ إبْراهيم الجَعْبري يَقول: «رأيْت فِي مَنامي ابنَ عَربي وابْن الفَارض وهُما شيْخَان أعميَان يَمشيَان ويتَعثَّران ويَقولان: كَيف الطَّريق؟ أيْن الطَّريق؟

قال: وحدَّثني شِهاب الدِّين المِزِّي، عن شرَف الدِّين ابن الشَّيخ نَجم الدِّين بن الحَكِيم، عَن أبِيه أنَّه قَال: «قدِمتُ دِمشْق فَصادَفتُ مَوت ابن عَربي، فرأيْتُ جِنازَته كأنَّما ذُرَّ عَليها الرَّمادُ، فرَأيتُها لا تُشبهُ جَنائزَ الأوْلياء»؛ انتهىٰ. [وهُوَ فِي صَفحَة (٢٤٦ - ٢٤٧) من المجلَّد الثَّاني مِن «مَجموع الفَتَاوىٰ»].

ومِن قَصَص طوَاغِيت البَاطنِيَّة العُبيدِيِّين: ما ذَكَره ابن عِذَارِي المَراكشي فِي كِتابه المُسمَّىٰ بـ«**البيَان المُغرب فِي أخْبَار الأنْدلس والمَغْرب**»، نقلًا عَن أبِي

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «من عاش بعد الموت» (٦٤).

عَبد اللهِ مُحمد بن سَعدون بن عَلي فِي تَأليفه فِي «**تَعزِية أهْل القَيروان بِما جَرىٰ علَىٰ البُلدَان مَن هَيجَان الفِتن وتَقلُّب الأزْمَان**».

فقد ذَكر فِي صفحة (٢٨١) مِن الجُزء الأَوَّل: «أنَّ أوَّل مَن نَصب الدَّعوة للعُبيديين عَبد اللهِ بن مَيمون القَدَّاح الأهْوَازي لَعنه اللهُ، وَكان ادَّعىٰ النُّبُوَّة -ثُمَّ ذَكر دُعاتَهم- قَال: فَمنهُم رجُلان أحدُهما يُعرفُ بالنَّجار الكُوفي، فَخرجَا مِن الشَّام وتَغلَّبا عَلىٰ اليَمن، فأنْزَل اللهُ عَليه الآكلة فَتقَطَّع قِطعًا حتَّىٰ مَات.

وأمَّا الكُوفي فَرماه اللهُ بِداء فِي جَوفه، فَكانت أمْعَاؤه تَخرج مِن دُبره حتَّىٰ مَات».

ثُمَّ قَال في صفحة (٢٨٤) منَ الجُزء المَذكُور: «وخرَج فِي دَولَة عُبيد اللهِ شَيخ للسَّفرِ وَمعهُ خَيل فَباتُوا فِي مَسجِد بِخيُولهم، فقِيل لَهم: كَيف تُدخِلون خُيولَكم المَسجِد؟ فقَال لَهم الشَّيخ وأصحَابُه: إنَّ أوْرَاثَها وأبْوَالها طَاهرة لأنَّها خَيل المَهدِي، فقَال لَهم القَيِّم بِالمسجِد: إنَّ الذِي يَخرُج مِن المَهدي نَجس، فَكيف الذِي يَخرج مِن خَيله، فقَالوا لَه: طَعنت عَلىٰ المَهدي، وأخَذُوه وذَهبوا بِهِ إليهِ فَأخرجَه عَشيَّة جُمعَة فَقتَله.

فلمَّا قُرِّب للمَوت دَعا عَليه، فَأجابَ اللهُ دَعاءَه، فامْتَحنه بِعلَّة قَبيحَة يُقال لَها: حبُّ القَرع، وَهي دُود عَلىٰ صُورة حَب القَرع فِي آخِر مَخرجِه يَأكل أحشَاءه ومَا وَالاها، فَكان يُؤتىٰ بأذناب الكِباش العَظيمة فَيستدخلها في

نَفسه لَيشتَغل عَنه الدُّود بِها، فيجدُ لِذلكَ بَعض رَاحة لشَغلهَا بالأذْنَاب، ثُمَّ يُخرج الأذَناب وقَد هتكها الدُّود فَيدخِل أخرىٰ في دُبرِه، ثُمَّ لَم يزل الدُّود يَأكل حتَّىٰ انقَطعت مَذاكرُه وهَلك.

ولمَّا هَلك أتِي بابن أخْت الغسَّاني المُقْرئ ليقْرَأ عنْد رَأسِه، وكَان مِن أطيَب النَّاس قِراءة، وحَوْلَ عُبيد الله أبناؤه يَبكون عَليه، فقالَ البَغدَادي للغَسَّاني: اقرأ، قَال: فطلبْتُ مَا أقْرأ مِن القُرآن فَلم أتَذكَّر مِنه إلا قَوله تَعالىٰ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] إلىٰ آخر الآية.

قال: فَطَلبتُ غَير هَذه الآيَة أقرأه فَلم أقدِر، فكُنتُ أرَدِّدها حتَّىٰ خَشيتُ عَلىٰ نَفسي أنْ يَفيقُوا مِن بُكائِهم، فيَتأمَّلُون قِراءَتي فَيقتُلوني فَتسلَّلتُ وخَرَجت».

وذَكَر: «أنَّ الحجَر الأسْوَد أرْسله اللَّعين الجنابِي إلَىٰ عُبيد اللهِ بِالمَهدِيَّة فَلم يَلبثْ إلا أيَّامًا وَهَلك، فلمَّا دُفنَ طَرحتْهُ الأرْض ثُمَّ دُفنَ فَطرَحَتهُ الأرْض، ثلاثًا، فقَيل لابْنِهِ أَبِي القَاسم: إنَّ هذا لأجل هَذا الحَجر فَاردُدْه حيثُ كَان، فَأمَرَ بإخراجه وَردَّه إلَىٰ مَوضعِه، فعِند ذَلك استَقَرَّ عُبيد الله في قَبرِه».

وذكر **أيضًا:** «أن إسْمَاعيل بن أبِي القَاسم لمَّا وَلِي بَعد أبيهِ أظْهَر للعَامَّة الجَميل، فَلمَّا استَفْحل أمْرُه وقَويَتْ شَوكتُه أرَاد أنْ يَنتقِمَ مِن المُسلِمينَ فَيمَا تقدَّم لهمْ مِن حَربهِ وحَرب أبِي القَاسم والِده، فحَال اللهُ عَزَّوَجَلَّ بينَه وبينَ مَا أرادَ، وأجَاب دُعاء المُؤمنينَ فيهِ، فأهْلَكه أهْلَه بالعَطشِ حتَّىٰ مَات».

ثمَّ ذكر: «أنَّ مَعد بن إسْماعيل بن أَبِي القَاسم بن عُبيد اللهِ، ادَّعىٰ النُّبوة، وصَوَّت المُؤذِّن بذلِكَ فَوق صَومعة القَيرَوان بِأمْرِه.

فابْتَلاه اللهُ بِعلة الاسْتِسقَاء، فَكان الذِي يقْعُد عِندَ رَأسهِ لَا يَرىٰ رِجْلَيه، وَسالت عَيناه وَسقَطت أسنَانه، وأرَاه اللهُ العِبرَةَ فِي نَفسهِ ثُمَّ مَات».

* * *

فصل

وإذَا عُلِم مَا تقَدَّم ذِكرُه مِن قصَص المُعذَّبين فِي القبورِ، وأنَّ اللهَ تعالىٰ قد أطْلع بَعضَ الأحياءِ علىٰ عذَاب بَعض الأمْوات، فليُعلَم أيْضًا أنَّه يجِب الإيمَان بِنعيمِ القَبر وعَذابه.

فالنَّعيم فيهِ للمُتقين، والعَذاب للكُفَّار والمُنافقين والمصِرِّين علىٰ الكَبائر إذا مَاتوا مِن غير توبة.

وقَد رَوىٰ التِّرمذي، عَن أَبِي سَعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «**إنَّمَا القَبرُ رَوضَة مِن رِياضِ الجَنَّة، أو حُفرَة مِن حُفرِ النَّار**».

[**قَال التِّرمِذي**: هَذا حَديث حَسنٌ غَريب][1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٠) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (١٢٣١).

وروىٰ التِّرمِذي أيضًا، وابنُ مَاجه، وعَبد الله ابنُ الإمَام أحمد، والحَاكم في «**المُستَدرك**»، عن عُثمانَ بن عَفَّان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أنَّ رَسولَ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ: «**إنَّ القَبْرَ أَوَّلَ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجا مِنْهُ فَما بَعدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**».

[**قال التِّرمِذي**: هَذا حَديثٌ حَسنٌ غَريبٌ. وصَحَّحَه الشَّيخُ أحْمَد مُحَمَّد شَاكر فِي تَعلِيقِه عَلىٰ «مُسنَد الإمَامِ أحْمَد»][(١)].

وقدْ جَاء فِي تَنعِيم المُتَّقِين فِي القُبور، وتَعذيبِ المُجرِمِين فِيها أحَاديثُ كَثيرة، ولَيس هَذا مَوضعَ ذكرها.

وكما أنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قَد أطْلَع بَعضَ الأحْيَاء عَلىٰ تَعذيبِ بَعض الأمواتِ، فكَذَلِك قَد أَطلَع اللهُ تعالَىٰ بَعضَ الأحْيَاء عَلىٰ مَا حَصَل لبَعضِ الأمْوَاتِ مِن المَغفِرَة والكَرامَة، وذَلكَ مِن طَريقِ المُشاهدَة لِبَعض الأمْوَات، وَمن طَريقِ الرُّؤيا الصَّالِحة لِبعضِهم، وقَد جَاء فِي ذَلك قَصَص كَثيرة. وَسَأذكُر مِنهَا مَا تيَسَّر إنْ شَاء اللهُ تَعالىٰ.

فَمنْ ذَلكَ: قِصَّة دَانْيَال. وقَد رَوىٰ قِصَّتَه يُونُس بن بُكير، عَن مُحمَّد بن

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، وعبد الله في «الزوائد علىٰ المسند» (١/ ٦٣) (٤٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٢٦) (١٣٧٣)، وغيرهم من حديث عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (١/ ٣٤٧) (١٦٨٤).

إِسْحَاق، عن أَبِي خلدَة بن دِينار قال: حدَّثَنا أَبُو العَالية قَال: «لمَّا افْتَتَحنَا تُسْتَرَ وَجدنا فِي بيَتِ مَال الهرْمُزَان سَريرًا عليَه رَجلٌ مَيتٌ عِند رَأسهِ مُصحفٌ، فَأخذنَا المُصحفَ فحَملنَاه إِلَىٰ عُمر بن الخَطَّاب فَدعا لَه كَعبًا فَنسخه بِالعَربيَّة، فأنَا أَوَّل رَجُل مِن العَرب قَرأه.

قرَأتُه مِثل مَا أقْرَأ القُرآن. فقلْتُ لأبِي العَالِية: مَا كَان فيهِ؟ قَال: سَيرُكم وأمُورُكم ولُحُون كَلامِكم وَما هُو كائنٌ بَعْدُ.

قلتُ: فَما صَنعْتُم بِالرَّجُل؟ قَال: حفَرْنا بِالنَّهار ثَلاثة عَشر قَبرًا مُتفرِّقَة فلمَّا كانَ بِالليلِ دَفنَّاه وَسوَّينا القُبر كُلَّه لنُعَمِّيه علَىٰ النَّاس فَلا يَنْبشُونه.

قُلت: فَما يَرجُون مِنه؟ قَال: كَانت السَّمَاء إذَا حُبسَت عنْهُم بَرَزوا بسَرِيره فَيمُطَرُون، قَلت: مَن كُنتم تَظُنُّون الرَّجُل؟ قَال: رَجُلٌ يُقال لَه: دَانيال، قُلت: مُنذ كَم وَجدتُّموه قَد مَات؟ قَال: مُنذ ثَلاثِمِائة سنَة، قُلت: مَا تَغيَّر مِنهُ شَيء؟ قَال: لا، إلا شَعَرات مِن قَفَاه، إنَّ لُحوم الأنْبِياء لا تُبْلِيها الأرْضُ ولا تَأكلُها السِّباع»[1].

قالَ ابنُ كَثير[2]: «وَهَذا إسْناد صَحيحٌ إِلَىٰ أَبِي العَالِية، ولَكن إنْ كَان تَاريخ وفَاته مَحفوظًا مِن ثَلاثمائة سنة فَليْس بِنَبي، بَل هُو رَجُل صَالحٌ؛ لأنَّ

---

(١) انظر: «السيرة» (ص١٧) لابن إسحاق.

(٢) انظر: «البداية والنهاية» (٢/ ٤٠).

عِيسىٰ بن مَريم لَيس بَينَه وبَين رَسول اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبي بِنصِّ الحَديث الذِي فِي البُخَاري.

والفَترة التِي كَانت بَينهُمَا أرْبَعمِائة سَنَة، وَقيل: سِتُّمِائة، وَقيل: سِتُّمِائة وعِشرُون سَنة. وَقد يكُونُ تَاريخُ وَفاتِه مِن ثَمَانِمائة سَنة وَهو قَريبٌ مِن وَقت دَانيَال، إن كَان كَونُه دَانيال هُو المُطَابق لِمَا فِي الأمْرِ نَفسه فإنَّه قد يَكون رَجلًا آخَر إمَّا مِن الأنْبياء أو مِن الصَّالِحين، ولَكن قَويت الظُّنون أنَّه دَانيال، لأنَّ دَانيال كَان قَد أخَذَه مَلك الفُرْس فَأقامَ عِندَه مَسجونًا».

قُلتُ: قَد ذَكر ابن إسْحَاق وَابْن جَرير[١] وغَيرُهمَا أنَّ بُخْتنصَّر أخْرَج دَانْيَال مِن السِّجن بِسببِ رُؤيا رَآها وَعَبَرها لَه دَانيَال. وبعْدَ تَعبيرِهِ لِرؤيَا بُخْتنصَّر صَارت لَه مَنزِلَة عَالية عِندَه بِحيث إنَّه كَساه وسَوَّره وطَاف بهِ فِي القَرية وأجَازَ خَاتَمه. وَقَد ذَكَرتُ قِصَّته مَعه فِي آخِر كِتابي فِي «الرُّؤيا»، فَلتُراجَع هُناك.

ومِن القَصَص أيْضًا: قِصَّة عَبد اللهِ بن الثَّامر -وهُو الغُلام الذِي جَاء ذِكرُه فِي الحَديثِ الطَّويلِ الذِي رَواه الإمَام أحْمَد ومُسلِم والتِّرمِذي، عنْ صُهيب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عنِ النَّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقد جَاء فِي هَذا الحَديثِ: «أنَّ المَلَك الذِي كَان الغُلَام فِي زَمانه قَتل الغُلام مِن أجْلِ مُفارَقَته لِدين المَلِك واتِّبَاع النَّاس لهُ عَلىٰ الإيمَانِ بِاللهِ ومخَالَفَة دِين

---

(١) انظر: «تاريخ الطبري» (١/ ٣٢٤).

المَلك، وَقد ذَكَر اللهُ هَذه القِصَّة فِي قَوله تَعَالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ۝٥﴾ [البروج: ٤، ٥]، إلىٰ قوله: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨]».

وَقَد جَاء فِي آخِر الحَدِيث عِند التِّرمِذي قَال: «فأَمَّا الغُلامُ فَإنَّه دُفن، فَيُذكَر أنَّه أخْرِج فِي زَمن عُمر بن الخَطَّاب وأصْبَعه عَلىٰ صَدغِه كَما وضَعَها حِين قُتل»(١).

وقَال ابن إسْحَاق(٢): حدَّثني عبدُ اللهِ بن أَبِي بَكر بن مُحَمَّد بن عَمْرو بن حَزم أنَّه حُدِّث: «أنَّ رَجلًا مِن أهْلِ نَجرَان كانَ فِي زَمان عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حفَر خَربَة مِن خِرَب نَجْران لِبَعض حَاجَته، فَوجَدوا عَبد اللهِ بن الثَّامر تَحت دَفن مِنها قَاعدًا وَاضعًا يَدَه عَلىٰ ضَربة فِي رَأسِه مُمسِكًا عَليها يده، فَإذا أُخِّرَت يَدُه عَنها تنْبَعثُ دمًا، وَإذَا أرْسِلَت يَده رَدَّها عَليهَا فَأمسَكَت دَمَها، وفِي يَده خَاتَم مَكتُوبٌ فِيه «رَبِّي اللهُ»، فكُتِب فيهِ إلَىٰ عُمر بن الخَطَّاب يُخبر بأمْرِه، فَكَتب إليهِم عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنْ أقِرُّوه عَلىٰ حَالِه وَرُدُّوا عَليهِ الدَّفْن الذِي كَان عَليه، فَفعَلوا».

ومِنَ القَصَص أيْضًا: ظُهورُ قَدَم عُمر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حِينَ أرَادُوا تَوسِيع المَسْجد النَّبوي فِي زَمَن الوَلِيد بن عَبد المَلك، وَهِي عَلىٰ حالِهَا لَم تَتَغيَّر،

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٦) (٢٣٩٧٦)، ومسلم (٣٠٠٥)، والترمذي (٣٣٤٠)، وغيرهم. من حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) انظر: «السيرة» (ص١٦).

وَكان ذَلكَ فِي سَنَة ثَمانٍ وَثَمانِين بَعد مَوتِ عُمَر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بَخَمس وسِتِّين سَنَة.

وقدْ رَوىٰ ابنُ سَعدٍ فِي «**الطَّبَقات**»، عَن هِشَام بنِ عُروَة قَال: «لمَّا سَقط الحَائِط عَنهُم فِي زَمن الوَليد بن عَبد المَلك أُخِذَ فِي بِنَائِه فَبَدت لَهم قَدمٌ، فَفَزِعوا وظَنُّوا أنَّها قَدم النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فمَا وَجدوا أحَدًا يَعلمُ ذَلكَ حتَّىٰ قَال لَهم عُروةُ: لا وَاللهِ مَا هِي قَدَم النَّبِي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، مَا هِي إلا قَدم عُمَر»(١).

وَرَوىٰ عُمَر بن شَبة، عَن هِشَام بن عُروَة، عَن أَبِيه قَال: «لمَّا سَقَط جِدَار بَيتِ النَّبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وعُمَرُ بن عَبد العَزيزِ يومئذٍ عَلىٰ المَدينَة، انْكَشفَ قَدم مِن القُبورِ التِي فِي البيتِ، فأَصَابهَا شَيءٌ فَدَمِيت، فَفَزع مِن ذَلكَ عُمر بن عَبد العزيز فَزعًا شَديدًا، فَدَخل عُروةُ البَيتَ فَإذا القَدَم قَدَم عُمر بن الخَطَّاب، فَقال لِعُمر: لا تَفزَع، هِي قَدَم عُمر بن الخَطَّاب، فَأمَر بِالجِدار فَبُني وَرُدَّ عَلىٰ حَالِه».

ومِنَ القَصَص أيْضًا: مَا وَقَع لِحمزَة بن عَبد المُطَّلب، وَعبد اللهِ بن عَمرو بن حَرام، وعَمرو بن الجَمُوح، وغَيرِهم مِن الشُّهَداء الذِين قُتِلوا يَومَ أُحُد، فإنَّ أجَسادَهم قَد بَقِيت طَرِيَّة عَلىٰ الحَال التِي كَانوا عَليهَا حِين قُتلوا ولَم يتَغير منْهَا شَيءٌ مَع مُرور السِّنِين الكَثيرة بَعد قَتلِهم.

وَقد رَوىٰ ابن سعْدٍ فِي «**الطَّبَقات**»(٢) بإسْنادٍ صَحيح، عَن جَابر بن

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٦٨)، والبخاري في «الصحيح» (٢/ ١٠٣).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٦٢) وإسناده منقطع.

عَبد اللهِ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَال: «كُفِّن أَبِي فِي نَمِرة وَاحِدة، وَقَال رَسولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ادْفِنُوا عَبْدَ اللهِ بن عَمْرو وَعَمْرو بن الجَمُوح فِي قَبْرٍ وَاحِد؛ لِمَا كَان بَيْنَهُمَا مِنَ الصَّفَاءِ**».

قَالَ: وَكانَ قَبرُهما مِمَّا يَلي المَسيلَ، فَدَخله السَّيلُ فَحفر عَنهُما وَعليهِمَا نَمِرَتان، وَعبد اللهِ قَد أَصَابهُ جُرحٌ فِي وَجهِه، فَيدُه عَلىٰ جُرحِه فأُميطَت يَدُه عَن جُرحِه فانْبعثَ الدَّمُ، فرُدَّت يَدُه إِلَىٰ مَكانِها فَسَكن الدَّم.

قال جَابر: فَرأيتُ أَبِي فِي حُفرَتِه كأَنَّه نَائمٌ وَما تَغيَّر مِن حَالهِ قَليلٌ وَلا كَثير. فَقيل لَه: فَرأيتَ أَكفَانَه؟ قَال: إِنَّما كُفِّنَ فِي نَمِرَة خُمِّر بِها وَجهُه وَجُعِل عَلىٰ رِجلَيه الحَرمَل، فَوجدنا النَّمِرة كَما هِي، والحَرمَل عَلىٰ رِجلَيهِ عَلىٰ هَيئَتِه، وبَين ذَلك سِتٌّ وَأربَعون سَنَة.

فَشاورهُم جَابر فِي أَنْ يُطيَّب بِمِسك فَأَبَىٰ ذَلكَ أَصْحابُ رَسولِ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وقَالوا: لا تُحْدِثوا فِيهِم شَيئًا، وَحُوِّلَا من ذَلك المَكان إِلَىٰ مَكانٍ آخَر، وَذلِك أَنَّ القَناة كَانت تَمرُّ عَليهِما، وأُخْرِجوا رِطَابًا يَتَثَنُّون».

وقد رَواه البَيهَقي فِي «**دَلائِل النُّبوة**»(١) مِن طَريقِ الوَاقِدي عَن شُيوخِه فَذكره بِنَحوه، وَزاد: ويُقَال: «إِنَّ مُعاوِيَة لمَّا أَرَاد أَنْ يُجري الكَظَامة نَادىٰ مُنادِيه بِالمَدينة: مَن كانَ لَه قَتيلٌ بِأُحد فَليَشهَد، فَخرج النَّاس إِلَىٰ قَتلاهم

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩٤) وفي إسناده الواقدي، تقدم.

فَوجدُوهم رِطابًا يَتثَنُّون، فَأصابَت المِسْحَاةُ رِجْلَ رَجُلٍ منهم فانْبَعث دمًا، فَقال أبُو سَعيد الخُدْري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: لا يُنكِر بَعد هَذا مُنكِر. ولقَد كَانوا يَحفُرون التُّراب، فَحَفروا نَثْرَة مِن تُراب فَفَاح علَيهم رِيح المِسك». [ورَواه ابنُ قُتَيبة فِي كِتابِه «عيُون الأخْبَار» (٢/ ٣١٨) بِنحوِه، وَفِيه قَول أبِي سَعيد ولَيس فيهِ مَا بعدَه، وإسنَادُه صَحيح].

ورَوىٰ ابنُ سَعد أيْضًا بإسْنَاد صَحيحٍ، عَن جَابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «صُرِخ بِنا إلَىٰ قَتلانَا يومَ أحُد حِين أجْرىٰ مُعاوِيَة العَين، فأخْرَجنَاهم بَعد أرْبعينَ سَنة لَيِّنةً أجْسَادُهم تَتَثَنَّىٰ أطْرَافُهم»(١).

وقَد رواه البَيهَقي فِي «دَلائِل النُّبُوة»، مِن طَرِيق حَمَّاد بنِ زَيد، عَن أيُّوب، عَن أبِي الزُّبير، عَن جَابر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَذكره بِنَحوه. قَال: وقَال حمَّاد: «وزَادني صَاحبٌ لي فِي الحَديثِ: فأصَاب قَدمَ حَمزَة فانْثَعَبَ دَمًا».

ورَوىٰ البَيهَقي أيضًا(٢)، عَن ابن إسْحَاق، عَن أبِيهِ قَال: حدَّثني أشْياخ مِن الأنْصَار قَالوا: «لمَّا ضَرب مُعاوِيَة عينَه التِي مَرَّت علَىٰ قُبورِ الشُّهدَاء استَصْرَخنا عَليهِم وقَد انْفَجرت العَينُ عَليهِما فِي قُبورِهما، فَجئنَا فَأخرجْناهُما وعَليهِما بُردَتان قَد غُطِّي بِهما وُجوهُما وَعَلىٰ أقدَامِهما شَيءٌ مِن نبَات الأرْضِ،

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٥٦٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩١).

(٢) المصدر السابق، وفي إسناده محمد بن إسحاق بن يسار يدلس ولم يصرح، وفيه أيضًا من لم يسم.

فأخرَجْناهُما يَتثنَّيَان تَثنِّيًا كأنَّما دُفِنَا بالأمس».

ورَوىٰ مَالك فِي «المُوطَّأ»(١)، عَن عبد الرَّحمن بن أَبِي صَعْصَعَة: «أنَّه بَلغَه أنَّ عَمرو بن الجَموحِ وَعبد اللهِ بن عَمرو الأنْصَارِيَّين ثُمَّ السَّلَميَّيْن كانا قَد حَفر السَّيلُ قَبرَهما، وَكان قَبرُهما ممَّا يَلي السيل، وكانَا فِي قَبر واحِدٍ، وَهُما مِمَّن استُشهِد يَوم أُحُد، فَحفر عَنهُما لِيُغيرا مِن مَكانِهما فَوُجدا لَم يَتغيَّرا كأنَّهما مَاتا بِالأمس، وكانَ أحدُهما قدْ جُرحَ فَوضعَ يدَه علَىٰ جُرحهِ فَدُفنَ وهُو كَذلك، فَأميطَت يدُه عَن جُرحهِ ثُمَّ أرسِلت فَرجعت كَما كَانت، وكَان بينَ أُحد وَبين يَوم حُفرَ عَنهما سِتٌّ وَأربعُونَ سَنة».

ورَوىٰ الإمَام أحمَد والدَّارِمي عَن جَابر بن عَبد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَال: بَينما أنا فِي خِلافة مُعَاوية بن أَبِي سُفيانَ إذْ جَاءني رَجلٌ فَقال: «يَا جابِر بن عَبد الله، واللهِ لَقدْ أثَار أبَاكَ عُمَّالُ مُعاوِيَة فَبدا فَخرَج طَائِفة مِنه، فَأتيتُهُ فَوجَدْته علىٰ النَّحو الذِي دَفنْتُه لَم يَتغيَّر إلا مَا لَم يَدع القَتل أو القَتِيل، فَوَاريْتُه»(٢).

وَرَوىٰ أبُو القَاسِم البَغَوي بِإسْناده إلَىٰ أبِي الزُّبَير قَال: سَمِعتُ جَابر بن عَبد اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يقُول: «كَتبَ مُعاوِيَة إلَىٰ عَامِله بِالمَدينَة أنْ يُجري عَينَه التِي بأُحُد، فَكتب إلَيه عَامِله: إنَّها لا تَجري إلا عَلىٰ قُبورِ الشُّهداء، فَكتب إليهِ أنْ أنْفِذها.

(١) أخرجه مالك في «الموطأ» (٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٣٧٨) (١٥٥١٤)، والدارمي (٤٦).

قَال: سَمعْت جَابرًا يَقول: رَأيتُهم يَخرُجون عَلىٰ رِقاب الرِّجال كَأنَّهم رِجال نُوَّامٌ حتَّىٰ أصَابت المِسَحات قَدَم حَمزَة فانْبَعثت دَمًا». [وقَد رَوَاه ابن سَعد فِي «**الطَّبَقات**»[١] بِنحوِه].

ومِنَ القَصَص أيضًا: مَا رَواه ابن أبِي الدُّنيا بإسْنَاده إلَىٰ المُثَنَّىٰ بن سَعيد قَال: «لمَّا نَزلت عَائشَة بنت طَلحَة البَصرَة أتَاها رَجل فقَال: إنِّي رأَيْتُ طَلحَة بن عُبيد اللهِ فِي المَنامِ فقَال: قُل لِعَائِشَة تَحوِّلُني مِن هذَا المَكَان فَإنَّ البَردَ قَد آذَانِي.

فرَكِبَتْ فِي مَوالِيها وَحشَمِها فَضربُوا عَليهِ بِناءً واسْتَثارُوه فَلم يَتغير مِنه إلا شَعَرات فِي إحْدىٰ شِقِّ لِحيتِه أو قَال: رَأسِه، حتَّىٰ حُوِّل إلىٰ موضعه. وكانَ بينهُما بِضعٌ وثلاثون سنة»[٢].

ورَوىٰ أيضًا بِإسنادِه إلَىٰ عَلي بن زَيد بن جُدْعَان، عَن أمه[٣] قَالت: «رأيْتُ طَلحَة بن عُبيدِ اللهِ لمَّا حُوِّل مِن مَكانهِ، فَرأيتُ الكَافور فِي عَينيهِ وَلم يَتغَير مِنهُ شَيءٌ إلا عَقيصَة مَالت مِن مَكانِها»[٤].

---

(١) انظر: «أهوال القبور» (ص٧٣) لابن رجب، و«الطبقات» (٣/ ١١) لابن سعد.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٨٤).

(٣) هذا تصحيف، والذي في مصدر التخريج: «آمنة»، وهي أُمية بنت عبد الله، ويقال أُمَينة: أم محمد امرأة والد علي بن زيد بن جدعان وليست بأمه.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «المنامات» (١٨٥)، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان ضعيف.

ومنَ القَصَص أيضًا: مَا أخبَرنا بهِ الشَّيخ عَبد الرَّحمن بن فَارس بن عَبد العزيزِ الفَارس -وَهُو مِن سُكَّان مدِينَة الرِّياض- قَال: «جَاء سَيلٌ عظِيمٌ فِي وَادي حَنيفَة فِي سَنة تِسع وخَمسِين وثَلاثِمائة وَألفْ مِن الهجِرة، فَجَرف النَّاحِية التِي تَلي قُبورَ الصَّحابة الذِين قُتلوا يَومَ اليَمامَة في سَنة إحْدَىٰ عَشَرة مِن الهِجْرة، فَحصلتْ فُرجَةٌ فِي أحَد القُبورِ مِمَّا يَلي الوَادي وبَدا جَسدُ المَيتِ الذِي كانَ فِي ذَلك القَبر.

قالَ الشَّيخ عبْد الرَّحمن: فَبَلغَني ذَلكَ وأنَا فِي نَاحيَة الجبيلة، فَجئتُ مُسرِعًا فَإذا مَوضِع القَبر مُرتَفع فِي جانِب الوَادي لا يُوصَل إلَيهِ إلا بَسُلَّم.

قال: فَجئتُ بأخْشاب وأسْنَدتُها إلَىٰ مَوضع القَبر وصَعدْتُ عَليها، فَرأيتُ المَيتَ فِي قَبرِه لَم يَتغيَّر مِنه شَيءٌ وَكأنَّه نَائمٌ، وَقد كُفِّن فِي شَمْلَة بَيضَاء وَرُبطت الشَّمْلة عَليه بِخُوص النَّخل، وقَد بَدا وَجهُه وَعينَاه وأسْنَانه ورِجْلاه وخَرجَت عَقيصَة مِن عَقائِص رَأسِه طُولُها نَحو ذِراع فتدَلَّت خَارج القَبر.

قَال: فَرفَعتُها وَأدخَلْتُها فِي الكَفن وَوَضعْت يَدي عَلىٰ صَفحَة وَجهِه وكأنَّما وضَعتُها عَلىٰ رَجلٍ نائم. قَال: وَوجهُه أبيَضُ يَميل إلَىٰ السُّمرَة، وَما بَدا مِن شَعَر لِحيتِه فَهُو أشْمَط، وعَينَاه مَفتُوحَتان قَلِيلًا، وَقد بَقي الخُوصُ الذِي رُبطت بِه الشَّملة عَلىٰ لَونهِ أخَضر إلا أنَّه يَابس.

قال: ولمَّا عَلِم بهِ أهْلُ الجَبيلَة وَمن حَولهُم جَعلوا يَأتونَ إلَيه وَينظُرون

إليه. فذَهبَ إمَام أهْلِ الجَبيلَة وَرئيسُ هَيئة الأمْر بالمَعرُوف عِندَهم إلَىٰ الشَّيخ مُحمَّد بن إبْراهِيم آلِ الشَّيخ فأخْبراهُ بِذلك، فأمَرَهُما أنْ يَأخُذا مَعهما رِجالًا ونَعشًا يَحملُون المَيتَ عَليه، وأَمَرهم أنْ يحْفُروا لَه فِي الليل قبرًا فِي وَسط القُبور ويدفِنُوه ويُعَمُّوا مَوضِع قَبرِه لئلَّا يَفتَتِن به الناسُ، فَفعلوا».

قلْتُ: لا شَكَّ أنَّ هَذا المَيتَ مِن الشُّهداءِ الذِين قُتلوا فِي المَعركَة التِي كَانت بَين الصَّحَابة وبَينَ أصْحَاب مُسيلِمَة الكَذاب.

فيُحتمل أنَّه مِن الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لأنَّه قَد اشْتُهر عندَ النَّاس أنَّ القُبور التي فِي ذَلكَ المَوضِع قُبور الصَّحابة. ويُحتَمل أنَّه مِن الذِين كَانوا يُقاتِلون مَع الصَّحابة ولَيس مِنهم. والاحْتِمال الأوَّل أقْرَب، واللهُ أعْلَم.

وقدْ كَان بَين مَعركة اليَمامَة وبَين ظُهُور هَذا المَيِّت أَلف وَثلاثمِائَة وثَمان وأرْبَعون سَنة.

ومَع هَذه المُدَّة الطَّويلة فَقد بَقي الشَّهيد عَلىٰ حَاله لَم يَتغيَّر مِنهُ شَيء ولَم يَتغيَّر كَفنُه وَلا الخُوص الذِي رُبطَ بِهِ الكَفنُ، وَفي هذا عِبرَة لأولِي الألْبابِ والعُقولِ السَّليمة.

ومنَ القَصَص أيضًا: مَا رَواه ابن سَعد في «**الطَّبقات**»[(١)]، عَن رَبِيح بن عَبد

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٤٣١)، وغيره من طريق محمد بن المنكدر، عن محمد بن شرحبيل ابن حسنة.

الرَّحمن بن أَبِي سَعيد الخُدْري، عَن أبيهِ، عَن جَدِّه رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَال: «كُنتُ أنَا ممَّن حَفر لِسعْد -يَعنِي ابن مُعَاذ- قَبرَه بِالبَقيع، وَكان يَفوحُ عَلينَا المِسكُ كُلَّما حَفرنَا قَترَة مِن تُرَاب حَتَّىٰ انْتَهينا إِلَىٰ اللَّحد.

قَال رَبيح: وَلقد أَخْبَرنِي مُحمَّد بن المُنكَدر، عَن مُحمَّد بن شُرحْبيل بن حَسَنة قَال: أَخَذ إنْسَان قَبضَة مِن تُراب قَبر سَعد فَذَهب بِها ثُمَّ نَظر إليهَا بَعد ذَلكَ فَإذا هِي مِسك».

وقَالَ ابنُ سَعدٍ أَيْضًا: أَخبرنَا يَزيدُ بن هَارون قَال: أَخْبَرنا مُحمَّد بن عَمرو، عَن مُحمَّد بن المُنكدر، عَن مُحمَّد بن شُرَحبيل بن حَسَنَة: «أَنَّ رَجلًا أخذَ قَبضةً مِن تُرابِ قَبر سَعد يَومَ دُفِن فَفَتحها بَعْدُ فَإذا هِي مِسكٌ».

ومنَ القَصَص أيضًا: مَا ذَكرَه ابن الجَوزِي فِي «تاريخه»[1]: «أَنَّه فِي سَنة سِتٍّ وَسَبعين وَمائَتَين انْفَرج تلٌّ فِي أرضِ البَصرَة عَن سَبعَة أَقْبُر فِي مِثلِ الحَوض، وفِيها سَبعَة أَنْفُس أَبْدَانهم صَحيحَة وأكْفَانُهم يَفوح مِنها رَائِحة المِسك. أحدُهم شَابٌّ لَه جُمَّة وعَلَىٰ شَفَتيهِ بَلَلٌ كَأنَّه شَرب مَاء وَكأنَّ عَينيهِ مُكَحَّلَتان، وأرادَ بعضُ مَن حضَر أنْ يَأخذَ مِن شَعرِه شَيئًا فَإذا هُو قَوي كَشعرِ الحَي».

ومِن القَصصِ أيضًا: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا بإسْنَاده، عَن يُونُس بن أَبِي الفُرات قَال: «حفَر رَجل قَبرًا فَقعدَ يَستظِلُّ فيهِ مِن الشَّمس فجاءت رِيحٌ بَاردَة فَأصابَت

---

(١) انظر: «المنتظم» (١٢/ ٢٧٣).

ظَهرَه، فَإذا نَقبٌ صَغير فَوسَّعَه بِإصبَعه فإذَا هُو يَنظُر مَدَّ البصَر، وإذَا شَيخٌ مَخضوبٌ كَأنَّما رَفعت المَواشط يَديهَا عَنه، وقَد بقِي مِن أكْفَانه عَلىٰ صَدره شَيءٌ». [وَقد ذَكر هَذه القِصَّة الحَافظ ابنُ رَجب فِي كِتابه «**أهْوَال القُبور**»][1].

ومن القصَصِ أيضًا: مَا ذَكره ابنُ أبِي الدُّنيا فِي كتابِ «**الأولِياء**» قَال: «كتَبَ أبُو عبد اللهِ مُحمَّد بن خَلف بن صَالح التَّيمِي: أنَّ إسْحاق بن أبِي نبَاتَة مَكث سِتين سَنة يُؤذِّن لِقومهِ فِي مَسجد عَمرو بن سَعيد -يَعنِي بِالكُوفَة- وَكان يَعلِّم الغِلمان الكِتاب ولا يَأخذُ الأجْرَ، فمَات قبل أنْ يُحفر الخَندَق بِثلاثين سنة.

فلمَّا حُفر الخَندق، وكانَ بَين المَقابر، ذَهب بَعض أَصحابِه يَستخْرِجه وَوقع قَبره فِي الخَندق، فَاستخرَجوه كَما دُفن وَلم يتغَيَّر مِنه شَيءٌ إلا الكَفَن قدْ جَفَّ عَليه ويَبِس، والحَنوطُ محطوطٌ عليَه، وكانَ خَضيبًا، فَرأىٰ وَجهه مكْشُوفًا وقَد اتَّصل الحِنَّاء فِي أطرَافِ الشَعر.

فمَضىٰ المُسيَّب بن زُهير إلَىٰ أبِي جَعفر المَنصور وهُو عَلىٰ شَاطئ الفُراتِ، فأخْبَره، فَركِب أبُو جعفر فِي اللَّيل حتَّىٰ رَآه، فأمَر بهِ فَدُفن باللَّيل لئلَّا يَفتتن النَّاس». [وَقد ذَكر هذِه القِصَّة الحَافظ ابن رَجب فِي كِتابه «**أهْوال القُبُور**»][2].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٢٣)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٧٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٦٦)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٧٣).

ومِن القَصصِ أيضًا: مَا رَواه الخَطيب البَغدَادي فِي «**تَاريخ بغْدَاد**»[١]، عَن مُحمَّد بن مَخلَد الدُّوري العطَّار قال: «ماتَت وَالدَتي فأرَدتُ أنْ أدْفِنها فِي مقْبرة دَرب الرَّيحان، فنَزَلت أُلحِّدها فانْفَرجتْ لِي فُرجةٌ عَن قَبر بِلزْقِها، فَإذا رَجلٌ عَليهِ أكفانٌ جُددٌ عَلىٰ صَدرهِ طَاقة يَاسمين طَريَّة فأخذْتُها فشَمَمتُها فإذا هِي أذْكىٰ مِن المِسك، وشَمَّها جَماعة كَانوا مَعي في الجِنَازة ثُمَّ رَددْتُها إلَىٰ موضِعِها وسَدَدتُ الفُرجة».

ومِن القَصَص أيضًا: مَا ذَكره ابن الجَوزي[٢] قال: «قَرَأتُ بِخطِّ شَيخِنا أَبِي الحَسن بن الزَّاغُوني قَال: كُشفَ عَن قَبر أَبِي مُحمَّد البَربَهاري وهُو صَحيح لَم يَرِمْ، وظَهرت مِن قَبرِه رَوائحُ الطِّيب حتَّىٰ مَلأت مَدينة السَّلام -يَعنِي بَغدَاد-.

وقولُه: لَمْ يَرِمْ، مَعناه: لَم يَبرحْ عَلىٰ الحَالِ التِي دُفن عَليهَا. واسْم أَبِي مُحمَّد الحَسن بن عَلي بن خَلَف، وَهُو مِن أكابِر أصْحَاب أصْحَاب الإمَام أحْمَد بن حَنبل.

وقَد وَقعتْ لَه قِصَّة عَجيبَة بَعد مَوتهِ وفيهَا كَرامةٌ عَظيمةٌ لَه. وذَلكَ أنَّه كانَ شَديدًا في الإنْكارِ عَلىٰ أهْلِ البِدَع والرَّد عَليهم، فَلم تَزل المُبتَدِعة يَغيظُون قلْبَ السُّلطَان عليهِ، فَتقدَّم الخَليفةُ إلَىٰ صَاحبِ الشُّرطَة بالرُّكوبِ والنِّدَاء بِبغدَاد أن لا

---

(١) (٤/ ٤٩٩).

(٢) انظر: «المنتظم» (١٤/ ١٥).

يَجتَمع مِن أصْحاب البَربَهَاري نَفسان، فاسْتَتر وتُوفِّي فِي الاسْتِتار فِي رَجب سَنة تِسع وعشْرِين وثَلاثمائة».

قالَ القَاضي أبُو الحُسين فِي «**طَبَقات الحَنَابِلة**»(١): «حدَّثني مُحمَّد بن الحَسن المُقري قال: حَكىٰ لي جَدِّي وَجدَّتي قَالا: كَان أبُو مُحَمَّد البَربَهاري قَد اخْتَبأ عِندَ أخْت تُوزون بِالجَانبِ الشَّرقِي فَي دَرب الحِمَام فِي شَارع دَرب السِّلسِلة، فبَقي نَحوًا مِن شَهر، فَلحِقَه قيامُ الدَّم(٢).

فقَالت أخْتُ تُوزون لِخادِمِها لمَّا مَات البَربَهاري عندهَا مُستترًا: انْظر مَن يُغسِّله.

فَجاءَ بِالغَاسل فَغسلَه وَغلَّق البَاب حتَّىٰ لا يَعلمَ أحدٌ، وَوقفَ يُصلِّي عَليه وَحده، فَطالَعتْ صَاحبةُ المَنزلِ فَرأتْ الدَّار مَلأىٰ رِجالًا عَليهم ثِيابٌ بِيض وَخُضرٌ، فَلمَّا سَلَّم لم تَر أَحدًا، فاسْتَدعَت الخَادم وقَالت: يا حَجَّام أهْلكتَني مَع أخِي، فَقال: يَا سِتِّي، رَأيتِ مَا رأيتُ؟ فقَالت: نَعم، فَقال: هَذه مَفاتيحُ البَاب وهُو مُغْلق، فَقَالت: ادفِنُوه فِي بَيتي، فَإذا مِتُّ فادْفِنُوني عنْده فِي بيتِ القُبَّة. فَدفنُوه فِي دَارها فَماتَت بَعده بِزمانٍ فدُفنَت فِي ذَلك المَكان».

ومن **القَصَص أيْضًا**: مَا أخْبرنا بِهِ غَير وَاحد مِن الثِّقات: «أنَّ بَلدية مَدينَة

---

(١) (٢/ ٤٥).

(٢) قيام الدم: هو الإسهال الذي يكون فيه الدم.

الرِّياض لمَّا أَرَادوا تَوسيع الشَّارع المُسمَّىٰ بشَارع الوَزير مِن جِهته الشَّمَالية، كَانت التَّوسعة تَمُر عَلىٰ جُزء مِن مَقبرة قَديمة مِن مَقابر الرِّيَاض، فَنبَشوا مِن القُبور مَا تمسُّ الحَاجة إلَىٰ نبْشِه، فوجَدُوا عظَام المَوتىٰ قدْ صَارت رَميمًا إلا رَجلًا واحِدًا وَجدوه عَلىٰ حَالهِ لَم يتَغيَّر مِنه شَيءٌ، إلا أنَّه لَيس بِطري، وهُو شَيخ كَبير مَخضوب الشَّعر».

ومنَ القَصص أيْضًا: مَا رَواه ابن أَبِي الدُّنيا فِي كِتاب «**الرِّقة والبُكَاء**» بإِسْناده، عَن مِسكِين بن بَكير: «أنَّ ورَّادًا العِجْلِي لمَّا مَات فَحمل إلَىٰ حُفرَته نَـزلوا ليُدْلوه فِي حفرتِه، فَإذا اللَّحد مَفروشٌ بِالرَّيحان، فَأخذَ بَعضهُم مِن ذلكَ الرَّيحان، فَمكث سَبعين يَومًا طَريًّا لا يتَغَيَّر، يَغدو النَّاسُ ويَروحون يَنظرون إليهِ، فأكْثر النَّاس مِن ذلِك فَأخذَه الأمِير وفرَّق النَّاسَ خَشيةَ الفِتنةِ، فَفقدَه الأمِير مِن منزِله لا يَدري كَيف ذَهب». [وَقد ذَكر هَذه القِصَّة الحَافظ ابنُ رَجب فِي كِتابه «**أهْوال القبور**»][١].

ومِن القَصص أيضًا: مَا رَواه ابنُ الجَوزي مِن طَريق أَبِي جَعفر السَّرَّاج، عَن بَعض شُيوخِه قال: «كُشِف قَبرٌ بِقرْبِ الإمَام أحْمد، وَإذَا عَلىٰ صَدر المَيت رَيحانةٌ تَهتز»[٢].

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الرقة والبكاء» (٢٧١)، وانظر: «أهوال القبور» (ص٧١).
(٢) انظر: «أهوال القبور» (ص٧١).

ومن القَصص أيضًا: مَا رواه ابن أَبِي الدُّنيا بِإسنادِه، عَن المُغيرة بن حَبيبة: «أنَّ عَبد اللهِ بنَ غَالب الحُدَّاني لمَّا دُفِن أصَابوا مِن قَبره رَائحةَ المِسك»(١).

وذكر البُخاري فِي «**التَّاريخ الصَّغير**»، عَن عَطاء السُّلَمي: «أنَّ عَبد اللهِ بن غَالب لمَّا قُتل جَعل يُوجد مِن تُراب قَبره رِيح المِسك»(٢).

وذكر ابنُ حبَّان في «**الثقَّات**»: «أنهم كانوا يَجِدون مِن قَبره ريح المسك».

وذَكر ذَلك أيضًا أبُو نعُيم فِي كِتاب «**الحلية**»(٣).

ورَوىٰ البُخاري فِي «**الصَّغير**»، عَن مَالك بنِ دِينار قال: «أخَذْت مِن تُرابِ قَبرِهِ فَجعلْته فِي قَدح ثُمَّ غَسلتُ القَدح بِالماءِ فَوجدتُ مِنه رِيح المِسك»(٤).

ومن القَصَص العَجيبَة فِي هذا البَاب: مَا حدَّثنا بِهِ غَير وَاحد مِن الثِّقات: «أنَّ رَجلًا مِن أهْل الرِّياض يُسَمَّىٰ «عبد العزِيز بن يُحيَّان» كَان إمامًا لبعْضِ المَساجِدِ فِي الرِّياض فِي أثناءِ النِّصف الأوَّل مِن المائة الرَّابِعَة عَشَرة مِن الهِجرة، وكَان حَافظًا للقُرآن وحَسَنَ الصوت بالقِرَاءة. وكانتْ آثَار الصَّلاح ظَاهرةً عَليه.

---

(١) انظر: «أهوال القبور» (ص٧٢).

(٢) انظر: «التاريخ الأوسط» (١/ ١٨٠).

(٣) انظر: «الثقات» (٥/ ٢٠) (٣٦٣٣)، و«الحلية» (٢/ ٢٥٧).

(٤) انظر: «التاريخ الأوسط» (١/ ١٨١).

فمَات فرَآه رَجلُ يُسمَّىٰ «حَمد السَّيف» فِي النَّوم، فسلَّم عَليهِ وَعانقه. وَكان حمد يأتِي إلَىٰ المَسجد فِي آخر اللَّيل ولا يَخرج منْه إلا بَعد طُلوع الشَّمس، فَإذا خَرج مِن المَسجد ذَهب إلَىٰ بَيته فَتأتيهِ زَوجته بالتَّمر والقَهوة.

فلمَّا كَانت صَبيحَة اللَّيلةَ التِي رَأىٰ فِيها الرُّؤيا ذَهب إلَىٰ بَيته وكَانت عِندهم امْرَأة تَخدِمهم، فشَمَّت منهُ رَائحةَ الطِّيب، فذَهبت إلَىٰ زَوجَته فَقالت لهَا: إنَّ زوْجَك قَد تزَوَّج فِي هَذه اللَّيلةِ، وآيَة ذَلكَ أنَّ رَائحة الطِّيب تَفوحُ منْه. فصدَّقَتها الزَّوجةُ، وصدَّت عَن زَوجها ولَم تَأتِه بالتَّمر والقَهوة كَما كانت تَفعل قَبل ذَلك.

فلمَّا أبْطأت عَليه ذَهب إلَيهَا لِيطْلُب مِنها أنْ تَأتيهِ بِهما، فانْتَهرتْه وَقالت لَه: اذْهب إلَىٰ زَوجَتك الجَديدَة فلتَأتك بِالذي أنتَ تَطلب. فأنْكر أنْ يَكون قَد تزَوَّج، وحَلف لَها عَلىٰ ذَلك فَلم تُصدِّقه وقَالت: إنَّ هذا الطِّيب الذِي قَد تَطيَّبت بهِ لا يَكون إلا مِن زَوجة جَديدة، فحَلف لَها عِدَّة أيمَان أنَّه لَم يتزَوَّج، وأخْبَرها بِما رآه فِي مَنامِه، وأنَّ هَذه الرَّائحَة الطَّيِّبة قَد عَلقتْ بِيدِه حِينَ صَافح بِها عَبد العَزيز بن يُحيَّان فِي النَّوم».

قَال الذِين حدَّثوا بهذِه القِصَّة: «إنَّ الذِين حَدَّثوهم بِها أخْبَروهم أنَّ رائِحة الطِّيب بَقيتْ فِي يد حَمَد السَّيفِ مدَّة أيَّام، مَع أنَّه كَان يَغْسلها للوُضوءِ ولِغيرِ ذَلك ممَّا يُسنُّ لَه غَسلُ الأيدِي ومَا يستَحَبُّ لَه».

وقدْ ذَكر بَعض الرَّاوين لَهذه القِصَّة: «أنَّ رَائحة الطِّيب بَقيتْ فِي يد حَمد السَّيف نِصف شَهر». وقَال بَعضُهم: «بل إنَّها بَقيت أكْثَر مِن ذَلك».

ومن القَصص التِي تَدُل عَلىٰ تَبشيرِ المَيِّت بِالكَرامَة: مَا ذَكره القَاضِي أبُو الحُسينِ فِي «**طَبقات الحَنابلة**»[(١)] فِي تَرجَمة يُوسف بن عُمر بن مَسْرور أبِي الفَتح القَوَّاس قال: «رأيْتُ بِخط أبِي عَلي البُرْداني، سَمِعتُ قَاسم الحَفار يَقول: سِمعْت جَدِّي يَقُول: لمَّا نَزلت فِي قَبر القَوَّاس حتَّىٰ ألَحِّده وأخَذتُه عَلىٰ يَدي حتَّىٰ أنْزِلَه فِي اللَّحد سَمعتُه وَهو يَضحَك».

ومن القصَصِ فِي تَبشير المَيتِ لأهْلِه: مَا رَواه ابنُ قُتيبَة فِي كِتابِه «**عُيون الأخْبَار**»[(٢)]، عَن رِبعِي بن حِرَاش قَال: «أتيْتُ أهْلي فَقيلَ لِي: مَات أخُوك، فَوجَدْت أخِي مُسجًّىٰ عَليه بِثوب، فَأنا عِندَ رأسِه أتَرحَّم علَيه وأدْعُو لَه إذْ كُشفَ الثَّوب عَن وَجهه فَقال: السَّلام عَليكُم، فَقلنَا: وَعليك السَّلام، سبْحَان اللهِ! بَعد المَوتِ.

فقَال: إنِّي تُلقِّيت برَوْح ورَيْحان ورَبٍّ غَير غَضبان، وكَساني ثِيَابًا مِن سُندسٍ وإسْتَبرَق، وإنِّي وَجدتُ الأمْر أيْسر ممَّا تَظنُّون، وإنِّي استَأذَنتُ ربِّي أنْ أخبِرَكُم وأبَشرَكم، احمِلوني إلَىٰ رسُول اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقد عُهِد إليَّ أنْ لا أبْرح حتَّىٰ ألقَاه، ثُمَّ طفِئ»؛ انتهىٰ. [وهُو في صفحة (٣١٧) من المُجلَّد الثَّاني].

---

(١) (٢/ ١٤٣).

(٢) (٢/ ٣٤١).

وهذا آخِر مَا تيَسَّر إيرَاده منْ قَصَص الكَرامَات التِي حَصلت لِبعضِ الأمْواتِ، واطَّلَع عليهَا بَعضُ الأحْيَاء مِن طريق المُشاهدة.

وأمَّا القَصص التِي جَاءت مِن طَريق الرُّؤيا فِي النَّوم لِبعضِ الأمْوات الذينَ أخْبَروا مَن رَآهم فِي المَنام بمَا حَصل لَهم مِن المَغفرة، وَما حَصل لِبعضِهم مِن الكَرامَة؛ فَهِي كَثيرةٌ جِدًّا، وَهِي مَذكورة فِي كُتب التَّاريخ والتَّراجِم، فَمَن أحَبَّ الوُقوفَ عليهَا فليطَالِع الكُتُب المُشار إليهَا.

«تَنبِيهٌ»:

لَيعلَم طَالبُ العِلم، أنَّ المَقصُود مِن إيرَاد قصَص العُقُوبات فِي هذا الكتاب هُو الحَثُّ علىٰ الاعْتِبار بمَا حَلَّ بِالعُصاة مِن النَّكَال علىٰ جَرائِمِهم، والتَّحْذِير مِن الإصْرارِ علىٰ المَعاصِي، فإنَّ الإصْرار عَليها سَببٌ للمَعاجَلة بالعُقُوبة، كمَا قَد وقَع ذَلك لِكثيرٍ مِن المَذكورين فِي القَصص التِي تقدَّم ذِكرُها.

وقد قِيل: السَّعيدُ مَن وُعِظ بِغيره، والشَّقي مَن كَان مَوعْظةً لِغَيره.

وقدْ قَال اللهُ تَعالىٰ مُذَكِّرًا لليَهود مَا حَلَّ بِأصحاب السَّبت مِنهم: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾**﴾ [البقرة: ٦٥، ٦٦].

قال ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «﴿**وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾**﴾ الذينَ مِن بَعدِهم إلَىٰ يَوم القِيامة».

وقَال السُّدِّي وَعَطية العُوفي: «﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ أمة مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(١).

وقال البَغوي: «﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾ للمُؤمِنين مِن أمَّة مُحمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلا يفْعَلون مِثل فعلهم»(٢)؛ انتهىٰ.

وإنَّما قصَّ اللهُ تَعالىٰ فِي كِتابه قَصص المُخالِفين للرُّسُل وَما أصَابهم مِن العُقوباتِ لِيعتَبر المُسلِمون بِذلكَ ويَحذَروا بَأسَ اللهِ ونقمتَه.

فقَد قَال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠]، وقَال تَعالىٰ مُحَذرًا للظَّالمين مِن هذِه الأمَّة أنْ يُصابوا بِمثل مَا أُصيبَ بِهِ قَوم لُوط مِن الرَّمي بالحِجَارة: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود: ٨٢، ٨٣].

قال قَتَادة فِي قَوله: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ يقُول: «مَا أجَار اللهُ مِنها ظَالمًا بَعد قَوم لُوط». [رَواهُ ابنُ جَرِير](٣).

وعَن قَتَادة أيْضًا قَال: «يَعني ظَالِمي هَذه الأمة، واللهِ مَا أجَار مِنهَا ظَالمًا

---

(١) انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩٣).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (١/ ١٠٥).

(٣) (١٢/ ٥٣٢).

بَعْدُ». [روَاه ابنُ جَرير][(١)].

وعن أَبِي بَكر الهُذَلي قَال: يقول: «﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ۝٨٣﴾ مِن ظَلَمة أُمَّتِك بِبعيدٍ، فَلا يأمَنها مَنهُم ظَالمٌ». [روَاه ابنُ جَرير][(٢)].

وذَكر ابنُ الجَوزِي فِي «تَفسيره» عن قَتادة أَنَّه قَال: «واللهِ مَا أجَار اللهُ مِنهَا ظَالمًا بَعدَ قَومِ لُوط، فَاتَّقوا اللهَ وكُونوا مِنه عَلىٰ حَذر»[(٣)].

وذَكر البَغَوي أَنَّه جَاء فِي بعضِ الآثَار: «مَا مِن ظَالمٍ إلا وَهوَ بَعرْض حَجَر يَسقُط عَليهِ مِن سَاعَة إلَىٰ سَاعَة»[(٤)].

فاتَّقوا اللهَ أيُّها المُخالفون لأوامرِ اللهِ تَعالىٰ وَأوامرِ رَسولِهِ ﷺ، ولا تَهاونوا بِمخالَفة الأوَامِر وارتِكابِ النَّواهي، ولا تُصرُّوا عَلىٰ المَعاصي فَيصيبَكُم مِن النَّكال مِثل مَا أَصَاب غَيرَكم مِن المُصرِّين.

فَقد ثبتَ عنِ النَّبي ﷺ أَنَّه قَال وهُوَ علَىٰ المِنبر: «**وَيْلٌ لِلمُصِرِّينَ الذِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعلَمُونَ**». [رَواه الإمَام أحْمَد، وعَبد بن حُمَيد، والبُخَاري فِي «**الأدَب المُفرد**» بِأسَانيدَ جَيِّدة مِن حَديثِ عَبد الله بن

---

(١) (١٢/ ٥٣٣).

(٢) (١٢/ ٥٣٣).

(٣) انظر: «زاد المسير» (٢/ ٣٩٤).

(٤) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ١٩٤).

عَمرو بِن العَاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا](١).

واللهُ المَسئول أنْ يوَفِّقني وَجميعَ المُسلمين للعَمل بِما يُرضِيه، وأنْ يَعصمَنا مِن التَّعرُّض لسَخطِه وعُقوبَته، إنَّه وَليُّ ذَلكَ والقَادر عَليه.

وصَلَّىٰ اللهُ وَسلَّم عَلىٰ نَبيِّنا مُحمَّد وَعلىٰ آلِه وأصْحَابِهِ وَمن تَبعَهم بإحْسَانٍ إلَىٰ يَوم الدِّين.

وقَد وَقع الفَراغُ مِن كِتابَة هَذه النُّبْذة فِي يَوم الخَميسِ المُوافقِ لليَومِ الحَادي عَشر مِن شَهر المُحرَّم سَنة إحْدىٰ عَشرة وأرْبَعمَائة وألف مِن الهِجرة، عَلىٰ يَد الفَقير إلَىٰ اللهِ تعَالَىٰ حِمُود بن عَبد اللهِ بن حِمُود التويجري، غَفر اللهُ لهُ ولِوَالدَيه وللمُؤمِنينَ والمُؤمِنات.

والحَمدُ للهِ الذِي بنِعمَته تَتمُّ الصَّالِحاتُ

١١/ ١/ ١٤١١هـ

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٦٥) (٦٥٤١)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٣٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٠)، وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٤٨٢).